الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

ستة وعشرون كاتباً ولغز واحد

البريء وعدالة الموت

www.ibtesama.com

رواية

www.ibtesama.com

التحويل لصفحات فردية
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا لمن قام بسحب الكتاب

www.ibtesama.com

ستة وعشرون كاتباً ولغز واحد

البريء وعدالة الموت

رواية

تأليف

نخبة من كتّاب الرواية البوليسية المشاهير

ترجمة

حسان البستاني

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

salmarlina www.mlazna.com
www.ibtesama.com

مُقـدِّمــة

ديفيد بالدتشي

فـي القصـة اللّغـز النموذجيـة، يُفتتن القراء بمواهـب ومخيّلة كاتب واحد. ولكن مع هذه القصة المليئة بالحركة، يستمتع القارئ بالخبرات البارعـة لسـتة وعشـرين كاتبـاً بليغـاً يحظـون بـكل تقدير؛ هـم يُحيكون المكائـد، ويتعاطـون مع السـموم ببراعة، ويُطفئون شـعلة الحياة بأفضل مـا يملكـون مـن وسـائل. إنـه أمر نادر الحـدوث في الواقـع لأن كتّاب القصّة اللغز يشـتهرون بعُزلتهم وذُهانهم الارتيابي، وهم أشـخاص غير ودوديـن عندمـا يتعلـق الأمـر بأعمالهـم. هم يحبون الإلحـاح في طلب مسـتحقاتهم الماليـة الأخيـرة عـن قصصهـم؛ فهـذه القـوة المُطلَقة تُفقد التعقّل وإن كان نادراً، ولا سيما إذا باعوا أعمالهم لهوليود ووجدوا أن قوّتهم تلاشت إلى ما دون الصفر. ولكنهم من جهة ثانية، هم أشخاص مشوِّقون ومرِحون عندما يكونون خارج عالم القصص ويحملون بأيديهم كؤوساً من الشراب، ويحتشد حولهم الناس في الحفلات على غرار كل القصاصين الجيدين. وما موافقة عدد كبير منهم على استخدام مهاراتهم لكتابة فصول في القصة التي أنتم على وشك الغَوص في أحداثها سوى دليل قاطع على القدرات المُقنِعة للمحررين في مجلة ستراند ماغازين وعلى لياقة المُبدعين المجتمعين هنا.

والألغاز هي الخِدَع التي تتلقى كل ملامة في عالم الكتاب. فبعض النقاد المتبحّرين يزدرون هذه الخدع جَهاراً، ومن ثم يقرأونها في الأنفاق، مخبّئين إيّاها وراء نسخة يوليسز التي لم يفسدها الزمن، ومُبدينَ حماسة

www.ibtesama.com

شديدة مماثلة لحماسة فتى اكتشف للتوّ شارلوك هولمز. ربما تكون هذه الخـدَع الوسـيلة الوحيـدة على الورق حيث يمكـن للقارئ المقارنة بين الظُّرف والإبداع. فإذا كنتم تتمتعون بالنُّبه حقاً، يمكنكم أحياناً اكتشاف الجواب قبل بلوغ المرحلة التي يكشف فيها المُبدِع النقاب عن الحقيقة. وقـد تذرفـون الدَّمـع أيضـاً، كمـا هـو الحـال لدى قراءة قصـة حب؛ أو تضحكون كما يضحك المرء بسـبب زلات متعمَّدة ترتكبها شـخصيات هزلية؛ أو ينالكم الرَّوع الذي تُحدثه قصص الرعب. وبالرغم من ذلك، يمكنكـم الاسـتمتاع، مـن خلال النوعية الفريـدة للغز: من الفاعل؟ بكل تلك التأرجحات العاطفية من دون أن تفقدوا رغبتكم في الكشـف عن الإجابة قبل الأوان. وإذا نجحتم في التغلّب على المُبدِع، فباستطاعتكم حينذاك المشـاركة في مسـابقات أمازون أو بارنس أند نوبل دوت كوم، أو فـي يومياتكـم على شـبكة التواصل الاجتماعـي، والتّباهي بانتصاركم في جنّاتكم الرقمية.

ستتسـنّى لكـم فرصـة خوض مباراتكم في هـذه القصّة كما أعتقد. فتكتّـل الكتّـاب الذين سـاهموا في هـذه الرواية اللغز مماثل لتكتّل فريق نيويورك يانكيز للبيسبول المعروف بصف «القَتَلة»؛ فلا وجود لنقطة ضعف فـي المجموعة. سـوف تُفتتنـون بتأوّهاتكم الأخّاذة مع انتقال القصة من مُبـدِع إلـى آخر لأنكم ستكتشـفون عن مزيّـة القصّة. وفي حين يوقّع كل منهم على القصّة بأسلوبه الفريد في السرد القصصي، يُجفلني كيف أن هؤلاء الكتّاب، وكثيرون منهم أصدقاء لي، نسجوا قصة تبدو نتاجَ فكر واحد، ومخيّلة واحدة (وإن فُصامية)، وسـتيروئيدات عُضوية قوية جداً لدرجـة أن الـدَّوري الكبير في البيسـبول قـد يلجأ إلى تحظيرها. إنه أمر بالغ الأهمية في الواقع.

تبـدأ القصـة بحـدث مـدوٍّ. لقد تمّ إعدام قاتلة قبل عشـر سـنوات. كانت روزماري توماس قد قتلت زوجها، كريسـتوفر توماس، بوحشـية

www.ibtesama.com

ووضعت جثته داخل مقصلة حديدية شحنتها إلى متحف في برلين. كان الكل على يقين بأنها هي التي ارتكبت الجريمة بالرغم من بعض الشكوك التي جعلت التحري يَضلّ طريقه ويفقد زوجته، ومن ثمّ حدث تطوّر مُذهل؛ لقد تم التخطيط لإحياء الذكرى العاشرة لإعدام روزماري، ودُعي كل المشتبَه فيهم المعتادين، وعدة أشخاص يملكون دوافع مقبولة لارتكاب الجريمة. لقد بات مسرح الأحداث مُعَداً لكم، ولن أُفشي أي سرّ آخر لأن الأمر قد يكون غير منصف بالنسبة إلى المُبدِعين الذين عملوا بجهد لحَبك عناصر القصة.

لكنني سأضيف أنكم إذا كنتم تنتظرون نهاية مماثلة لنهاية قصص أغاتا كريستي عندما يقف بوارو أو ماربل، ويفسّر القضية بهدوء، ويكشف عن القاتل الحقيقي، فإنكم ستفاجأون. فلكل هؤلاء المُبدعين نهاية مختلفة في مخيّلتهم. وبرأيي المتواضع، إنه تطوّر مبتكر لدرجة أنه لن يكون عليكم تكبّد عناء التبجّح على شبكة التواصل الاجتماعي بكيفية قيامكم بحلّ اللغز قبل وقت طويل من بلوغ النهاية. حسناً، أعتقد أنه لا يزال بإمكانكم القيام بالتبجّح، ولكنكم ستكونون كاذبين في هذه الحالة.

لو أنّ هذه العملية مراجعة نقدية يقوم بها أنداد لَمنحتُ كلّ مشارك فيها ثقتي الكاملة. ولكن من المؤكد أن باستطاعة قارئ يقِظ معرفة متى يكون مستوى أداء الكاتب عالياً. ومع ذلك، يتطلب الأمر حقاً قيام كاتب آخر بالتدقيق في أدق معاني القصة، وتحليلها كما يتم تحليل فيلم سينمائي تُرسَم فيه خطط وتحاك مكائد، وتحديد الجهد الذي بُذل لإنجاز العمل. نحن ندرك تماماً ما يقتضيه هذا التقييم لأننا نطمح إلى تكراره مع كل كتاب. وكوننا بشراً، فإننا ننجح أحياناً ونُخفق أحياناً أخرى.

لكن لا شيء يضاهي التفنّن في كتابة سطر ما، أو شحذ تفاصيل

www.ibtesama.com

مكيدة ما بإتقان، أو صقل شخصية ما حتى تومض مع سطوع العبقرية. فكل هذه الإبداعات تتقطّر مع تقطّر العرَق على جبين الكاتب. وما قام به هؤلاء الكتّاب عمل شاقّ ومُحكَم، فأنصفوهم. عندما تُنهون قراءة القصة، اطلبوا من أصدقائكم أن يقرأوها. أشركوهم في المتعة. أخبروهم أنها ستسلب ألبابهم بالتأكيد. ولا بأس في أن تخبروهم أنكم اكتشفتم اللغز في الصفحات الأخيرة وبأنه يمكن توقّع أحداثها قليلاً، ولكنهم سيكونون عاجزين عن مضاهاتكم في ذلك. سوف تبدون كما لو أنكم تتقاضون مرتّبات عالية في الأف بي آي. سيتسنّى لكل منكم الاستمتاع بالمحاولة البسيطة والمعقّدة لاكتشاف لغز كبير.

باشروا في القراءة.

www.ibtesama.com

يوميات جون نان

أندرو أف. غولي

آب/أغسطس 2010

إنها تلك القضية التي انسلت مني انسلال الروح من الجسد، إنها تلك القضية التي تقضّ مضجعي، تلك القضية التي ستبقى شوكة في خاصرتي، وستبقى مصدر ألم وأرق، وذلك بالرغم مِن إقفالها رسمياً، وبالرغم من مرور عشر سنوات عليها. لقد أُعدمت امرأة بريئة، وقد كان لي دور في ما آلت إليه نهايتها. وفي الليلة التي حُقنت بالحقنة التي أنهت حياتها، انتهى جزء من حياتي أنا أيضاً.

عندما تعود بي الذكرى إلى تلك الفترة - إن كان يجدر بي تسميتها بالذكرى؛ لأنها لم تفارقني قطّ - أتذكر أنني كنت أظن نفسي أنظر في قضية غير معقدة، إلا أن كل ما قمت به عقّد حياتي عُقداً لن تنفصم عراها، وقاد روزماري إلى حتفها؛ مدمراً حياتها وحياتي. لقد ظننت أن ما بين يديّ من وقائع وأدلة مادية يكفي للإدانة: تلك البلوزة الملطخة بالدم، والزر المفقود منها، وبصمات أصابعها. كما أن أجوبتها المتناقضة خلال التحقيق، والمشاجرة العلنية مع زوجها التي تلت طلب الطلاق، أضف إلى ذلك، رحلتها إلى المكسيك في الأسبوع الذي يُظن أن زوجها قضى فيه نَحبه، وإخبارها صديقتها أنها تشك في عودة كريستوفر، والذي تبين في ما بعد أنّ شكّها في محله لأن كريستوفر لم يعد إلا محمولاً على الآلة الحدباء.

www.ibtesama.com

النقاب أخيراً عن المُذنب، تغيرت نظرتي حول موضوع القدرية.

ربما تظنون أنني مجرّد شرطي تسيطر على عقله كوابيس قضية لم يستطع حلّها؛ لكنكم مخطئون؛ فالأمر يتعدى ذلك. عليّ معرفة الحقيقة: حقيقـة روزمـاري وحقيقـة من قتل كريسـتوفر تومـاس. كما ترون، عليّ اكتشاف من دمّر حياتي، ومن نام ملء عينَيه ليلة أدركت روزماري أنها لن ترى مجدداً إشراقة شمس غدٍ جديد من خلال قضبان سجنها البارد.

www.ibtesama.com

البداية

جوناثان سانتلوفر

23 آب/أغسطس، 2000
سجن فالي ستايت بريزن للنساء
شوشيلا، كاليفورنيا

أنا شبح بالفعل.

حدّقت روزماري توماس إلى أظفارها الطويلة التي كانت قضبان الزنزانة تُلقي ظلالاً مقلّمة عليها. فرفعت يدها وتفحّصتها بعناية كما لو أنها عيّنة اكتُشفت حديثاً، متمعّنةً بأوردتها الزرقاء الباهتة تحت لحمها.

قالت في سرّها: أجل، أنا أختفي. ومرّرت أناملها على خدَّيها كما لو أنها ضريرة تتلمّس وجه شخص غريب، وتكاد لا تشعر بهما أو تتقبّل حقيقة وضعها: لديّ أقل من ساعة أحياها.

همست: "كيف حدث ذلك؟"، عِلماً أنه الواقع وتعرف ذلك، وتعرف أن زوجها، كريستوفر، قُتِل، وتعرف أنه أُغلق عليه بإحكام، وبشكل منافٍ للمنطق، داخل أداة للتعذيب تعود للقرن الثامن عشر أُقرِضت للقسم الذي تُشرف عليه في المتحف، وتعرف أن كل الأدلة تشير إليها بطريقة ما.

www.ibtesama.com

بعد أسابيع عدة من اختفاء كريستوفر، عُثِر على جثته المتحللة إلى حدٍّ ما، في برلين، في متحف التاريخ الألماني، داخل مقصلة حديدية. لقد بدا من ظاهر القضية أنها بسيطة؛ في ثورة غضب قتلت روزماري زوجها، وأخفت جثته في مقصلة حديدية، لعلمها أن هذه المقصلة ستشحن إلى ألمانيا.

لم تستغرق هيئة المحلفين وقتاً طويلاً لإدانة روزماري.

اعتبرت القضية بسيطة وواضحة، واتخذ القرار بشأنها بسرعة.

ولكنّ...

إن ما حدث لم يبدُ عادلاً، كما أنه لم يبدُ مفهوماً، بالطبع، كان هناك دافع للجريمة وكذلك فرصة مؤاتية لارتكاب الجريمة، ولكنكم لو التقيتموها، لو عرفتموها كما قُدِّر لي أن أعرفها...

لكنني لم أُدرك إلا لاحقاً، وبعد بقائي على مسافة خطوة واحدة وراء القضية، وجود جوانب منها لم أرها، وطبقات لم أكتشفها، ولو أنني أدركت هذه الأمور في ذلك الوقت، عندما كان للأمر أهمية، فلربما كنت قد أنقذت حياتها؛ في ذلك الوقت عندما كنت كثير الانشغال بالحِرص على عدم السماح لمشاعري الشخصية حيال المشتبه فيها بإعاقة واجبي؛ في ذلك الوقت عندما كنت واقفاً في مكان قريب جداً يجعل من الرؤية من هذا القرب ضبابية. ربما شاهد بعضكم الفيلم السينمائي فرتيجو. حسناً، تخيّلوني الشخص الذي يتم تحريكه كدُمية، وبالنتيجة، يُحَلّ لغز حياته.

لحسن الحظ، كان لديّ صديق.

عندما غادرت سارة كنت ضائعاً وعلى وشك الانتحار، إلا أن توني أولسن انتشلني مما أنا فيه ولم يدعني أشعر قطّ بأنني عبء على كاهله أو بأنه يُسدي إليّ معروفاً. وعندما كنت أثمل لأنسى، اصطحبني توني إلى منزله، وحرص على إبقائي بعيداً عن الشراب، وأسند إليّ وظيفة

www.ibtesama.com

أمنية في شركته. لقد صودف أنه صديق لروزماري أيضاً... ربما تظنون أنه كان يريد رؤيتي ميتاً بعد كل ما فعلته.

أقلعت عن معاقرة الشراب، ولكنّ ظلال الماضي استمرت، وطوال سنوات من الانتشاء وعدم الثمالة، استمررت بتخيُّل أنني سأقوم بجمع كل المشتبَه فيهم، كل أولئك الذين استبعدتُهم خطأً في أثناء محاولتي إثبات صحة الوقائع، وذلك كي أحقق العدالة لروزماري وولديها، ولأجل حياتي.

لقد مرّ وقت طويل قبل أن أتمكن من إقناع توني بمساعدتي. كنت بحاجة إلى إقفال القضية، ولم يحدث ذلك إلا بعد تناولي قضمة ثانية من تلك التفاحة المسمَّمة. لذلك أجد نفسي الآن، وبعد كل هذه السنوات، بحاجة إلى جمع كل المشتبَه فيهم الرئيسين في مكان واحد. أنا بحاجة إلى مواجهة الأشخاص الذين ربما ارتكبوا الجريمة.

ولكنّ توني مُحِقّ؛ لا يمكننا أن نطلب منهم الاجتماع لمنحي فرصة أخرى لحل القضية.

لقد تحدّثنا كثيراً عن الأمر وعما يجب علينا القيام به لجمعهم، وكان الجواب ماثلاً أمام أعيننا على الدوام؛ الذكرى التي طلبت روزماري في وصيّتها الأخيرة أن يتم إحياؤها في السنوية العاشرة لإعدامها. فيحضر الأبرياء المراسم إحياءً لذكراها، ويكون المذنبون حاضرين لتجنّب الشبُهات المحرِّضة. ولِمَ القلق؟ فقد وُجدت روزماري مُذنبة وأُعدمت، ولن يقوم أي مساعد أول للنائب العام يتمتع بكامل قواه العقلية بإعادة فتح القضية. سيأتون بأجمعهم، كنت واثقاً من ذلك، ويضع بعضهم قناع البراءة على وجوههم.

لم أكن قدرياً طوال حياتي، ولا أستطيع تخيّل طائر فِينيق ينهض من بين الرماد، فوفقاً لمشاهداتي، يبقى الرماد رماداً على الدوام، وعاجلاً أم آجلاً يتعفّن كل شيء ويتنتُن. ولكن مع فكرة جمعهم هذه، وكشف

www.ibtesama.com

بصمات أصابع الزوجة على مقصلة حديدية

كان ذلك عنواناً رئيساً من العناوين الرئيسة العديدة في عدد كبير من الصحف التي تناولت الجريمة، جريمتها، بالتفصيل تقريباً، وأثبت المساعد الأول للنائب العام صحتها.

تخيّلت روزماري كيفية قيام ذلك الطاووس المُسنّ ببذلته ثلاثية القِطع بمحاولة التأثير في هيئة المحلَّفين بصوت مرتفع، وجِهاراً، طلَباً العدالة - لا صفقات مع الأثرياء! كان شعاره طوال المحاكمة - وكان على بُعد أسابيع من إعادة انتخابه، ولم يكن ليقايض هذا الشعار بحياة امرأة ثرية واحدة. لقد طلب في اليوم الأول من المحاكمة كلاً من القاضية وهيئة محلَّفين المصدومين بحكم الإعدام، "ولا حكم أقل من ذلك".

لقد أصبحت قضيتها قضية الساعة، وطُرح شعار تأييد الحياة أو تأييد الموت. يا للغرابة! قالت روزماري في سرّها، لقد تطلّبها الأمر ارتكاب جريمة لتحظى ببعض الاهتمام أخيراً.

فلو لم يكن عام انتخابات بالنسبة إلى المساعد الأول للنائب العام، والقاضية، ويستعد الحاكم لإعادة انتخابه، لحصلتْ على حكم مخفّف كما أصرّ محاميها.

ولكنه كان عام انتخابات، وستلاقي حتفها.

متى حدث ذلك، متى فقدت الأمل أخيراً؟ عندما أدانتها كلمات شقيقها، أو عندما أدلى التحري، جون نان، الذي وثقت به، بشهادته اللعينة؟

لقد عادت بالذاكرة إلى جلوس الشرطي قويّ البنية في منصة الشهود، بشعره الأشعث، ولحيته التي لم تحلق لثلاثة أيام خلت،

www.ibtesama.com

والدائرتيـن الداكنتيـن تحت عينَيه؛ وكيف أنه حدّق إليها بعينَين حزينتَين جـداً عندمـا انتهى من الإدلاء بشـهادته، لدرجة أنهـا أومأت إليه بالرغم من غضبها كما لو أنها تقول له إنها تَعي أنه يقوم بواجبه، وبالرغم من عِلمهـا أن الادّعـاء بـات يملك كل ما يحتـاج إليه وأن المصير المحتوم في انتظارها.

تنهّـدت روزمـاري، وعانقـت الجدران العاريـة للزنزانة التي تحظى بمراقبة أمنية خاصة، وكانت قد نُقلت إليها بعد أن خسرت قضيّتها في محكمة الاستئناف. لقد أمضت أسبوعَين من التدقيق المستمر، المعروف بالمراقبـة قبـل الإعدام، تولّت خلالهما حارسـة مهمة تدوين ملاحظات كما لو أن هناك ما يتعيّن رفع تقرير في شأنه: انتقلت النزيلة من السرير إلى الكرسي؛ لم تتناول النزيلة عشاءها؛ كتبت النزيلة على دفتر يومياتها؛ النزيلة تبكي.

أجـل، لقـد بكـت فـي السّـابق، ولكنهـا توقفـت عـن البـكاء. لقد تجـاوزت مرحلـة ذَرف الدموع. هذا ما قالته للطبيب النفسـي، والواعظ الديني، والأخصائيّة الاجتماعية، الذين أبدوا نيّة حسـنة، ولكن لا طائل منها. ما الذي يمكنهم القيام به لأجلها؟

كانت سليمة العقل.

لقـد وُلـدت علـى ديـن الفادي، ولكنهـا أصبحت لاأدريّـة في هذه المرحلة.

كانت مُحبِطة.

لقـد قالـت ذلـك للأخصائيّة الاجتماعية في الواقع، ولكن سـخافة الكشف عن هذا الأمر جعلتهما تضحكان.

هل كانت المرة الأخيرة التي تضحك فيها؟

ذرعـت روزمـاري الزنزانة الصغيرة جيئـةً وذهاباً، مربّتةً بيدَيها على جَنبَيها، والأدرينالين يتدفق في أوردتها. لم تنم، ولم تكن مُتعَبة، وتكرّر

www.ibtesama.com

في ذهنها تلقائياً الدليل المقدَّم ضدها - البلوزة، الزر، شعرها، الشجار، بصمات أصابعها - ولكن من دون جدوى: ستُعدَم.

في الساعات الأربع والعشرين الأخيرة من حياتها، شعرت بأنها مُذعنة تقريباً لقدرها؛ هكذا وصفت حالتها الذهنية لصديقتها وزائرتها الوحيدة، بِل ماكغواير.

بِل وفيّة ويمكن الوثوق بها. لقد أعطت بِل شيئاً ما تصونه حتى يصبح ولداها أكبر سنّاً. ولكن هل سيكون ذلك ذا أهمية بعد عشر سنوات؟ سيكون كذلك بالنسبة إلى بِن وليلى؛ سيكون كذلك على الدوام بالنسبة إليهما. أغمضت روزماري عينَيها، وأطبقت جفنَيها بإحكام لدى التفكير في ولديها. كانت قد رفضت عرض مربّية الأطفال اصطحابهما إليها لتوديعها. كيف تقولين وداعاً أبديّاً لولديك؟ كيف تفسّرين لهما ذلك؟

جلست على سريرها بتراخٍ ووهَن، ولهت بخَيط مفكوك عند طرف كُمّ لباسها الموحّد برتقالي اللون المكوّن من قطعة واحدة، ولفّته بإحكام حول إصبعها التي أصبح رأسها أبيض، واستمرت بذلك حتى التمعت في ذهنها صورة إصبع أخرى - إصبع كريستوفر - مع صور أخرى لمسرح الجريمة حيث كانت جثة زوجها المتوفّى.

دفعت روزماري نفسها للنهوض من السرير الذي يبعد ست خطوات عن القضبان، وضغطت خدّها على الفولاذ البارد، ونظرت شزَراً لقراءة الوقت في الساعة المعلَّقة على الطرف البعيد للجدار. ولكن لماذا؟ لتُعلمها أن الدقائق المتبقية من حياتها تمرّ بسرعة؟

التفتت وحدّقت إلى الصينية عند حافة سريرها، وكانت البُقَع ظاهرة تحت منديل المائدة على نحوٍ مثير للدهشة. إنها وجبتها الأخيرة - برغر بالجبن وبطاطا مقليّة - التي طلبتها عندما قالت الحارسة الحزينة والمبتسمة إن باستطاعتها الحصول على أي شيء تريده.

www.ibtesama.com

أي شيء؟ محاكمة جديدة؟ الحرية؟ حياتها؟

بادلت المرأةَ ابتسامتها الحزينة وقالت: "لا أبالي". وعندما وصل البرغر بالجبن الذي ينزّ وإلى جانبه شرائح بطاطا مقلية سميكة تمتص السائل كعلَقات، قامت بتغطيته بمنديل المائدة لأنه كان من المستحيل عليها تَقبُّل فكرة تناول الطعام.

لم تتمكن من تناول الطعام طوال أسابيع مضت، وكان قُوتُها الوحيد شاياً وقطعاً رقيقة هشة من البسكويت، ولكنها تناولت في الليلة السابقة حبات قليلة من الكرز، كانت بِل قد أحضرتها من حديقتها، ولطّخت أصابعها بالعُصارة كما لو أنها دماء.

مرّت ظلال عبر القضبان، فنظرت روزماري نحوها: القيّم على السجن، وثلاثة حراس، والواعظ الديني.

"حان الوقت"، قالت الحارسة ذات الوجه الحزين واللطيف، وهي امرأة ممتلئة الجسم تعرّفت إليها روزماري خلال الوقت الذي أمضته خلف القضبان. مرّت في ذهنها صور سريعة كما لو أنها مجموعة من اللقطات الفوتوغرافية: واقفة بجانب والدها الذي يشيح بوجهه الصارم عنها كالعادة؛ فتاة مُربَكة، طويلة القامة وخرقاء في أول ظهور لها في المجتمع في حفلة؛ تضع رِباطاً أبيض يوم زفافها، وكريستوفر توماس بجانبها.

كريستوفر، فارسها الوسيم ذو الوجه الوضّاء.

كريستوفر الذي خانها.

"هل أنت مستعدّة؟". سألتها الحارسة من دون التمكن من النظر في عينَي روزماري.

سؤال سخيف، قالت روزماري في سرّها. ماذا لو قلتُ لا، لست مستعدة؟ ماذا يحدث حينئذٍ؟ وتخيّلت نفسها تعدو في الرّدهة، والحراس يركضون وراءها، والنزيلات يهتفنَ تشجيعاً ويصحنَ تهكّماً.

www.ibtesama.com

ولكنها قالت: "أجل، أنا مستعدة".

لم تكن هناك أي قيود لليدَين، أو سلاسل للقدمَين؛ فقط حراس على جانبَيها، وواعظ السجن يحمل كتاباً مفتوحاً، والقيّم على السجن يسير في المقدمة.

غريب، قالت روزماري في سرّها، كيف أنني لا أشعر... بشيء.

أمسكت الحارسة اللطيفة والحزينة ذراعها، وامتد الرُّواق أمامها. كان هناك ضوء فلّوري يومض، وبدا الأمر كما لو أن المسيرة ستدوم إلى الأبد.

لقد اقتادوها عبر باب بيضاوي الشكل إلى داخل غرفة مثمنة الأضلاع، ورأت روزماري سرير الإعدام يملأ المكان، إضافةً إلى مراقيء(**) وإبَر مُعَدّة للاستخدام ونوافذ في مختلف الجهات، وأدركت أنه عرض عمومي تنصبّ فيه الأنظار عليها بصفة رئيسة.

شهقت، وعلق نفَسها في حَلقها. وشعرت بساقَيها تضعفان، وارتخت، وكادت أن تقع لو لم تمسكها الحارسة بذراعها بإحكام.

سألت المرأة: "هل أنت بخير؟".

فقالت روزماري، "أنا... بخير"، ثمّ قالت في سرّها، سأموت قريباً.

تمّ اقتيادهم - الشهود - كما لو أنهم مشيِّعون، عبر باب جانبي يفتح على ممرّ دائري يحيط بغرفة الإعدام.

راقب جون نان الشهود يتخذون مواقعهم، كما لو أنهم حراس، عند كل من النوافذ الخمس، والستائر مُسدَلَة. وحدّقوا إلى انعكاسات صورهم الباهتة والمشوَّهة على الزّجاج. فنظر إلى كل منهم: المساعد الأعلى للنائب العام الذي كان ملتزماً الهدوء على غير عادته؛ القاضية التي اتخذت موقفاً حازماً مع المساعد الأعلى للنائب العام تفرك يدَيها بعصبيّة؛ شقيق روزماري، بيتر، الذي التقى به عملياً قبل لحظات فقط،

(*) مراقيء: م. مِرقأة؛ مِلوىً أو ضاغط لوقف النزف من وعاء دموي.

www.ibtesama.com

وأثر الشـراب يبدو ظاهراً من مشـيته غير المسـتقيمة؛ المراسل الصحفي هانك زاكاريوس. كان هناك مراسلون آخرون أيضاً، وحراس ورسميون تابعون للولاية، وبدوا جميعهم كئيبين ومسمّرين في أماكنهم باستثناء بِل ماكغواير، صديقة روزماري، التي كانت محمرّة الوجه، باكيةً، وبدت أنها الوحيدة التي لم تتمكن من كبت مشاعرها.

تذكّـر نـان لقـاءه الأول بروزماري، وكم تظاهـرت أنها صلبة العود حينذاك، وأمل أن تتمكن من اسـتجماع بعض من صلابتها تلك اليوم، عِلماً أن مدّخراته الخاصة من الصلابة قد نضبت.

فـي وقـت مبكّـر من مسـاء ذلك اليوم، وقع جدال بينه وبين سـارة حـول المحاكمـة والجريمـة، ولم تكن المرة الأولى التي يتجادلان فيها، وقالت سارة إن القضية استحوذت عليه ولم يعد بإمكانه الرد على تُهمها أو نفيهـا، فاندفـع خـارج الغرفة بغضب - كما كان حاله في ليالٍ عديدة أخـرى - تـاركاً إيّاهـا بمفردها تستشـيط غضباً. وبقي في تلك الليلة في مقصـف حتـى موعـد إقفاله، ومـن ثمّ عثر على مقصف آخر يفتح أبوابه طوال الليل. لم يكن بيتر هوسـن هو الشـخص الوحيد الذي تفوح منه رائحة الشراب.

قيدها فريق التقييد بسـرير الإعدام؛ لقد اسـتلزم الأمر خمسـة رجال ذوي بنىً جسدية ضخمة لتقييد امرأة واحدة صغيرة الحجم: رجل عند رأسـها، رجل واحد عند كل ذراع، ورجل واحد عند كل سـاق. مُدّت أحزمـة فـوق الصـدر، والمِعصمَيـن، والبطـن، وكانت أُذُنـا روزماري لا تزالان تلتقطان صوت مكابح فلكرو المنفتحة والمنغلقة.

قال أحدهم: "أَسندي رأسك على الوسادة".

أسـند رأسـي؟ هل يُطلقون دُعابة؟ ولكنها قامت بالأمر، حتى إنها قالت: "شكراً لك". بقيت الفتاة التي حظيت بتنشئة جيدة، وفكرت في والدتها، وشعرت بالسعادة للمرة الأولى لأن والدَيها متوفّيان.

www.ibtesama.com

حدّقت إلى السقف والجدران، وعدّت البلاطات الرمادية وتلك البيضاء، وأبقت نفسها منشغلة بالأشياء المتواجدة حولها. وعندما رأت الكاميرا قالت في سرّها: إنهم يسجّلون إعدامي، وتضرّعت إلى الله كي تلقى كل احترام، وكي لا تصرخ ولا يخونها جسدها بالتشنجات. لم تكن تستطيع تحمّل التفكير في ذلك.

قال الرجل الواقف عند رأسها: "حسناً"، ولمس ذاك الواقف عند ساقها كاحلها بلطف، وعطف شديدين، لدرجة أنها بذلت جهداً كبيراً للتحكم بدموعها.

استُبدل فريق التقييد بفريق من المُسعفين التقنيين الذين قاموا بلفّ أنابيب حول ذراعيها والنَّقر على لحمها بحثاً عن أوردة.

وعندما أبصرت القساطر ارتعدت.

سألها أحدهم: "هل يمكنك إغلاق يدك على صورة قبضة؟". فامتثلت مدّعيةً أنهم يأخذون عيّنة من دمها فحسب، وفكرت في اختبار الدم الذي أجرته قبل زواجها وكم كانت متحمسة لتصبح السيدة كريستوفر توماس: كم أمِلت بالكثير وكم أن ما تحقق قليل! عادت بالذاكرة إلى الليالي التي كانت تستلقي فيها مستيقظة، مذلولةً، منتظرةً إيّاه، عالمةً أنه في سرير امرأة أخرى، متمنّيةً له الموت، وراغبةً في قتله.

أخطأ أحد التقنيين الوريد فأُجفلت روزماري، وترقرقت الدموع في عينيها تلقائياً.

لا، لا تبكي. وأغمضت عينيها وأطبقت جفنَيها بإحكام.

حاول التقنيون مراراً وتكراراً إلاّ أنهم فشلوا. وأخيراً، قال أحدهم: "ها هو أحد الأوردة". في حين واصل رجل آخر النّقر على ذراعها، ثم قال: "لقد تسطحت الأوردة تماماً".

لم يقولوا أوردتها، بل الأوردة.

أرادت أن تصيح: ما زلتُ حية.

www.ibtesama.com

قال رجل آخر: "دعني أساعدك". لقد بدا الاثنان كظلَّين قاتمين يلوحان فوقها، وتبادرت صورة إلى ذهنها تعود إلى سنوات مضت في مكتب الطبيب البيطري عندما وُضع حدّ لحياة كلب الكُوكر خاصّتها، لأنّ داء السرطان كان متفشّياً في جسد الكلب المُسنّ. كم بدا الأمر رحيماً والكلب مستكنّ بين ذراعيها بسلام في أثناء قيام الطبيب بحقنه بعقّار IV، قالت، والدموع في عينَيها: "ستستغرق في النوم ليس إلا". وصدّقت ما قالته حتى أطلق المخلوق نُباحاً أجشّ صادراً من أعماقه، وهو صوت لم تسمعه من قَبل، فاضطرّت روزماري إلى تثبيت جسده الطريّ المُسنّ، والتربيت عليه، وهمست بكلمات مطمئنة: "أرأيت؟ أرأيت؟". حتى دخل العقار إلى مجرى دمه وتراخى جسده. عادت إلى واقعها، ونظرت إلى مجموعة الناس في الغرفة وتساءلت: أين كلماتي المطمئنة؟

قال التقني حاقناً الجرعة الثانية من عقار IV في ذراعها: "حسناً، لقد عثرنا عليه أخيراً".

قالت روزماري في سرّها: أرجوك، يا الله، ليكن الأمر سريعاً.

غادر التقنيون، ودخل القيّم على السجن والواعظ.

رفع القيّم يده وفُتحت الستائر، ورأتهم.

وفي أثناء خفقان قلبها بقوة، قالت روزماري في سرّها: يا مشاهديّ، بعضكم شهود على موتي وبعضكم مشاركون.

لقد تمكنت من معرفة أن شقيقها، بيتر هوسن، ثمِل لأنّ ذلك كان بادياً على عينَيه الحمراوين. كانت قد رفضت رؤيته في صباح هذا اليوم، وتعلم أنه يحاول تطهير ضميره.

كانت هناك وجوه أخرى أيضاً، أشخاص لا تعرفهم، وبِل التي تبكي مراقبةً روزماري عبر الزجاج.

وجون نان الذي حاول زيارتها ولكنها رفضت مقابلته على غرار

www.ibtesama.com

المرات السابقة التي طلب فيها رؤيتها. فأغمض عينَيه وملّس قميصه، ومن ثم مسّ شعيراته القاسية كما لو أنه شعر بالاستياء فجأةً من مظهره غير المرتّب.

أجالت روزماري نظرها على الحشد ثم ثبتت نظرتها على هانك زاكاريوس، المراسل الصحفي... صديقها. كان قد ناقش في مقالة تِلوَ مقالة مسألة قيامهم بإعدام امرأة بريئة، امرأة حكم عليها مدّعٍ عام وقاضية، يتوقان إلى الاحتفاظ بمنصبَيهما، بالإعدام من دون وجود أدلة كافية. كان لا يزال باستطاعتها تذكّر محاولاته للتشكيك في الدليل.

حاول هانك زاكاريوس إقناع نفسه بأنه قدِم كشاهد ومراسل صحفي - وليس كصديق - وبأنه سيكتب مقالة أخيرة تورد أهوال عقوبة الإعدام بالتفصيل، وبأن الكتابة ستنأى به عن الحدث، ولكن قلبه كان يخفق بسرعة وجفّ حلقه. حدّق عبر الزجاج إلى روزماري وتنهّد بعمق عدة مرات. لم يتمالك نفسه عن ملاحظة مدى نحولها، وتحوُّل البنية العظمية لوجهها الذي كان نحيفاً ذات مرة إلى ما يشبه الجمجمة، وذراعَيها المليئتين بالرضوض بسبب محاولة التقنيّين المفتقرين إلى البراعة إدخال القساطر قياس أربعة عشر، وهي الإبر الأكبر حجماً المتوافرة في السوق الكفيلة بنقل مزيج المخدّر والسم لإيقاف قلب روزماري. وفكر في الجهد الذي بذله للحؤول دون حدوث ذلك، واستمر عقله بالعودة إلى المقالات التي كتبها حول القضية.

عُثِر على جثة كريستوفر توماس في حالة متقدمة من التحلل بسبب وضعها داخل آلة غريبة الشكل تُعرف بالمقصلة الحديدية، وكان تأثيرها كتأثير قدر البخار. وسحقت الآلة أسنان المتوفّى أيضاً، علماً أنه تم اكتشاف كسرة لم يكن بالإمكان تحديد هويتّها في المقصلة الحديدية نفسها.

لقد جادل هذا المراسل قائلاً إنه يستحيل على المتهَمة، وهي امرأة تزن 130 رطلاً، رفع رجل يزيد طول قامته عن ستّ أقدام ويتعدّى وزنه 180 رطلاً إلى

www.ibtesama.com

داخل مقصلة حديدية بنفسها. وطرحت الولاية فكرة تلقّيها مساعدة من مروّج مخدرات معروف شوهد في متحف ماكفول أرت ميوزيوم وتوارى بعد ذلك عن الأنظار في الوقت المناسب.

إذا أُعدمت روزماري توماس استناداً إلى دليل يمكن أن يكون مدسوساً، فإن ذلك سيكون من دون الاستناد إلى دليل قاطع، ورغبة لسياسيين في إنقاذ وظائفهم، ومحاولة لإثبات إمكانية معاملة الثري كالفقير وبالسوء عينه.

ولكن مقالات زاكاريوس كانت مَشوبة بمعرفته لروزماري منذ سنوات الكلّية، وبكونهما صديقَين، فقد استُخدمت علاقتهما لإسقاط صدقيّته: إنه منحاز. إنه صديق. إنه يشوّه حقيقة الدليل. ولم تكن كتابته سلسلةً من المقالات المناهضة لعقوبة الإعدام لصالح رولينغ ستون، قبل أشهر قليلة، أمراً مساعداً لأنه بدا كما لو أنه يستأنف قضيّته مجدداً.

حدّق زاكاريوس إلى الزجاج المقابل قرب روزماري ورأى بيتر هوسن يترنّح قليلاً كما لو أنه على وشك السقوط.

قال زاكاريوس في سرّه: إنه ثِمِل، شقيق روزماري اللعين ثمل.

كان بيتر هوسن يعاني مشكلة تناول فطوره. كان يشعر بوعكةٍ في المعدة وبألم في الرأس، ويزدرد بصعوبة، ويشعر بالقلق من إمكانية إصابته بمرض ما. لقد تخيّل نفسه في منصة الشهود يصرّح كيف أن شقيقته قالت أكثر من مرة إنها تتمنى الموت لزوجها. بالطبع، لقد أعرب عن ثقته بأنه مجرّد كلام: "عِلماً أنه يصعب على المرء إلقاء اللوم على شقيقتي إذا قتلت زير النساء الوغد ذاك؛ أعني، من يلومها؟".

وازدرد بيتر هوسن ثانيةً وهو أمر ما كان ليقوم به من دون تناول كأس أخرى من الشراب. ولعق شفتَيه، وفكر في ابن روزماري وابنتها الصغيرَين، بِن وليلى، في المنزل مع مربّيتهما، وفي ما سيقوله لهما في وقت لاحق... آه! يا لوالدتكما العزيزة المسكينة! وفكر في شقيقته الأكبر سنّاً وفي كيفية قيامها بالاهتمام به على الدوام. كان يدعوها روزماري

www.ibtesama.com

المسؤولة، وشعر برعشة تجتاح جسمه. كانت تبدو مسؤولة ومسيطرة حتى في هذه اللحظات. قال في سرّه: هي بخلافي على الدوام. وازدرد مجدداً ونظر إلى عينَيها.

اتخذ القيّم على السجن موقعه عند رأس روزماري.

وسأل الواعظ الواقف بجانبها: "هل لديكِ ما تقولينه؟".

فنظرت إلى المتواجدين مجدّداً في الجانب الآخر من النوافذ ورأت المساعد الأعلى للمدعي العام والقاضية... رأت ذينك اللذين لم يباليا بأي شيء حِرصاً على تحقيق العدالة.

العدالة؟...

آه! هل لديّ ما أقوله؟...

لا بد من أن تكون قد أومأت لأن ذراع ميكروفون نزل من السقف.

لكن بدلاً من ذلك، أغمضت روزماري عينَيها وتصوّرت غرفة نومها في سنّ الطفولة حيث كانت ووالدتها تركعان بجانب السرير.

"الآن سأخلد إلى النوم...".

سمعت كلماتها مضخَّمة عبر الميكروفون وشعرت بيد على ذراعها، وتخيّلت أنها يد والدتها بالرغم من عِلمها بأنها يد الواعظ.

"... إذا كان يُفترض بي الموت قبل أن...".

لكن الكلمات أصبحت بلا معنى فجأةً... لا مكان لكلمة إذا.

حاولت روزماري تنقية ذهنها، ولكن صور ولديها برزت كصور فوتوغرافية مظهَّرة بوجهَيهما الجميلَين والبريئَين، لم تتمالك نفسها عن التفكير في أنها لن تراهما مجدداً، لن تراهما يكبران، وفي أنها ستفتقد سنوات مراهقتهما، والدراسة في الكلّية، وزواجهما، وإنجاب أحفاد لها. وبالرغم من محاولتها عدم حدوث ذلك، خرجت منها شهقة مخنوقة.

سمعت مليسا فرانكلين فوريست الصرخة فأُجفلت. كانت تحدّق إلى مكانٍ ما فوق رأس روزماري - أي شيء لتفادي عينَي المرأة -

www.ibtesama.com

ولكنهـا شـعرت بترقـرق دمـوع عينيها بعد سـماع ذلك الصـوت ورؤية الدموع على وجه روزماري.

كانـت قـد أمضت أكثر من نصف حياتها كقاضية، واعتُبرت عادلة. لقد ناضلت أكثر من مرة لأجل إعادة انتخابها، ولكنها شعرت في هذه اللحظات كما لو أن كل العمل الجيد الذي قامت به أصبح وراءها؛ إنه العمل الوحيد الذي سـتتم مكافأتها عليه؛ العمل الذي سـيلاحقها لبقيّة حياتها.

لـم ترغـب فـي أن تكون هنـاك، ولـم ترغب في أن تكون شـاهدة، ولكن الولاية أصرّت على ذلك. فلفّت شريطاً ذهبياً عادياً حول إصبعها، وحاولت التنفس بشكل طبيعي بالرغم من سرعة خفقان قلبها وشعورها بدُوار.

ليتها لم تكن متسـاهلة مع ذلك المغتصب؛ ليتها لم تطلق سـراحه لارتكاب عملية اغتصاب أخرى؛ ليتها لم تكن القضية التي سبقت هذه القضية...

ولكنها أطلقت سراح المغتصب، وكانت القضية التي سبقت قضية روزماري.

لقـد أجبـرت القاضية فوريسـت نفسـها للنظر إلـى روزماري، وإلى الأحزمة التي تلتف حولها كما لو أنها حيوان عالق في فخ، وإلى الإبر المزروعة في ذراعَيها التي تنقل السمّ، وقالت في نفسها: الآن، أنا مُذنبة بالقتل أيضاً.

شعرت روزماري بالمحلول المِلحيّ البارد يندفع داخل أوردتها.

بعد ذلك، أمال القيّم على السـجن رأسـه في اتجاه مرآة، فأدركت روزماري أنها إشارة، الإشارة لبدء عملية الإعدام.

وخلف الزجاج العاكس، بدأ منفّذ حكم الإعدام العملية.

ثيوبنتال الصوديوم أولاً، وهو باربيتورات سريع المفعول يعمل عمل

www.ibtesama.com

المخدّر، ثم خمسون مليغراماً من البافولون، وهو مُرخٍّ للعضلات يُصيب الحجاب الحاجز بالشلل ويوقف التنفس. أخيراً، كلوريد البوتاسيوم الذي يوقف القلب.

سأل الواعظ مرة أخرى عما إذا كان لديها ما تقوله، فهزت روزماري رأسها بالنفي، متمتمةً بعض الكلمات: "... إنني ولو مررت في وادي ظلال الموت، لا أخاف شيئاً...".

ازدردت بعد ذلك، وذاقت مرارةً ما في القسم الخلفي من لسانها، وعلقت الكلمات في حَلقها، وأصبح الحريق الخفيف الذي كانت قد شعرت به في ذراعَيها ناراً مستعرة، وبدأ جسمها بالارتعاش والتلوّي، ولم تتمكن من الكف عن اللهاث والغَصّ.

قالت بِل ماكغواير: "يا الله! يا الله! ماذا يحدث؟"، ثمّ غطّت وجهها بيدَيها.

أُسدلت الستائر بسرعة. ولكن كان باستطاعة بِل والآخرين سماع أنّات وصراخ حتى عبر الزجاج.

قال زاكاريوس محملِقاً بِنان وقد بدا شاحب الوجه: "الأمر أسوأ من التعرّض للرَّجم حتى الموت".

أغمض جون نان عينَيه وأطبق جفنَيه بإحكام. كان يتعيّن عليه السيطرة على نفسه كي لا يرتطم بالزجاج ويحطّمه.

اندفع الفريق الطبي وطاقم التقييد إلى داخل غرفة الإعدام.

"تبّاً!"، وحاول رجل أسود ضخم البنية كبح جماح جسد روزماري المتشنّج.

وصاح أحد التقنيين قائلاً: "إنها ذراعها! انظروا إلى التورّم. يا الله!".

قال القيّم: "الأحزمة مشدودة بإحكام، باستثناء تسرّب كمية ضئيلة من المادة الكيميائية. أنتم تقتلونها... ببطء! انزعوها... الآن!".

www.ibtesama.com

وسحب أحد أفراد فريق التقييد الحزام عن ذراع روزماري بسرعة كبيرة لدرجة أنه أعاق مرور عقار IV، وانتفضت الإبرة في الهواء كثعبان ينفث السّم.

صاح القيّم، مُحمرّ الوجه: "ما خطبكم أيها الناس؟ هناك مسؤولون تابعون للولاية في الخارج... ومراسلون... يراقبون العملية! يا الله!"، وعاد خطوات إلى الوراء لتفادي سقوط البافولون المصيب بالشلل على وجهه.

عاد قلب روزماري للخفقان بشكل طبيعي ثانيةً، وشاهدت سلسلة الأحداث التي جرت حولها كما لو أنها مهزلة سوداء، وشعرت بألم في مفاصلها وبحريق في عضلاتها، ولكن ذهنها كان صافياً على نحو مثير للدهشة.

سألها التقنيّ: "هل أنتِ بخير؟"، فأومأت إليه.

عاد الواعظ ووضع يده على جبين روزماري قائلاً: "لا بأس يا عزيزتي. لا بأس". ثمّ شرع بالدعاء في أثناء قيام التقني بإعادة القساطر إلى مكانها، واستلقت روزماري على الوسادة.

التفتت بِل ماكغواير إلى نان وهي لا تزال تبكي وقالت: "أَوقفهم. رجاءً أَوقفهم!".

قال أحد المراسلين، هازّاً رأسه: "ليست المرة الأولى التي أرى فيها أموراً لا تجري كما هو مخطَّط لها، ستعود الأمور إلى نصابها في غضون دقائق قليلة". فشعرت بِل بالألم يعتصرها.

لكنّ جون نان لم يستطع الانتظار دقائق قليلة، فضرب الزجاج بقبضته صارخاً: "أَوقفوا هذا الأمر! أَوقفوا هذا الأمر الآن!".

بعد ثوانٍ، كان هناك حارس بجانبه، فقال أحدهم: "يا سيدي، سيكون عليك المغادرة إذا لم...".

أدار نان قبضته للمرة الأخيرة على الزجاج قبل أن يُنزل يده ويحدّق

www.ibtesama.com

إلى الأرض، آخذاً نفَساً سريعاً بمشقة.

فُتحت الستائر ونظرت روزماري مجدداً إلى الشهود. لقد حاولت الابتسام لبِل، وبعد التفرّس بالنوافذ، عثرت على جون نان المنحني إلى الأمام ضاغطاً يدَيه على الزجاج؛ أمر لم يكن يُفترض به القيام به، ولكنّ أحداً لم يوقفه هذه المرة.

لم يكن الأمر قطّ كما تصوّرت؛ إذا كان يفترض أن تدخل في غيبوبةٍ أبديةٍ بسبب العقّار، ولكن بدلاً من ذلك، أصبحت روزماري توماس واعيةً بشكل مفرط لجسدها، كان الهواء يدخل ويخرج من رئتَيها، وتنتقل فقاقيع الأوكسجين عبر أوردتها وشرايينها، وقلبها يخفق بصوت عالٍ وواضح، والصور تُصدر شرراً في عقلها: والدها مستلقٍ في السرير؛ والدتها تدخّن سيجارة في مأتمه؛ ولداها، بِن وليلى، يناديانها؛ المِقصلة الحديدية؛ بلوزة ملطخة بالدماء؛ وجه كريستوفر، إصبعه؛ كلمات، ألوان، كل شيء يدور في دوّامة ويمتزج. لقد رأت المساعد الأعلى للنائب العام مكتئباً، والألم بادياً على وجه القاضية، والحراس والطبيب والمراسلين يحدّقون من دون أن ينظروا في الواقع.

أدركت ما يجري؛ لقد بدأت تجد صعوبة في التنفّس وأحاطت برودة فجائية بقلبها. وقبل انغلاق عينَيها مباشَرةً، رأت بِل ماكغواير تبكي، ووجه جون نان الذي كانت أصابعه تضغط على الزجاج كفراشات العُثّة البيضاء المرفرفة. لقد بدا الأمر كما لو أن يده موضوعة على ذراعها.

أرادت الصراخ، ولكن الأمر مستحيل؛ لم يكن باستطاعتها الكلام. وملأ صوت مماثل لخروج الهواء من بالون أُذُنَي روزماري، فأدركت أنه نفَسها الأخير، وتحوّل قلبها بعد ذلك إلى جليد وتصدّع وتفتّت، وأصبح العالم بعد ذلك أبيض ناصعاً...

www.ibtesama.com

1998

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

1

جيف لندسي

كانت أبواب متحف ماكفول أرت ميوزيوم مُغلَقة في تلك الليلة. وفي صالات العرض الرئيسة، كانت الأنوار الأمنية مضاءة، مرسلةً بُرَكاً صغيرة برّاقة ومخيفة من الضوء على الأبواب والأروقة، وهو أمر مختلف كثيراً عن مسار الإضاءة المتقَن المتبَع في النهار إذ يوجَّه بمودّة على اللوحات والمنحوتات التي تملأ الغرف لإظهارها بأفضل حُلّة من دون أنوار متوهّجة أو ظلال. كانت الإضاءة المنبعثة من الأنوار الليلية غير مستساغَة، ويبدو المتحف بِبُرك الضوء الساطع أكثر ظُلمة بطريقة ما، وأكثر غرابة وإزعاجاً مما يكون عليه مبنى مليء بأعمال فنّية رائعة.

لم يكن متحفاً كبيراً، ولكنه بنى شهرة له في سان فرانسيسكو، وعرّفه الناس بأنه جوهرة منطقة باي، وبأنه كنز غير مكتشَف من مجموعات فنّية نفيسة عائدة لكل حقبة تاريخية تقريباً.

قرب الدَّرَج الرخامي المؤدي إلى الطابق الثاني، كان تمثال للاعب رياضي عارٍ، يحمل رمحاً مكسوراً، يُلقي بظلاله ذات الخطوط الكفافية الواضحة على الأرض. اللاعب الرياضي صاحب التمثال متوفى منذ ألفي وخمسمئة عام تقريباً، ورمحه مكسور منذ ألف وسبعمئة عام، ولكنه لا يزال واثقاً من تسديد رميته. وبسطوع الأنوار الأمنية على بشرته الرخامية، بدت تلك الرمية وشيكة إضافةً إلى شعور غريب مُنذر بحدوث شرّ.

www.ibtesama.com

عنـد الطـرف الأبعـد لصالـة العرض الخلفية، خفـق صوت غامض ومخيف عبر الأرضيات المكسوّة ببلاط خالٍ من البقع. لقد تردد صداه على الأسطح الصلبة للأرض والجدران حتى بات من المستحيل تقريباً تمييز مصدره: إنه صوت يصدر من راديو بخِس الثمن يبثّ وقائع لعبة في الكرة. وبعد لحظات، انضمّ إلى الصوت جرّ قدمي حارس ليلي في أثنـاء عودتـه إلـى المركز الأمني عنـد الباب الأمامي حيث وضع الراديو بجانب صفّ من أجهزة المراقبة الفيديوية. اسـتقرّ الحارس في كرسـيّه، وعلا من الراديو في الوقت نفسـه كلام غير مفهوم لإعلان تجاري عن إطار مطاطي.

تردد الصوت وصولاً إلى أول منبسَط للدرَج الرخامي، ولكنه أخفق بطريقـة مـا في الاسـتدارة عنـد الزاوية وبلوغ الطابـق الثاني. وفي أعلى الـدرَج، كانـت هنـاك ظُلمة أكبر في انتظار الانضمام إلى صمت فجائي. وأُزيحـت بُـرَك الظـلال بضـوء أمنـي واحد قائم وسـط رُواق تقوم على جانبَيـه أبـواب مكاتـب. كان الرُّواق ضحية الظلال، مُعتِماً جزئياً ومُضاءً جزئياً بالإنارة الضعيفة والمخيفة لذلك المصباح الأعزل.

علـى امتـداد الطريق وصولاً إلى الطرف البعيد للقاعة، كانت هناك بُركة إضافية من الضوء المُراق على أرضية الرُّواق والمنبعث من الباب المفتوح جزئياً للمكتب القائم عند الزاوية. كان ضوءاً أكثر حرارة، عِلماً أنه لم يكن شديد السطوع. وفجأةً، حلّت العتمة، ولم يحدث أي شيء آخـر للحظـات: لا صـوت، لا أثـر لأي شـيء حيّ يتحـرك قرب مكتب الزاويـة؛ ولكـن، يمكـن للمراقـب اليقـظ أن يلاحظ نـوراً متوهّجاً غريباً أرجوانيّـاً مائـلاً إلـى زُرقـة داكنة ينبعث من داخـل الغرفة. ومن دون أن يوفّـر هـذا التوهّـج إضاءةً ملائمة، ظهرت الحروف المنقوشـة على باب المكتب بوضوح ثلاثيّ الأبعاد:

www.ibtesama.com

كريستوفر توماس

القيّم

من المدخل، لم يكن يُرى أي شيء تقريباً في ظُلمة مكتب القيّم. فالجدران تعكس نسيجاً باهتاً لا بد من أن يكون انعكاساً لمئات الكتب التي تملأ صفوفٌ منها الغرفة من الأرض صعوداً إلى أبعد من متناول يد إنسان عادي. كانت تبدو كما لو أنها تلوح فوق الغرفة، كابحةً ومضخِّمةً الفراغ المسبّب للتوتر المسيطر على المتحف في هذه الليلة. ويكاد أحد جوانب أريكة جلدية واسعة ألاّ يُرى في التوهّج الأرجواني المُعتِم المائل إلى الزُّرقة.

في الطرف الآخر للغرفة طاولة رسام كبيرة دُلّي فوقها مصباح كهربائي داخل ما يشبه عُنُق إوزّة، ومن هذا المصباح ينبعث التوهّج. كان مسلَّطاً على لوحة زيتية موضوعة على الطاولة وتنعكس بشكل غريب على النظارة السميكة والمربّعة التي يضعها الرجل المنحني فوق اللوحة. وعندما فتحت الشابة الموجودة بجانبه فمها لتأخذ نفَساً مرهَقاً، أضاء المصباح أسنانها بلمعان برّاق كما لو أنه من عالم آخر.

قال الرجل: "الأمر واضح تماماً تحت الضوء ما فوق البنفسجي". لقد بدت كلماته متكلّفة بسبب طريقة قولها كما لو أنه يقرأ من نصّ، ولكن الشابة لم تلاحظ ذلك. كانت تحدّق إلى يدَيه وهما تحومان فوق اللوحة الزيتية. وعلى غرار أعضائه الأخرى، كانت يداه طويلتَين، بارزتَي العظام، وقويّتَين. ثمّ أضاف: "هنا، ومجدداً، هنا". وحرّك يده في خطّ نصف دائري متموّج فوق الزاوية السفلية للّوحة.

مررت الشابة لسانها فوق شفتها السفلية المكتنزة، ونظرت إليه عن كثب. كان الضوء يلقي بظلال غريبة على قسمات وجهٍ غير وسيم بالمعنى التقليدي - أنف معقوف قليلاً، وشفتان رقيقتان جداً - ولكنّ

www.ibtesama.com

هناك شيئاً جميلاً فيه، جميلاً وخطيراً.

وكانت بشرتها النحاسية بطبيعتها تميل إلى اكتساب لون أرجواني تحت الضوء. صاح في وجهها: "هل تُصغين؟".

"أجل، أجل، بالطبع".

قال آمراً: "انظري"، وقام بحركة تربيتية فوق اللوحة، "إنه أداء ممتاز. لقد استخدم الفنان كتاناً قديماً وصِباغاً أزرق غامقاً غالياً، ولكن سريع الزوال، فتحوّل إلى لون أسود، لمسة بارعة". وقلّب يده، وراقبت الشابة بافتتان.

قالت في سرّها، محدّقةً إلى أطراف أصابعه في أثناء التلويح بها: معبرّ جداً.

قال: "ولكن..."، وفجأةً، ابتعدت إحدى يدَيه وأضاءت المصباح التقليدي، ثم تابع: "لوحة سوتين خاصتك مزيّفة. لقد أنفقتِ قدراً كبيراً من مال المتحف على شيء مزيّف".

كان لهذا الاكتشاف أثر بالغ في نفسها، فأشاحت بنظرها عن تَينك اليدَين واستقرّ على وجه الرجل. قالت هازّةً رأسها بذهول: "مزيّفة؟ ولكنها... لديّ وثيقة المنشأ. إنها سليمة لأنها تُثبت أماكن وجود اللوحة مذ غادرتْ مرسم سوتين في فرنسا عام 1939".

وقوّم الرجل وِضعته - كان طويل القامة - واقترب قليلاً منها. فحركاته، على غرار كلماته، توحي بأنه ممثل فاشل غير متأكّد من كيفية لعب دور الكائن البشري. قال: "قرأتُ وثيقة المنشأ خاصتك، لا تُبدّل في الأمر شيئاً".

"ولكنني تحدثت إلى العائلة".

"لقد تحدثتِ إلى أشخاص خدّاعين".

قالت لاهثةً: "ماذا؟".

"وثيقة المنشأ مزيّفة برمّتها. على غرار اللوحة".

www.ibtesama.com

"آه، يـا اللـه!". لقـد فكـرت لمـدة طويلة في مهنة واعدة استحالت نكبةً كما يبدو. سنوات التخرّج في الكلّية، القروض الدراسية التي تكاد تكـون غيـر قادرة على تسـديدها حتى مع ممارسـة هـذا العمل. والآن، انتهى كل شيء. سوف تُطرَد، وتُخزى، وتصبح عاطلة دائمة عن العمل. فكل ما عملت لأجله طوال حياتها في سنّ البلوغ أصبح فوضى عارمة. وهنـاك الإحـراج الـذي ستتشـاطره مع عائلتها التي كانت شـديدة الفخر بهـا؛ فكونهـا أول قيّمـة أميركية من أصول أفريقية على المتحف هو أمر ذو مغزى إلى حدٍّ ما بالنسبة إلى مجتمعها، ولم تشأ قطّ رؤية نفسـها في هذا الموقف.

قـال الرجـل واضعـاً يدَيه الطويلتَين أمامه: "أخشـى ألا يكون هناك أي شك في ذلك البتة".

"آه! رحمتك يا الله!".

"إنه شـيء يقضي على المهنة، أليس كذلك، يا جوسـتين؟"، ولفظ اسمها كما لو أنه بين علامتَي اقتباس.

"أنا... لا بد من وجود أمر ما...".

ابتسم مظهراً أسنانه كبيرة الحجم البيضاء والمتينة، ثمّ قال بتهكّم: "أمر ما... يمكننا القيام به؟ لننسَ كل شيء كما لو أنه لم يحدث قطّ؟".

فهزّت الشابة رأسها.

"أم أنـك تعنيـن أمـراً مـا يمكنني القيـام به لإنقاذ مهنتـك، وإخفاء خطئك، ومنع حياتك من الانزلاق إلى الهاوية؟".

قالت على الفور: "هل هناك مَخرج ما؟".

حـدّق إليهـا لمـدة طويلـة كما يبدو، ثـمّ قوّم وِضعتـه وقام بخطوة جزئيـة أخـرى فـي اتجاهها، وقال: "قد يكون هنـاك مَخرج. ولكن..."، وهزّ رأسه.

سألت جوستين بنفَس مقطوع تقريباً: "ولكن ماذا؟".

www.ibtesama.com

"إنها مخاطرة كبيرة بالنسبة إليّ، على الصعيدَين الشخصي والمِهني. عليّ أن أعرف إذا كان بإمكاني الوثوق بك تماماً".

"يمكنك الوثوق بي. أنت تحمل مهنتي بين يدَيك".

"بالطبع، ولكن ذلك ليس كافياً". ولوّح بإحدى تَينك اليدَين الكبيرتَين كما لو أنه يقول، ما الذي أكسبه في المقابل؟ ولم تستطع إبعاد نظرها عن يديه لعدة ثوانٍ. وعندما قامت بذلك أخيراً والتقت نظراتهما، لم يكن هناك في الواقع سوى شيء واحد يتعيّن قوله.

قالت: "سأُقفل الباب".

بعد مغادرة جوستين في وقت لاحق، جلس كريستوفر توماس على الأريكة الجلدية الواسعة وسوّى ملابسه. لقد شعر بالسرور من نفسه، مجدَّد النشاط، ومستعداً للانكباب على العمل الليلي الحقيقي. فوقف ومدّد أطرافه، وتوجه بعد ذلك إلى طاولة مكتبه. لقد وفرت له جوستين استراحة سارّة، ولكن، كان لا يزال هناك قدر كبير من العمل يتعيّن عليه القيام به في هذه الليلة.

كان هاتف المكتب موضوعاً بجانب إطار صورة بقياس سبع بوصات طولاً وخمس بوصات عرضاً تظهر فيها زوجته، روزماري، وولداه. إنها مجموعة عائلية يبدو السرور على وجوه أفرادها، وكان توماس يشعر بعاطفة معتدلة حيال الثلاثة: لا شيء يمنعه بالطبع من إشباع رغباته المُلحّة في نساء أخريات. ولم يكن يتوافر له، كما يبدو، أي وقت لتمضيته مع عائلته الصغيرة بسبب عمله كقيّم على المتحف ومشروعاته الأخرى الأقل اختلاطاً بالناس. ومع ذلك، من الجميل أن تكون هناك عائلة في الخلفيّة. لقد جعله الأمر يشعر بأنه... لا عيب فيه وموثوق به، ولا سيّما مع نَسَب روزماري؛ ابنة ثرية تتمتع بامتيازات. والزواج بها كان إحدى الخطوات الأكثر براعة التي قام بها يوماً. وابتسم للصورة ابتسامة وجيزة ومُصطَنعة؛ كان تصرّفاً لا إراديّاً بَحتاً. والتقط

www.ibtesama.com

الهاتف، وطلب رقماً من الذاكرة. وبعد أن سمع "أجل؟" مُقتضَبة على الجانب الآخر من الخط، تكلّم.

"لديّ ثلاث لوحات سوف تثير اهتمامك"، مجدداً، انتفضت زاويتا فـم تومـاس نحو الأعلى بابتسـامة تلقائيـة، "بما فيها لوحة نادرة نوعاً ما لسوتين".

وبعـد لحظـات مـن الصمت على الجانب الآخر من الخط، سُـمع تنفّـس أجـشّ - إخـراج دخـان سـيجارة مـن الفـم؟ - ثم قـال صاحب الصوت: "صِفها لي".

ففعل توماس: الحركيّة الاستثنائية في استخدام فرشاة الرسم كما لو أنه عَمَل من عالم آخر، البداهة التي تلتقطها الأنظار على الفور وتدخل قلب الناظر؛ بافتراض أن للناظر قلباً، عِلماً أن توماس يفتقر إليه. ولكن ذلك لم يمنعه من تقدير وَقع هذه اللوحة على الآخرين.

وتخلّـل توقفـاً طويـلاً آخر علـى الجانب الآخر من الخط تنفّسـان أجشّان. أخيراً، قال الرجل بصوت لطيف يميل إلى الخشونة: "حسناً".

فابتسم توماس مجدّداً، وبدت ابتسامته حقيقية هذه المرة لأنه كان على وشك الحصول على مِقدار كبير من المال هو بحاجة إليه. فبالرغم من ثراء زوجته وعمله المصحوب بدعاية كبيرة، كان كريستوفر توماس بحاجة مُلحّة إلى المال، وبسرعة.

قال: "سأرسل ثلاث لوحات إلى شركة الترميم خاصتك بعد ظهر غـدٍ عنـد الثالثـة والنصـف، سـتنقلها عربة نقل بيضاء مُقفَلة تحمل اسـم المتحف وشعاره على جانبها. اتفقنا؟".

وبعد زفير طويل أجشّ آخر، قال صاحب الصوت الأجش بلطف: "حسناً"، وأنهى المكالمة بعد ذلك.

أنهى كريسـتوفر توماس المكالمة شـاعراً بالسـرور من نفسـه. فبعد ظهر اليوم التالي، ستختفي اللوحات الثلاث من العربة التي تنقلها لتُزال

www.ibtesama.com

الشوائب منها، ومن الطبيعي أن يشعر القيّمون على المتحف بالانزعاج، ولكنهم سيحصلون أيضاً من شركة التأمين على شيك مصرفي بمبلغ كبير. وفي مكان ما، يقوم جامع تُحَف بالحصول على ثلاثة أعمال فنّية جميلة، ويحصل توماس على مبلغ نقدي كبير. وكمكافأة إضافية، ستكون الشابة التي غادرت أريكته منذ فترة قصيرة ممتنّة بالتأكيد لأنه مكّنها من الاحتفاظ بعملها؛ من الواضح أنه سيختلي بها في المستقبل في موعد غرامي على الأريكة الجلدية التي يعوَّل عليها.

وهكذا، أقفل كريستوفر توماس الراضي عن نفسه مكتبه، وعبَر الرَّدهة في اتجاه الدرَج الرخامي. كانت الأمور في تحسّن، وفي الوقت المناسب تماماً. احتسب في ذهنه المال الذي سيحصل عليه خلال نزول الدرَج. بلغ منبسَط الدرج ودار حوله، وواصل النزول إلى الطابق الرئيس للمتحف، وسمع صوتاً صاخباً منبعثاً من راديو الحارس تَردد صداه بطريقة مُبهَمة وكَتم وَقعَ خطاه على الدرج الرخامي. سمح لنفسه بالتظاهر للحظات فقط بأن الحشد يهتف له؛ لقد نجحت صفقته ودنا يوم قبض المال، ثمّ قال في سرّه: فليحيَ توماس.

مرّ توماس بجانب رامي الرُّمح المكسور الرخامي وتوجه إلى المركز الأمني عند الباب الأمامي. قال للحارس: "عُمتَ مساءً، يا أرتي".

نظر الرجل إليه، وأُضيء وجهه بتوهّج غامض ومخيف نابع من أنوار نصف دزينة من أجهزة المراقَبة الفيديوية المحيطة به، وقال: "مرحباً سيد توماس. ستعرّج عليه هذه الليلة؟".

"أجل. يتعيّن علينا كلنا الذهاب إلى المنزل أحياناً". كان توماس قد تدبّر لأرتي روبي هذا العمل في جهاز الأمن التابع للمتحف بالرغم من ماضي أرتي الذي سادته تقلّبات متواصلة من النجاح والإخفاق. فتوماس يعتبر أنه لا ضَير من وجود شرطي سابق غير مستقيم يعمل لصالحهم في جهاز الأمن؛ فالأمر مفيد وملائم أحياناً.

www.ibtesama.com

ابتسم أرتي وقال: "أليست الحقيقة؟ حسناً، أَمضِ ليلةً سعيدة، يا سيد توماس".

أومأ توماس إليه وتوجّه إلى الباب الأمامي حيث انتظر لحظةً واحدة قبل أن يضغط الحارس على الجرس الأمني الطنّان، ثمّ خرج عبر البوابات الزجاجية المزدوجة إلى رَحِم الليل.

سار توماس على ضوء الأنوار الأمنية المتوهّجة البرتقالية المثبَّتة على الجهة الأمامية للمبنى، ودار حوله إلى الناحية الخلفية حيث يوجد موقف الموظفين. كان السير الطويل مزعجاً، ولا سيما في نهاية يوم شاق، ولكن شركة التأمين أصرت على بقاء الباب الخلفي مُقفَلاً. فهذا الباب لن يُفيد بشيء هذه المرة حتى ولو كان مفتوحاً، وأخذ يتساءل في سرّه عن المبلغ الذي قد تعود عليه لوحة سوتين.

كان موقف السيارات أكثر عتمةً من الناحية الأمامية للمبنى، ويضيئه مصباحان كبيران وُضع كل منهما على طرف. ولكن توماس رأى أن أحدهما، الأقرب إلى سيارته، غير مضاء. فقطّب حاجبيه وهزّ رأسه. كان يُفترض بجهاز الصيانة التحقق من الأضواء بشكل منتظم - مجدداً، وفقاً لرغبة شركة التأمين - ولكن أحدهم أهمل القيام بهذه المهمة. وثبّت هذه الملاحظة في ذهنه لتوبيخ العاملين في جهاز الصيانة عند الصباح. لم يكن بحاجة بالتأكيد إلى حدوث متاعب مع شركة التأمين، لا سيما وأنهم على وشك تحرير شيك كبير لصالح المتحف.

وبينما كان لا يزال يهز رأسه بسبب هذا الإهمال، بحث عن مفاتيح سيارته في جَيبه وأخرجها، ثمّ دنا من سيارته من طراز بي أم دبليو كان قد اشتراها منذ عامَين. وفي أثناء قيامه بفتح قفل السيارة ومدّ يده لفتح الباب، شعر، أكثر مما رأى، بشيء ما ينسلّ خارج الظلال بجانب جناح دامبستر التابع للمبنى ويتوجه إليه ويقف وراءه. وقبل أن يتمكن من الالتفات أو حتى تقويم وِضعته، ضغط شيء ما بارد وصلب على

www.ibtesama.com

الناحية الخلفية لعُنُقه، ثم قيل له: "ادخل السيارة".

فتسمّر توماس في مكانه، ولم يتمكن من التفكير أو حتى التنفس للحظات.

ضغطت البقعة الباردة بقوة أكبر على عُنُقه، وكُرِّر الأمر: "إلى داخل السيارة. الآن".

فتحرك توماس، وفتح الباب، وجلس وراء المِقوَد. وانسلّ الظل وراءه إلى المقعد الخلفي وأغلق الباب بسرعة وصمت، ومن ثمّ أُعيدت البقعة الباردة إلى عُنُقه مجدّداً.

قال صاحب الصوت: "كيف حالك، يا كريس؟". كانت الكلمات ودودة ولكن الصوت الذي نطق بها كان بارداً وفارغاً.

"من أنت؟".

"صديقُ صديق. طلب مني أحدهم المرور بك لإلقاء التحية".

"ليس... أي صديق؟ ماذا تريد مني؟".

قال صاحب الصوت بانسياب مماثل لانسياب الزواحف: "آه! أعتقد أن كلينا نعرف ماذا أريد، كنتَ تتجاهل صديقنا المشترَك، وهو يكره أن يتم تجاهله. يكره ذلك كما يكره الموت". وتأكيداً على الأمر، ضغط الرجل بماسورة المسدس على عُنُق توماس الذي شعر بألم، ثمّ أضاف: "أبهذه الطريقة تعامل صديقاً صالحاً؟ صديقاً يُقرضك هذا المقدار من المال من كل قلبه؟".

حينها، عرف توماس مَن أرسل هذا الرجل. لقد توقّع أنه المُرسِل منذ خروج الرجل من الظلال وقدومه إليه، ولكنه أصبح الآن على ثقة تامة. كان قد توقّع إلى حدٍّ ما حدوث أمر مماثل منذ اقتراض المال. كانت خطوة غبية حقاً وأحد الأمور القليلة الخرقاء في الواقع التي قام بها يوماً، ولكنه كان بحاجة إلى المال، وها هو يدفع ثمن ذلك.

قال توماس: "يمكنني الحصول على المال".

www.ibtesama.com

"إنه خبر ممتاز يا كريس. لماذا لا تقوم بذلك؟".

"أنا... أنا بحاجة إلى بعض الوقت".

"كلنا بحاجة إلى الوقت يا كريس، ولكننا لا نحصل كلنا عليه".

قال توماس: "لا، اسمع، أنا بحاجة إلى بعض الوقت حقاً. أنتظر الحصول على مبلغ كبير من المال، قريباً جداً".

"أنا سعيد جداً لأجلك، ولكنني بحاجة إلى بعض المال الآن".

"لا أملكه الآن، ولكنني سأحصل عليه... سأحصل عليه كله، قريباً جداً".

لم تكن الضحكة الخافتة التي أطلقها الرجل من المقعد الخلفي مُضحكة، قال: "أتعلم كم مرة أسمع مثل ذلك الكلام؟".

"ما أقوله صحيح"، أصرّ توماس. وأخبر الرجل بتردد عن اللوحات التي ستختفي قريباً، وعن كيس المال الكبير الذي سيحصل عليه.

ساد صمت، صمت طويل وغير مريح في المقعد الخلفي. وبعد ذلك قال الرجل: "ومتى يحدث ذلك؟".

"غداً. يُفترض بي الحصول على المال في غضون أسبوع. كل المال".

تلى ذلك صمت طويل آخر، وشعر توماس بانسيابٍ بطيء لقطرة عرَق على عُنُقه بالرغم من البرد القارس في السيارة.

أخيراً، تكلم الرجل قائلاً: "أكره التفكير في أنك تستغلّ صبري يا كريس".

"أُقسم لك".

"لأنك تسخر في الواقع من بعض الأشخاص الجديّين".

كرر توماس: "أُقسم لك".

"أعطني يدك".

فرفّت عينا توماس بسبب الطلب الغريب، ثمّ سأل: "ما... ماذا؟".

www.ibtesama.com

"يدك. أعطني إيّاها".

ببطء وارتباك، مدّ توماس يده في اتجاه المقعد الخلفي. فأمسكها الرجل وحملها، وللحظات، اختفت الدائرة الفولاذية الصلبة عن عُنُق توماس.

"سأصدّقك هذه المرة فقط. وآمل ألاّ يكون هذا الأمر غباءً مني".

قال توماس: "لا، أنا..."، ولكن الرجل أمسك بإصبع توماس الصغيرة وكسره.

"لا تخيّب ظنّي". وشدّ الرجل باتجاه الأعلى بقوة، وملأ صوتُ كسر الإصبع الصغيرة السيارةَ.

صرخ توماس: "آآه". كان الألم حاداً، وحاول سحب يده المصابة، ولكن الرجل تمسّك بها.

قال الرجل لاوياً الإصبع المكسورة: "هل تفهم ما أقوله؟".

"لقد... لقد... آآه... أجل، أجل، لقد فهمت".

قال الرجل، ضاغطاً على الإصبع بقوة: "هل أنت واثق؟".

"أجل، آه ه، أنا... أوه... واثق تماماً".

"أسبوع واحد". وأفلت الرجل الإصبع، وفتح الباب الخلفي للسيارة، وتوارى في ظُلمة الليل.

راقبه كريستوفر توماس وهو يغادر، مُمسكاً بإصبعه التي هوجِمت بضراوة. كانت كل يده تهتزّ وصولاً إلى الرُّسغ، ولم يتمكن من القيام بأي شيء لفترة من الزمن سوى حمله على صدره وعضّ شفته. ولكن الألم لم يخفّ، وتلمّس توماس المفاتيح بحثاً عن مفتاح تشغيل المحرك، ووضعه داخل آلية التشغيل، وقاد السيارة بحذر.

www.ibtesama.com

2

ألكسندر ماكول سميث

"يا له من مضيف جوّاد!".

قالت جوستين ذلك، وهو قال في سرّه: كم هي ساذجة! لقد سبق لها أن زارت أوروبا مرتَين، وحرصت على إطلاعه على الأمر قبل إقلاع الطائرة مباشَرةً. كانت قد أمضت شهراً في لندن، في عامها الثاني في الكلّية، في ذلك المكان قرب أوستن - لم يعُد باستطاعته تذكّر اسمه - من ثمّ أمضت أربعة أشهر في أمستردام في متحف ريجكس بصفةٍ مقيمة. هناك، جمعت معلومات عن اللوحات، أو بالأحرى، ادّعت أنها قامت بذلك؛ كانت لديه شكوكه حيال ذلك، ولكنه لم يُفصح عنها قطّ. لم يكن الإفصاح أمراً ضرورياً؛ ففي عالم الفن، يكفي في غالب الأحيان رفع أحد الحاجبَين.

نظر إليها كريستوفر توماس من فوق طاولة المقهى، وابتسم قائلاً: "ولكنّ الأثرياء هم على الدوام مُضيفون جوّادون، لا أذكر أنه تمّت استضافتي في أي وقت من الأوقات... كيف أقول ذلك؟... ببُخل شديد من قِبل أشخاص ذوي مال. ماذا عنكِ؟".

فلم تُجب، ويعود السبب، كما ظن كريستوفر، إلى أن أي ثريّ لم يَقُم باستضافتها يوماً في الواقع. لقد التقت هؤلاء الأشخاص بسبب عملها في المتحف، ولكن اللقاء شيء وتلقّي الدعوات الاجتماعية شيء آخر. أما الأمر فمختلف بالنسبة إليه؛ فهو لم يتزوج بروزماري فحسب، بل شق طريقه في عالم الفن أيضاً. كان شخصاً مغموراً، ولكن هذا

www.ibtesama.com

الأمر لا يُعتبر عائقاً إذا كنتم كالحِرباء تتلوّنون بلون البيئة المحيطة بكم وتعتمدون أفكارها. كان الأمر سهلاً، فالناس في عالم الفن أصغوا إليه وأذعنوا له.

مدّت جوستين يدها لتناول قنّينة شرابٍ كان مالك المقهى قد وضعها على الطاولة، فملأت كأسه، ثمّ سكبت كمية قليلة في كأسها.

"حسناً، أظن أنني لست معتادة على هذا الشراب"، قالت ذلك شاعرةً بأنها غير متماشية مع الآخرين، ومعزولة قليلاً عن أجواء هذا البرج الذي يُعتبر عاجيّاً بكل معنى الكلمة. ولكنه حالها على الدوام. إنه شعورها منذ سنوات التخرّج في الكلّية، وفي أي مؤسسة أخرى تقريباً. "ولكن يجب أن أقول إنني أحبه".

تناول رشفة من الشّراب. "بالطبع، من لا يحبه؟".

"يَصعب العمل في هذه الأجواء".

هزّ يده ذات الإصبع المضمَّدة بطريقة تحذيرية ساخرة وقال: "اسمعي، نحن في عمل. تذكّري، إنه مؤتمر ونحن هنا نيابةً عن المتحف، وليس لأننا نريد تمضية خمسة أيام في فرنسا، وليس لأننا نريد النزول في شاتو بلبيرس، وليس لأننا نريد الجلوس في مقاهٍ كهذا المقهى وتناول الشراب. يمكننا الذهاب إلى نابا للقيام بكل ذلك".

ضحكت بعصبية وقالت: "بالطبع. تخونني الذاكرة أحياناً ليس إلا". "حاذري".

"أخبرني مجدّداً، ماذا حلّ بإصبعك؟".

"لم أخبرك عندما طلبتِ مني ذلك في المرة الأولى".

لزما الصمت، ونظرت جوستين من فوق كتفه، متناسيةً وجوده لبعض الوقت، إلى الصف الصغير من جذوع الأشجار في الجانب الآخر للميدان. تحت الأشجار، وعلى مساحة صغيرة ومستطيلة من تربة بيضاء جُمعت الأوراق المتناثرة عليها في إحدى زواياها، كانت

www.ibtesama.com

مجموعة من الرجال يعتمرون قبّعات مسطَّحة يمارسـون لعبة الكُرات. لقد فاز أحدهم، كما تصوّرت، ورُبِّت على ظهره تهنئةً له؛ فانتصار صغير يستوجب تهنئة من هذا الحجم. ووراء اللاعبين والأشجار، وعند مدخل دار العبـادة فـي الزاويـة، كانـت تقـف امرأة بدينة ترتدي ملابس سـوداء وتنظر في اتجاهها.

نظر كريسـتوفر إلى سـاعته وقال: "من الأفضل أن نعود إلى الشـاتو بلبيـرس. إنهـا السـاعة الرابعـة. هناك محاضـرة عند الخامسـة. أظن أنه يُفترض بنا أن نكون هناك".

سيكون الجميع هناك؛ كلٌّ من المتبحّرين الثمانية بشؤون اللوحات المدعوّيـن مـن قِبـل مضيفهـم، وكل الخبـراء الاثنَي عشـر. سيُصغون، ويطرحون قليلاً من الأسـئلة، ومن ثم يتوقفون حتى يحين موعد تناول المشروبات قبل العشاء. فالأمر يكاد لا يتطلب مهارة أو جهداً.

أفرغت جوستين كأسها في فمها. لم يسبق لها أن تناولت الشراب فـي منزلهـا عنـد الرابعة عصراً، ولكنها فرنسـا وبدا أنـه أمر من الطبيعي القيام به، فشـعرت... بالسـعادة تقريباً. وعندما كان كريسـتوفر قد اقترح مشـاركتها فـي هـذه الرحلـة، تـرددت في بـادئ الأمر. لم يسـبق لها أن سـافرت معـه، ولـم تكـن واثقة ممـا إذا كانت تريد ذلك. كان رئيسـها، وكان متزوجـاً بالرغـم مـن تخطّي حدودهما في عدة مناسـبات - كانت على معرفةٍ بزوجته روزماري - لم تكن لتشرع بأمر مماثل، بل هو من قام بذلك، واضعاً إيّاها أمام الأمر الواقع، فأذعنت. ما الذي كان بإمكانها القيام به سوى ذلك؟

لكـن دعوتهـا للمشـاركة فـي هـذه الرحلـة بـدت كما لـو أنها رفع للرهانـات، وتبـاهٍ بعلاقتهمـا الغراميـة. حسـناً، إذا كان مسـتعداً لذلـك، فلربمـا تكـون مسـتعدة هـي أيضـاً. لم يكن في حياتها أي شـخص آخر في ذلك الوقت.

www.ibtesama.com

فكرت مجدداً في حديثهما عن هذه الرحلة...

سألها: "هل سمعتِ بكارل بورتر؟ مؤسسة بورتر؟".

قالت: "نعم"، عِلماً أنها لم تكن قد سمعت به حتى استقائها بعض المعلومات عنه من محرك البحث غوغل على الإنترنت.

"أحياناً ينسى الناس وجود أشخاص حقيقيين وراء هذه المؤسسات. يُقيم كارل في فرنسا منذ سنوات. يجمع الأموال من مستحضرات التجميل... أحمر الشفاه أو ما شابه. سِلع منخفضة الثمن. بأي حال، ملّ كارل وزوجته من بالم بيتش، وقررا الانتقال إلى فرنسا. كان جامعاً كبيراً للأشياء القيّمة ويعرف ما الذي يقوم به؛ لديه مجموعة رائعة الآن ويحب مشاطرتها مع الآخرين".

بدأ الأمر يتّضح لها، فسألت: "مشاطرتها؟ تعني أنه قد يعطينا - للمتحف - شيئاً ما؟".

فهزّ كريستوفر رأسه وقال: "لا. كارل بخيل. إنه يبحث عن وسيلة لأخذها منا".

"إذاً، ماذا عن هذه الدعوة؟".

شرح لها الأمر قائلاً: "إن فكرة كارل بالمشاطرة تتمثل بدعوة أشخاص للقدوم والتعبير عن روعة لوحاته. لديه ما يدعوه مؤتمرات. إنها تدوم خمسة أيام تقريباً، وأحياناً أسبوعاً كاملاً. هو يدعو جامعي تُحَف آخرين ومجموعة صغيرة من الناس يدعوهم خبراء، وذلك من المتاحف ومعارض الفنون. أي نحن".

"ونقوم بامتداحها لقاء الحصول على عشائنا؟".

فابتسم كريستوفر قائلاً: "تماماً. ليس عليك القيام بأي شيء. فالدعوة موجَّهة إلى شخصين من المتحف، هذا كل ما في الأمر. بالطبع، أصطحب معي شخصاً آخر إذا كنت تفضّلين ذلك...".

"سأرافقك".

www.ibtesama.com

عادت جوستين إلى اللحظة الراهنة، محدّقةً إلى كريستوفر توماس، ووجهه المستطيل، والتعبير التهكمي الدائم على شفتَيه.

لقد بدا كريستوفر مسروراً. من جهتها، لم تكن تعتريها أي أوهام حيال سبب دعوته لها. كان بحاجة إلى بعض الترفيه؛ لقد استخدم في الواقع هذه الكلمة من قَبل عندما أشار إلى العلاقة القائمة بينهما. إنها وسيلة للترفيه. كان بإمكانها أن تغضب، ولكنها لم تفعل وفاجأها ذلك. لقد شعرت بالإطراء بطريقة ما لأن كريستوفر توماس العظيم وجدها مسلّية. وهل تملك ميزات أخرى؟ لقد أدركت منذ مدة طويلة - وهو أمر لا يدركه الناس أحياناً إلا في وقت لاحق - أن الملابس لا تجعل المرأة مسلّية. لديكم فرصة واحدة في الحياة وعليكم التشبّث بما يُعرَض عليكم. لقد شقّت طريقها في عالم الفن بالرغم من ندرة الفرص المتوافرة فيه، إذا وُجدت، ولم تكن تعتزم العودة إلى الوراء. كان سببَ احتفاظها بوظيفتها؛ وجّه إليها بعض الدعوات لأنه شعر بضرورة القيام بذلك؛ كانت في فرنسا لأنها تُعجِب كريستوفر توماس بما يكفي لدعوتها. وإذا عنى ذلك مشاطرة غرفة واحدة، فلن يكون الثمن الذي يتعيّن عليها دفعه كبيراً. لقد شاركت في الرحلة عن طيب خاطر، وهو أمر كانت قد استعدّت له طوال أسابيع.

قاد كريستوفر سيارة بيجو مستأجَرة عائداً إلى شاتو بلبيرس. لم تكن المسافة إليه طويلة بسبب وقوعه على بُعد خمسة أميال تقريباً من القرية. كانت منطقة جذابة: يمتد المنظر الطبيعي الواسع لشارانت تحت سماء بواتو - شارانت، هنا وهناك مدن كبيرة لكن الغالب قرى صغيرة، محاطة بحقول دوّار الشمس والحنطة، وكروم العنب، وغابات ممتدة. لقد هُجر الشاتو بلبيرس عملياً قبل أن يحصل عليه كارل من مالكه الأخير، وهو عقيد فرنسي شبه أعمى وآخر فرد من عائلة مشهورة عاشت هناك طوال خمسة قرون. وكان قد ترك فيه قسماً كبيراً من أثاثه

www.ibtesama.com

لأنه لم يستطع ببساطة تحمّل بيعه، وبكى في أثناء قيامه بمرافقة كارل وزوجته في جولة تفقّدية على كل غرفة.

لقد سبق لكريستوفر أن زار الشاتو بلبيرس في عدة مناسبات بعد قيام كارل بنقل المجموعة من المستودع الآمن قرب فيلادلفيا حيث أمضى الأشهر الثمانية عشر السابقة. أراد كارل الحصول على نُصحه، ليس بشأن اللوحات التي يملكها، بل بشأن المعامل أيضاً التي يعتزم شراءها. كان كريستوفر سعيداً بإبداء آرائه، وأقنع كارل ببيع عدة لوحات ذات مزايا مشكوك فيها أو مناشئ محطّ ريبة. وقوبل هذا النُصح بمكافأة مالية - مكافأة سخيّة بشكل ملحوظ نظراً إلى بخل كارل الذي يشتهر به - أو بِهديّة في بعض الأحيان هي عبارة عن لوحة صغيرة. كان كريستوفر يملك لوحة لفويار مرسومة بالباستِل أعطاه إيّاها كارل عربون امتنان بسبب توسطه لامتلاك شيء ما كان كارل يتوق منذ مدة طويلة للحصول عليه.

لقد احتفظ كريستوفر بلوحة فويار طوال عام قبل أن يبيعها سرّاً لتاجر في باريس أكد له أنها ستباع لزبون خاص ولا تظهر في دور المزاد العلني. كان يعلم أن كارل يطّلع على كل الكاتالوغات - دار كريستي، دار سوثبي، فيليبس - وإذا عُرضت لوحة فويار للبيع في السوق المفتوحة فإنه سيلاحظ وجودها ويشعر بالاستياء.

كان كريستوفر وجوستين قد وصلا في اليوم السابق، واستقلا القطار السريع من شارل ديغول، واستأجرا سيارة في أنغوليم. لقد افتُتنت جوستين بالشاتو بلبيرس وشعرت بالارتياح بطريقة ما بسبب نزولها في غرفة خاصة بها. ولكن في تلك الليلة، وبعد العشاء، قرع كريستوفر بابها وأدخلته.

قال هامساً: "إنه منزل قديم جداً، وأنا أشعر بالوحدة".

بدأ المؤتمر الرئيس في اليوم التالي ونوقشت فيه آخر لوحتَين

www.ibtesama.com

اشـتراهما كارل - لوحـة لـدورِر ولوحـة لهوبّـر هـي من أولـى أعماله. وقامـت امـرأة من برلين بالتعريف بلوحـة دورِر، وتحدثت مطوَّلاً قائلةً: "انظروا إلى الوجه، وطريقة نفوره من الخلفية بسبب تسليط الضوء عليه. وكل شيء آخر يلفّه الظل؛ فالوجه وحده مُضاء".

ضـرب كريسـتوفر جوسـتين بمرفقـه وقـال: "كان يسـتخدم الغرفـة المظلمة. هل قرأتِ ما كتبه هوكي عن هذا الأمر؟".

نظـر فـي اتجاهـه رجـل جالـس بقربـه، مسـتهجناً ما يقولـه؛ ففهم كريسـتوفر معنى النظرة وأومأ إليه. كبتت جوسـتين ابتسـامتها، وتذكّرت قول إحدى صديقاتها لها: انظري، يا جوسـتين، ذلك الرجل يسـتغلّك. الأمـر واضـح. وأدركـت أن صديقتهـا مُحِقّـة، ولكنها قالـت لها حينها: ولكنه مُسلٍّ جداً. إن طريقته مَرِحة. ألا تدركين ذلك؟

كانـت لوحـة هوبّر أكثر تشـويقاً. لم تكـن ذائعة الصيت وذَوت في مجموعة خاصة مغمورة طوال ثلاثين عاماً قبل أن يحظى كارل بفرصة شـرائها بمبلغ 4 ملايين دولار. غرفة فندق في الليل مع سـتارة يحرّكها الريح: إنه حقل هوبّر الكلاسيكي، في جوّ ينذر بحدوث أمر ما وشيك. ألقـى كارل كلمتـه بنفسـه - إنجـازه الرئيـس لهـذا الأسـبوع - وأصغى الحضور بكل انتباه، أولئك الذين دُفع لهم للاسـتماع حتى من دون أن يتلقّوا أي مبلغ؛ فقد تمّت استضافتهم لمدة أسبوع من قِبل رجل يملك 4 ملاييـن دولار ليُنفقهـا علـى لوحة تظهر فيهـا غرفة فارغة حيث يُنتظَر حدوث أمر ما لا يمكن تحديده.

تشتّت انتباه كريستوفر، ووجد نفسه ينظر إلى الناحية الخلفية لعُنُق المـرأة الألمانيـة التـي حدّثتهـم عن دورِر. ألمانيـة دقيقة، لا بل أكثر من ذلـك بقليـل، علاّمـة. لا بـد من أنها كانت شـديدة العناية بالتفاصيل في سـان فرانسيسـكو، وتشـعر بأنها في غير محلّها؛ إنها صلبة العود. ولكن النسـاء المماثـلات يشـكّلنَ تحدّياً، وبالإمكان الحصـول عليهنّ ولكنهنّ

www.ibtesama.com

لسنَ متوافرات، مما يجعلها أكثر إثارة للاهتمام. أدارت المرأة الألمانية رأسها قليلاً، بلا سبب، والتقت نظراتهما، وغيّرت وضعة ساقَيها الجميلتَين، وابتسمت له.

فبادلها الابتسامة.

قالت جوستين لكريستوفر: "لن أجلس بجانبك في أثناء العشاء".

"ولكننا سنتقابل في وقت لاحق؟".

لمست ساعده وقالت: "أجل، لِمَ لا؟".

كان باستطاعته التفكير في عدّة أسباب لا تمنعهما من التقابل. فكلها أسباب وجيهة؛ من دون الكشف عن أي منها بالطبع. فهناك رغباته التي يجب إشباعها، وجوستين الجميلة ما زالت تُشبعها بطريقة ملائمة.

ألقى نظرة سريعة على المرأة الألمانية في أثناء انتقالهم إلى غرفة الطعام، وهي قاعة طويلة ذات سقف يحتوي على تجويفات تحمل رسوماً.

تمّ إجلاسه بجانب المرأة الألمانية - ضربة موفَّقة غير متوقَّعة - وكان كارل إلى جانبها الآخر؛ من الواضح أنهما حظيا بعطفها.

ضحك الثلاثة، ثمّ التفتت المرأة الألمانية إلى كريستوفر وقالت: "كنت آمل التحدث إليك".

رفع حاجبه؛ كانت أكثر جاذبية عن قُرب، وأَسرته لكنتها. لقد بدت سويدية أكثر منها ألمانية.

كان طلَباً أم تلميحاً إلى طلَب. كانوا يخططون لإقامة معرض في برلين لرسام فلَمنكي يُعرَض أحد أعماله الفنّية في متحف كريستوفر. هل يتكرّم بالتنازل عن هذا العمل الفنّي مؤقتاً؟ واتفقا على ردّ الصنيع بمثله، بالطبع، عندما تسمح الظروف.

تكلمت المرأة الألمانية بشكل محدَّد قائلةً: "باستطاعتي القدوم لأخذه إذا لم يكن باستطاعتك الاستغناء عن أي شخص".

www.ibtesama.com

"بالتأكيد. ويمكنني أن أُريك سان فرانسيسكو".

"ستكون بادرة لطيفة جداً من قِبَلك".

لاحظ بشرتها ذات السُّمرة التي يحظى بها بعض أنواع الأشخاص في أوروبا الشمالية بسهولة، ذلك اللون الذهبي الخفيف الذي وجد أنه لا يقاوَم. قال في سرّه: إنها أصغر سناً منّي بأعوام قليلة، ثمّ نظر إلى اليد اليسرى - تصرّف لاإرادي بَحت - خاتم، عقيق أحمر، ولكنه لا يشير إلى أي ارتباط مجرد حِلية.

انزلقا إلى حوار ودّي خالٍ من الإرباك. كان كارل يشارك في حديث إلى يساره، وهكذا تحدّثا في أثناء المؤتمر الأول والمؤتمر الثاني. كانت تتودّد إليه والإيماءات واضحة لا لَبس فيها. لقد بدا مأسوراً بها، وشعر بالإطراء قليلاً.

سأل: "أين تقيمين؟ أعني، هنا. أنا في الناحية الخلفية. لقد حصلتُ على هذا المنظر الرائع؛ النهر وبناء فخم نوعاً ما عند نهاية المرجة".

قالت: "أنا في تلك الناحية أيضاً، أعتقد أنني على بُعد أبواب قليلة من بداية الممر. أجل، على بعد بابَين بالتحديد".

اعتبر أنه فهم تماماً. كان مندهشاً ولكنه بدا سعيداً، وعثر على غرفتها بسهولة.

لم يرَ جوستين عند الفطور في صباح اليوم التالي. كانت هناك محاضرة عند العاشرة يناقش خلالها رجل من المتحف الوطني في لندن مجموعة كارل التي تحتوي على لوحات رسّامين كبار، ولا بد من أن تكون موجودة هناك للتحدث إليها ومعالجة المسألة. قال في سرّه: لا يحق لها مطالبتي بشيء، لا يحق لها أبداً.

ولكن أين كانت جوستين؟ فشعر بالانزعاج قليلاً؛ إنه العمل - لقد ناقشا هذا الأمر - ولم يشأ أن تُؤذي كارل من خلال عدم حضور وقائع المناسَبة المنظَّمة بعناية. وبعد ذلك، استدار جزئياً ورآها جالسة عند

www.ibtesama.com

الطـرف الأبعـد للصف الأخير، وعيناها مثبّتان على المُحاضر. لم تنظر إليه، ولكنه كان على ثقة بأنه لا بد من أن تكون قد رأته.

بعـد انتهـاء المحاضـرة، وبعد طرح بعض الأسـئلة وحدوث بعض التململ فـي صفـوف الضيـوف، نظر كارل إلى سـاعته. لقد حان وقت قهوة الصباح التي قُدّمت على الشرفة.

كان الضوء في الخارج برّاقاً، ووضع كريسـتوفر نظارة شمسـية في أثناء ارتشاف القهوة. خرجت جوستين ونظرت في أرجاء المكان بسرعة؛ مجـدّداً، لا بـد مـن أن تكـون قـد رأته، كمـا اعتقد، ولكنهـا اعتبرت أن الذهاب للتحدث إلى شخص آخر أمر أكثر أهمية بالنسبة إليها. فوضع كوب القهوةِ على حافّةٍ حجريّةٍ منخفضةٍ، ومشـى على جانب الشـرفة، وتوجّه نحوها لاعتراضها.

"صباح الخير".

فنظرت إليه ببرودة قائلةً. "صباح الخير".

نظر حوله: كان الضيوف الآخرون منشغلين بتبادل أطراف الحديث مع بعضهم البعض، ولا أحد سيسترق السمع. قال: "أنت تتجاهلينني".

فتظاهرت بالتفاجؤ وقالت: "ما الذي جعلك تعتقد ذلك؟".

"لا تراوغي. نظرتِ اتجاهي مباشَرةً هناك".

ترددت كما لو أنها تفكر في كيفية رفع حدة التوتر، وإلى أي مدى، ثمّ قالت: "أنت من يقوم بتجاهلي".

لقد اعترضت نظراتِه المحدّقة، عِلماً أنها تنظر إلى نظارته في حين أنه ينظر إلى عينَيها؛ كانت له الأفضلية.

سألته: "كيف حال صديقتك الألمانية؟".

"ماذا؟".

"صديقتك الألمانية. صديقتك الجديدة. تحدثتُ إليها هذا الصباح. قبل المحاضرة تماماً".

www.ibtesama.com

"أنت... ماذا؟".

قالت جوستين: "لقد تفاجأت، لقد تفاجأت عندما سمعت أنك هنا معي. لقد ظنت...".

فاستدار كريستوفر وغادر.

تبعته جوستين وأمسكت بذراعه. كان تشبثها قوياً على نحوٍ مفاجئ؛ لقد شعر بأظفارها تنغرز في لحمه. فحاول إبعادها، ولكن تشبّثها كان مُحكَماً.

قال مُهسهِساً: "ماذا تظنين نفسك فاعلة؟ ليس أمام الجميع".

قالت، هامسة: "لا أحد ينظر، اسمع يا كريستوفر، هل فكرتَ يوماً في هذا الأمر: ذات يوم، سيقوم أحد الأشخاص الذين تستغلهم بإيذائك؟ أعني، إيذاءك حقاً؟".

أبقى صوته منخفضاً وقال: "لا أدري عما تتكلمين".

"آه! ألا تدري؟".

"لا".

تركته جوستين، وفرك ذراعه حيث كانت قد أمسكت به. سوف يحمّلها مسؤولية ذلك.

ذاك المساء، قال له كارل بعد العشاء: "يا كريس، تعالَ وانظر إلى شيء ما مثير للدهشة حقاً، في الطابق العُلوي. أنتَ بمفردك".

"بالطبع، يا كارل. الآن؟".

فأومأ كارل ومشى في المقدمة إلى الطابق الثاني، إلى غرفة لم يدخلها كريستوفر من قَبل. كانت قاعة الاستقبال الصغيرة والخاصة سداسية الأضلاع، وليست جدرانها سوى جدران البرج الموجودة فيه. كان الشعور عموماً يوحي بالأُلفة: خزانة كتب كبيرة، لوحات صغيرة على الجدار، مطرَّزة جدارية فوق المدفأة.

قال كارل مشيراً إلى صورة رجل جالس في أحضان طبيعة مليئة

www.ibtesama.com

بالأركادي: "بوسـان؛ صورة صغيرة جميلة. لقد كتب بلانت عنها، كما تعلم، ولفت انتباهي إليها".

أغلق كارل الباب وراءهما كي يكونا بعيدَين عن أنظار الموجودين في الممر وتابع قائلاً: "مهما كنت حريصاً، فعليّ أن أكون أكثر حِرصاً. انظـر إلـى هـذه"، وفتـح دُرجاً في خزانة صغيرة ذات أدراج قرب النافذة وأخرج لوحة بحجم كتاب كبير موضوعة في إطار مذهَّب.

قال كريستوفر: "جميلة"، وانحنى فوق اللوحة لإلقاء نظرة متفحّصة عليها. وقف وهو يقول: "جميلة جداً".

كان كارل ينظر إليه عندما قال: "تعرف ما...".

وتكلـم كريسـتوفر بهـدوء: "يمكنني أن أرى مـا هي"، توقف قليلاً ثـمّ تابـع قائـلاً: "وماذا تريدني أن أقول؟ هل تريدني أن أقول أجل، إنها رائعة؟".

فهزّ كارل كتفَيه وقال: "لا أريد أن تقول شيئاً عن هذه اللوحة. ما أريدك أن تقوله هو أنك ستأخذها إلى سان فرانسيسكو لأجلي وتسلّمها إلى صديقي المرمِّم هناك... أنت تعرفه. سيقوم بما هو ضروري".

قطّب كريستوفر جبينه وسأل: "لماذا تطلب مني أخذها؟ ألا تستطيع أخذها بمفردك؟".

وضع كارل اللوحة على طاولة ونظر إليها بمودة قائلاً: "لا يمكنني القيام بذلك. لا يمكنني المجازفة خشية قيام أحدهم... باعتراضها. أنت تعلم أنني لا أستطيع". نظر إلى كريستوفر وثبّت عينيه عليه.

كان كريستوفر يعلم حقاً أن هذه اللوحة الصادرة عن مَرسَم ساندرو بوتيتشيللي، وربما يكون الفنان قد رسمها بنفسه، لا يمكن أن تقع بين أيدي دائرة الجمارك.

أضاف كارل: "إذاً، أنت مثالي. ألم يخبرك أحد يوماً بأن وجهك، يا كريستوفر، هو الوجه الأكثر صدقاً؟ مدير متحف ناجح في طريق عودته

www.ibtesama.com

.. اجتماع في فرنسا. لن يوقفك أحد ويقول: هل تتفضّل بإخبارنا شيئاً
.ا عن تلك اللوحة الصغيرة التي أخفيتها في حقيبتك، يا سيد توماس؟".

نظر كريستوفر إلى كارل الذي كان يتأمّله عن عَمد والذهول بادٍ على وجهه.

"آسف للاضطرار إلى قول ذلك يا كريستوفر، لصديق قديم، ولكن أولئك الذين كنت أئتمنهم على أسراري ومن ثم... ومن ثم أهملوا ضرورة كتمانها، لم يعودوا بخير، لم يعودوا بخير قطّ".

لم يستطع كريستوفر التصديق بأن كارل يهدّده. وعاد إلى الوراء في اتجاه الباب.

سأل كارل: "حسناً؟".

قال كريستوفر: "عليّ الموافقة، أليس كذلك؟".

وضع كارل اللوحة داخل حقيبة مخملية وسلّمه إياها.

خبّأ كريستوفر اللوحة في غرفته، ثمّ قصد قاعة الرسم حيث كان يجلس ضيوف آخرون ويستمتعون بتبادل أطراف الحديث حول أكواب القهوة في وقت متأخر من الليل؛ فجلس. لم تكن هناك أيّ من جوستين أو المرأة الألمانية. وبعد دقائق قليلة، استأذن للمغادرة. لقد جعله لقاؤه بكارل عكِر المزاج.

في صباح اليوم التالي، قرع باب جوستين، وعندما فتحته، اقترب منها وقبّلها. لكنها أبعدت خدّها وأشاحت بنظرها عنه.

أمسك يدها وقال: "رجاءً، دعينا لا نتصرف كالأطفال. هناك شيء ما أريد أن أطلب منك القيام به. هل يمكنك التكتّم على الأمر؟".

"بالطبع، يمكنني ذلك. أنت تعرف".

"نحتاج إلى إعادة لوحة ما إلى الولايات المتحدة. هل يمكنك نقلها مع أمتعتك؟ اللوحة ليست كبيرة".

"لماذا أنا؟".

www.ibtesama.com

قـال لهـا معتمـداً أسـلوب كارل: "ألم يخبرك أحـد عن مدى براءة وجهك... وجماله؟".

"أي نوع من اللوحات؟".

"سـتعرفين عندمـا ترينهـا". توقـف قليـلاً ثـمّ تابع: "إذاً، سـتقومين بذلك؟".

فكرت جوستين للحظات وأجابت: "أجل، سأقوم بذلك".

www.ibtesama.com

3

ريمون خوري

قـال كريسـتوفر تومـاس وهو يتكلـم عبر هاتفه المحمـول في أثناء التحديق خارج الجدار الزجاجي لمكتبه في مرفأ اليخوت في الأسفل. "سأقابله هذا المساء، أنا ذاهب إلى هناك عند السادسة".

قـال صاحـب الصوت على الطرف الآخر للخط: "اتصل بي عندما تنتهي المقابلة".

اعترض القيّم قائلاً: "سـيكون الوقت متأخراً بالنسـبة إليك. سـوف أتصل بك في الصباح - صباحك - وأُطلعك على ما جرى".

ارتسمت ابتسامة صغيرة على زاويتي شفتيه في أثناء إصغائه للإذعان الصامت على الجانب الآخر للخط. هو لم يتجاوز حد المعقول. فكارل بورتر في فرنسا؛ وكريستوفر في سان فرانسيسكو، ويبلغ فارق الوقت بين المنطقتَين تسع ساعات، ويعرف كريستوفر تمام المعرفة أنه من الأفضل تجنّب المناقشات مع أي شخص عند الثالثة أو الرابعة بعد الظهر، ولا سيما عندما يتم التطرق إلى موضوع حساس كالموضوع الذي يناقشانه. ولكـن الأمـر يتعـدّى كـون المـرء معقولاً؛ إنـه يتعلق بمواصلـة الهيمنة، والسـيطرة. وإذا كان هنـاك أمـر مـا يجيـده توماس فهو البقـاء في موقع المسيطر، حتى في مواقف يُقحَم فيها كما في هذه الحالة.

أجاب بورتر، متمتماً، وغير سعيد كما يبدو بتلقّيه إملاءات: "سأنتظر اتصالك عند السابعة".

"يمكنـك الاعتمـاد علـى ذلـك"، أجـاب كريسـتوفر قبـل أن يُقفـل

www.ibtesama.com

الخط، ونبضه في تسابق مع مشاعر مختلَطة.

لم يُعجبه قيام بورتر بالضغط عليه - لا بل تهديده أيضاً - لتهريب لوحة بوتيتشيللي إلى الولايات المتحدة. لم يكن كريستوفر توماس معتاداً على التعرّض لضغوطات للقيام بأي شيء لأي شخص. ولكن الابتهاج الجشِع بالنتيجة المحتمَلة حلّت مكان غضبه بالتدريج. فهو سيجني الكثير من المال جرّاء بيع اللوحة، ويجب ألاّ يُغضبه ذلك، ولا سيما الآن، لأنه بحاجة إليه.

استرسل في التمعّن بالمنظر الطبيعي الجميل خارج مكتبه؛ كان منظراً يوحي بمكانة رفيعة، ولا يتمتع به إلا من يحظى بهذه المكانة ومَن حقق مستوى معيَّناً من النجاح في عمله. إنه منظر مخصَّص لمن يجلس في ذلك المكان.

ولمتحف ماكفول أرت ميوزيوم أيضاً موقع يوحي بمكانة رفيعة على المَطلّ المائي الشمالي للمدينة، على جادة مارينا تماماً، وكان كريستوفر يملك مكتباً عند الزاوية كونه القيّم اللامع. وقف عند الواجهة الزّجاجية الممتدة من الأرض إلى السقف وراء طاولته، ونظر إلى قَصر أبيض وامض ينساب خارج مرفأ اليخوت في الأسفل، وتجنّبت أنظاره المحدِّقة جسرَ غولدن غايت الرائع الممتد وراءه، وركّز بدلاً من ذلك على امرأتَين لعوبَين سمراوين ترتديان لباس سباحة وتتقافزان مرَحاً على السطح الخلفي لأحد اليخوت. لقد حرّك المنظر شيئاً ما في داخله، تَوقاً أعاده إلى الوراء إلى حدود الذاكرة، تَوقاً إلى أمور أكبر وأفضل، تَوقاً يوشك حديثه إلى كارل بوتر على تغذيته إذا لعب أوراقه على نحو صحيح.

شاهد اليخت ينجرف بعيداً، وتحقق من ساعته، ثمّ عاد وجلس إلى طاولته، ناظراً إلى العالم المُترَف الذي كان قد أوجده لنفسه في مكتبه. فجأةً، بدا هذا العالم كما لو أنه يبهُت عند المقارنة، بالرغم من مظاهر

www.ibtesama.com

التدليـل والثـراء التـي يوفرهـا. فهو لم يفشـل قطّ في التأثيـر في أولئك الذين دُعيوا إلى أرضه فاحشة الثراء: كراسٍ فاخرة وطاولات جانبية من تصميم فرانك لويد رايت ومايكل غرايفز منتشـرة حول طاولته الصقيلة مـن طـراز روس لوفغـروف المصنوعـة مـن زجاج وفـولاذ؛ ومجموعة رفـوف فخمـة مـن طـراز بي آند بـي إيطاليا تضم مجموعتـه من الكتب الفنّيـة ذات الغلافـات الصلبـة والمرتَّبة على نحوٍ مثالي، ويحمل العديد منها تواقيع وإهداءات موجَّهة إلى كريسـتوفر من الفنانين الذين تحتوي هذه الكتب على أعمالهم الفنية؛ وملصقات إعلانية لمعارض سابقة قام كريسـتوفر بجمعها على مَرّ السنين، واضعاً الأعمال الفنية لبعض أكبر الأشخاص المشهورين في الفن الحديث في خزانات عرض؛ والمساحة المخصَّصة للأعمال الفنية التي تُعرض على نحو متعاقب والتي يقترضها مـن المجموعـة الخاصة بالمتحف - أخيراً، صورة ذاتية ضخمة لتشـاك كلوز تُعشـي البصر بأنماط ألوانها المتشـابكة - مُضفيةً مزيداً من البهاء علـى المكتـب. كان مكانـاً رائعاً للعمـل، ولكنه لم يكن كافياً؛ كان يريد المزيد.

المزيد المزيد.

تحقق من ساعته ثانيةً وتنهّد بعمق؛ أمامه أربع ساعات للمغادرة.

كان يكـره الانتظـار، ولكـن لـم يكـن لديه خيار آخـر. فانحنى إلى الـوراء فـي كرسـيّ طاولـة المكتب الفخمـة من طراز إيمـس، وأغمض عينَيه، وركز على المال الذي سيكون بين يدَيه قريباً.

وصل باكراً إلى دار المرمِّم، وركن سيارته احتراساً على بُعد مجمّع سكنيّ واحد، وحمل بيده بإحكام حقيبة أوراق جلدية سوداء قبل التوجه بسـرعة إلى مدخل المشـغل. أجاب المرمِّم بنفسـه على الجرس الطنان وأدخله، ثمّ أُغلق الباب الفولاذي الثقيل للاستوديو وراءه مُحدثاً رنيناً.

قـال نيكـو باندينـي في أثنـاء مصافحته بقوة: "تسـرني رؤيتك على

www.ibtesama.com

الـدوام، يـا صـديقـي، وفـي الوقت المناسـب لأجـل تناول جرعـة غرابًا لاستقبال المساء، أليس كذلك؟".

أجاب كريستوفر مبتسماً: "تماماً، من أكون لأُنهي التقليد؟".

تبع المرمِّم الفنّي الذي يميل إلى التآلف مع الآخرين عبر الاستوديو ذي السقف المرتفع، ومن حولهما مجموعة صغيرة من الحِرَفيين الذين يرتـدون معاطف بيضاء يجلسـون محدَودبـي الظهور في أماكن عملهم، ويكدحون في حجرة للنُّساخ من القرون الوسطى، محدّقين بتركيز فائق من خلال عدساتهم المكبِّرة، منظّفين ومُصلحين بدقة وعناية أعمالاً فنية قيّمة، غير متأثرين كما يبدو بالرائحة الطلاء، والزيوت، وأنواع الورنيش التي تسبب الدوار، والتي يغصّ بها المكان المماثل لعلّية.

قال كريستوفر، معلِّقاً أكثر منه طارحاً سؤالاً: "أمشغول؟".

أجـاب بانديـنـي: "لا بأس، هناك دائمـاً طلب على الفنون الجميلة، ولا سيما عندما يكون الاقتصاد جيداً".

"صحيح، يمكنك على الدوام العثور على شـارٍ عندما يتعلق الأمر بالفنون". وأومأ كريستوفر، متعمّداً تمهيد الطريق لما قَدِم لأجله.

قـال بانديـنـي سـاخراً: "إذا كان بإمكانـك دعـوة بعضهـا فنّاً. الناس مسـتعدون لدفـع ثمـن باهـظ لأجـل بُقَع مسـتديرة مثيرة للسـخرية يقوم بطباعتهـا أحـد أتبـاع داميان هرسـت الذّليلين"، هز رأسـه ثم تابع: "لقد جُنّ العالم، أليس كذلك؟".

"بأكثـر مـن طريقـة. ولكن، أنـا لا أتذمر. ولن تتذمّـر كذلك عندما ترى ما لديّ هنا".

ابتسم بانديني، واصطحب كريستوفر إلى مكتبه، مُغلقاً الباب وراءه.

قال كريستوفر: "هلاّ أقفلت الباب أيضاً؟".

"بالطبـع". أقفـل المرمِّـم الباب وعاد ليقول: "أعلم أنه ليس اتصالاً هاتفياً اجتماعياً. إذاً، ما الذي تحمله لي هذه المرة؟".

www.ibtesama.com

وضع كريستوفر حقيبة الأوراق على طاولة مكتب المرمِّم المليئة بأشياء مبعثَرة وقال: "ألقِ نظرة".

فتح بانديني زمام الحقيبة الجلدية السوداء وسحب الرزمة الصغيرة. كانت بحجم كتاب يوضع على طاولة صغيرة منخفضة، ملفوفة داخل كيس مخمليّ بنّي داكن اللون. فمدّ يده وسحب اللوحة الزيتية الموضوعة ضمن إطار وحملها بيدَيه، متفحّصاً إيّاها بعناية وبشفتَين مزمومتين.

كبت كريستوفر ابتسامته في أثناء مراقبة حاجبَي الرجل يرتفعان، وسمعه يُطلق صفّارة إعجاب.

"المنشأ؟".

أجاب كريستوفر بثقة: "من الدرجة الأولى. بائع سرّي. حصلت على كل المستندات ذات الصلة".

علّق باندينـي بفضـول قائلاً: "آه! إذاً، من يشترِ هذه اللوحة يمكنه تعليقها في الواقع في غرفة الجلوس".

ابتسم كريستوفر. فمعظم الأعمال الفنية التي أحضرها لباندينى هي أعمال "اقترضها" من مجموعة المتحف. كان يختار تلك التي لا يمكن افتقادها، أو يستبدل تلك التي يمكن لحِرفيّي باندينى إعداد نسخات عنها. أما لوحة بوتيتشيللي فمختلفة. قال: "يمكنهم تعليقها في رُواقهم الأمامي، وهذا كل ما يهمّني ما داموا يدفعون الثمن المناسب للحصول على المتعة".

سأل المرمِّم: "ما قيمة تلك المتعة برأيك؟".

"إنها تحفة فنّية رائعة رسمها الفنان الكبير بنفسه وليس أحد معاونيه في الاستوديو... أنا على ثقة من أنك تَعي ذلك".

قطّب الرجل حاجبيه وقال: "لا تخدعني يا كريستوفر. أعرف ما هي".

هز القيّم كتفَيه قائلاً: "ثلاثة ملايين دولار مبلغ منصف، كما أعتقد.

www.ibtesama.com

قـد تعـود علينـا بمبلـغ أكبر في المزاد العلني. ولكـن نظراً إلى الظروف وإلى ضرورة الانتهاء من المسـألة بسـرعة، أقبل بمليونَين وثمانمئة ألف دولار".

تمعّن كريسـتوفر بوجه المرمِّم مقيّماً أي رد فعل مهما كان صغيراً قد يظهر على قسمات وجهه، باحثاً عن تأكيد بأنه حدد السعر المناسب مـن دون أن يتوقـع الحصـول عليـه. وكما توقّع، لم يرفّ للمرمِّم جَفن. لقد قاما بهذه العملية معاً عدة مرات في السابق، وعلى غرار المقامرين البارعين، كانا يعرفان كيفية ممارسة اللعبة.

لزم بانديني الصمت، مركّزاً نظره على اللوحة.

اسـتعجله كريسـتوفر، محتسـباً في عقله حصته قائلاً: "أهذا سـعرٌ معقول؟". قال بورتر: "كل مبلغ يفوق المليونين والنصف يكون لك". فمبلـغ مليونيـن وثمانمئـة ألف دولار، تكـون حصته ثلاثمئة ألف دولار معفاة من الضرائب.

مبلغ لا بأس به لعمل جرى بعد الظهر.

فكّر المرمِّم في السؤال مليّاً للحظات، محدّقاً إلى اللوحة التي كان لا يـزال يتفحّصهـا، وبعـد ذلك ظهرت علامات الاسـترخاء على وجهه وقال: "ربما. في الواقع، قد يكون السـعر مناسـباً. ممكن. أظن أن لديّ الشاري المثالي لها". وابتسم بانديني ابتسامة عريضة للقيّم وتابع قائلاً: "إنه سيّد من الوطن الأم".

"سيكون بوتيتشيللي مسروراً".

وضع المرمِّم اللوحة على الحقيبة وقال: "سأتصل به الليلة". ظهر الفضول على نظراته وقال: "إذاً، أنت مستعجل قليلاً لإتمام هذه الصفقة. هل من سبب معيّن ترغب في إطلاعي عليه؟".

"لستُ المستعجل، بل البائع. يواجه مشاكل مرتبطة بالوقت".

"آه!".

www.ibtesama.com

"إذاً... تبدو واثقاً من إتمام هذه الصفقة، أليس كذلك؟".

قال بانديني بنبرة أكثر جفاءً: "أظن ذلك".

"إذاً، لا مانع لديك بإعطائي دُفعة مُسبَقة؟".

ظهر القلق على ملامح وجه المرمِّم وقال: "ظننت أنك لست مستعجلاً للحصول على المال".

"لست مستعجلاً، ولكن..."، تردد كريستوفر، متجاهلاً سؤال الرجل وشاعراً بقطرات عرَق تندفع من جبينه، ثمّ أضاف: "تعرف كيف تجري...".

"هل تواجه مشاكل مالية يا كريستوفر؟"، سأل باندينى ذلك على نحو رتيب، ونظر إلى إصبع كريستوفر المضمَّدة.

وضع كريستوفر يده وراء ظهره مجيباً: "لا، قلت لك، لست مستعجلاً"، لقد صدر كلامه ممزوجاً بغضب ملموس كما تيقّن بعد لحظات، ولذلك، ابتسم ابتسامة حذرة مضيفاً: "انظر، لا أهمية للأمر، اتفقنا؟ ظننتُ فقط أننا ما دمنا نعرف أننا لن نواجه متاعب في تصريف اللوحة، فلن تكون هناك أي مشكلة بتلقّي دُفعة مُسبَقة صغيرة".

تمعّن المرمِّم بوجه كريستوفر بهدوء للحظات وقال: "لا أتعاطى بالدُفعات المُسبَقة يا صديقي. يُفترض بك معرفة ذلك. وهل تعرف لماذا لا أتعاطى بالدُفعات المُسبَقة؟".

شعر كريستوفر بحرارة في صِدغَه وقال: "لماذا؟".

لأن الأشخاص الذين يكونون بحاجة إلى دُفعات مُسبَقة يواجهون مشاكل مادية، والأشخاص الذين يواجهون مشاكل مادية يميلون إلى الشعور باليأس، وعندما يشعرون باليأس يصبحون مُهمِلين. وهذا ما يُقلقني. يُقلقني كثيراً". ضاقت عينا باندينى ثمّ أضاف: "لقد عقدنا الكثير من الصفقات معاً على مَرّ السنين يا كريستوفر. هل يُفترض بي أن أبدأ بالقلق في شأنك؟".

www.ibtesama.com

قال القيّم بإصرار: "لا، لا، لا، لا تكن سخيفاً. لا بأس. ادفع لي عندما تبيعها، لا مشكلة في ذلك. اتفقنا؟". ابتسم كريستوفر ابتسامة متألّقة جذّابة لعبت دوراً كبيراً في مساعدته للحصول على ما أراده طوال حياته.

أنعم المرمِّم النظر إليه ببرودة، واسترخى بعد ذلك كما لو أن الخيوط التي كانت تشدّه انقطعت. قال مربّتاً على كتف كريستوفر: "بالتأكيد، لن يطول الأمر كما هو مُفترَض. الآن، ما رأيك ببعض الشراب؟".

كان بانديني مستغرقاً في التفكير في أثناء عودته إلى مكتبه بعد مقابلة كريستوفر توماس.

فاللوحة جيدة، لا شك في ذلك. كان يعلم أن باستطاعته الحصول على أكثر من ثلاثة ملايين دولار ثمناً لها، حتى إنه قد ينظّم عملية استدراج عروض لأجلها - كما كان يفكّر في سرّه - فلوحة لبوتيتشيللي بهذه النوعية لا تُعرَض للبيع في كثير من الأحيان. ولكنّ هناك أمراً آخر يُقلقه: القيّم. لقد بدا عصبيّ المزاج أكثر من العادة. كان باستطاعة بانديني الشعور بذلك، وهو يعلم أن عصبية المزاج نذيرٌ أكيد لمشاكل مستقبلية، ومن الأفضل تجنّب المشاكل أو إزالتها.

اتصل بزبونَيه المفضَّلَين، واحداً تِلوَ الآخر، واصفاً لهما التحفة الفنية، وعارضاً عليهما اصطحابها معه في صباح اليوم التالي ليرياها. بعد ذلك، أجرى اتصالاً آخر، هذه المرة مع رجل ليس زبوناً على الإطلاق ولا يستطيع التمييز بين لوحة زيتية لبوتيتشيللي ورسمة لبانسكي طُبعت على قماش كتاني.

قال للرجل: "أنا بحاجة إليك لتقوم بمراقبة شخص ما لأجلي. إنه... مزوِّدي. أنت تعرف من أعني".

سأل الرجل: "إلى أي مدى أراقبه؟".

www.ibtesama.com

أجاب باندِيني قبل أن يشرح له ما يُقلقه: "مراقبة مِجهرية".

فـي طريـق العـودة إلـى مكتبه، كان كريسـتوفر توماس يفـور بطاقة مستمَدّة من مزاج عصبيّ. لقد حاول التركيز على الإيجابيات؛ لم يجفل باندِيني من السـعر الذي طلبه. كان كريسـتوفر على ثقة تامة بأن المرمِّم سيبيع اللوحة قريباً؛ لقد اعتاد القيام بذلك. ولكن الرجل أخافه بأسئلته المُلحّة ونظراته المحدِّقة المتفحّصة؛ فهو يعلم أن باندِيني قاسي القلب. ربما كان موهوباً جداً كحِرفيّ ومزوِّر، ولكنه أكثر تصلّباً من الأظافر ولا يسامح أبداً. لقد رأى كريستوفر ذلك بأمّ العين.

كانت مكاتب المتحف فارغة تقريباً في ذلك الوقت، مع وجود عدد قليل من موظفيه في المكان، لا سيما أولئك الذين يديرون شؤون الشرق الأقصى ويعملون وفقاً لفارق الوقت المُثبط للعزيمة. دخل إلى مُختلاه وتوجّه إلى قاروراته القليلة المصفوفة على صينية مزخرَفة قديمة العهد، حيث سكب مقدار ارتفاع ثلاث أصابع من الشراب في كأس كريستالية واسعة. رفع الكأس وراقب تراقص الضوء عبر الشراب كهرمانيّ اللون في الكأس المنقوشة، ومن ثمّ رفعها إلى شفتَيه، فدغدغت رائحة الفانيلا والسـنديان الحارّة منخريه قبل انزلاق السـائل إلى حَلقه. فجأةً، سـمع صوتها في مكتبه، دانيةً منه.

"أين ذهبتَ؟ رأيتك تخرج حاملاً حقيبة أوراق".

استدار، وإذ جوستين واقفة هناك.

قـال لهـا مـن دون أن يدعوَها إلـى الدخول: "معظم الناس يقرعون البـاب". نظـر مجـدداً إلـى الأمـام، وتنـاول رشـفة أخـرى من الشـراب وأضـاف: "لا، فـي الواقـع، اشـطبي ما قلته. ليـس معظم الناس، بل كل الناس؛ الجميع".

سـمع صـوت البـاب يُغلَـق وجوسـتين تقول: "ولكن، لا يسـاعدك معظـم النـاس علـى تهريب تُحفة صغيرة تعود إلى القرن الخامس عشـر

www.ibtesama.com

من دون المرور عبر الجمارك، أليس كذلك؟".

استدار مجدّداً في الوقت المحدّد ليرى ابتسامة عريضة ترتسم تدريجياً على شفتيها تعبيراً عن رضى عن النفس.

"في الواقع، اشطبي ما قلتِ. لا أحد يرغب في ذلك. لذا، أعتقد أن هذا الأمر يعفيني من البروتوكول، ألا تظنين ذلك؟".

زفر ببطء، وقال بعد ذلك: "ماذا تريدين يا جوستين؟".

"أنت تتجاهلني. أنا قلقة من أن تكون شراكتنا الصغيرة قد خرجت عن مسارها".

ضاقت عيناه وسأل: "شراكتنا؟".

قالت في أثناء اقترابها منه: "لقد أدخلتُ ذلك الشيء اللعين إلى البلد، أنا التي حملت الكيس. لقد جعلتني أخاطر بكل شيء من أجل تلك اللوحة اللعينة".

قال ساخراً من الفكرة: "أي مخاطرة؟ لقد رأيتِ مدى سهولة الأمر. كما قلت لك تماماً. إضافةً إلى ذلك" وشدّد على كلماته، وازداد صوته حدةً وغضباً، "لا أذكر أنني أجبرتك على القيام بأي شيء".

انعكست ومضة الشك في عينَيها شعوراً بالرِّضى عن نفسه.

سألت: "أين هي؟".

"لا شأن لك في ذلك".

"لا شأن لي في ذلك؟ إنه من شأني أكثر مما لو كنتُ من رسم هذا الشيء اللعين. نحن شريكان في هذا الأمر يا كريس. تذكّر ذلك. وسواء أأحببت ذلك أم لا، ستعطيني حصتي العادلة".

قال بصوت أجشّ، شاعراً بتسارع نبضه في أثناء وضع كأسه على الطاولة والنظر إليها بعينَين مهدّدتَين: "وإلا؟".

شعرت جوستين بخوف يشلّ الحركة. لم يسبق لها أن رأت جانبه هذا من قَبل، وشهقت عندما نهض عن كرسيّه متوجهاً نحوها بسرعة

www.ibtesama.com

البرق، عابراً الغرفة بأربع خطوات واسعة وسريعة، ومفاجئاً إيّاها على حين غرّة. فأمسكها بيدَيه الاثنتَين، ودفعها إلى الوراء حتى اصطدما بالجدار الداخلي لمكتبه بجانب الباب.

ضغط بإحدى يدَيه على عُنُقها وقال: "قبل أن تهدديني، يا عزيزتي، عليك أن تتأكدي من مواصلة ذلك حتى النهاية".

تسمّرت جوستين في مكانها ووجهه يبعد بوصات عدة عن وجهها، مُطلقاً نَفَساً ساخناً على خدَّيها، مكشِّراً لها عن أنيابه المماثلة لأنياب وحش، ومضيّقاً عينَيه مع تركيز نظره على عينَيها.

كانت شفتاها ترتجفان حين همست محاولةً الاحتفاظ بنبرة لا تلين، ومدركةً أنها لا تُحرز أي نجاح: "لا تعرف ما الذي أنا قادرة عليه، يا كريستوفر".

شعرت بأصابعه تشدّد الخناق على عُنُقها، رافعةً مستوى الخوف الذي يعتريها. كان وريدٌ في مِعصمه ينبض بغضب مجنون، ونظرته المحدّقة مسمَّرة عليها في أثناء اقترابه منها أكثر فأكثر وشفتاه تلامس شحمة أُذُنها، وتَخِز الشعَيرات القاسية عُنُقها، قال: "آه! كلانا نعلم أنك قادرة على القيام ببعض الأمور المثيرة للدهشة كثيراً، أليس كذلك؟".

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

4

جوناثان سانتلوفر

كانت صالة العرض الرئيسة في متحف ماكفول أرت ميوزيوم مزدحمة، وعالم الفن ممثَّلاً بقوة: قيّمون وجامعو تُحَف، فنانون وتجار، بملابس لمصمِّمي أزياء الأثرياء، ووشوم - آخر صيحة - منقوشة على امتداد الظهور وزاحفة إلى أعلى أذرع الرجال والنساء غير صغيري السنّ كثيراً، ولا أحد ينظر إلى الأعمال الفنية، والجميع منهمكون بسرد خلاصاتهم، يملأهم الملل، ويتحركون بخفة كطيور الطنّان، باحثين عن شخص ما، أي شخص، أكثر أهمية للتحدث إليه.

توقفت روزماري توماس للحظات لالتقاط أنفاسها، واتكأت على الجدار لإلقاء نظرة على النساء الثرثارات العليمات بشؤون الموضة واللواتي كنَّ يرتدين ملابس سوداء في الغالب، وقد عرفت العديد منهنّ طيلة سنوات، ولكن بمن منهنّ تستطيع الوثوق؟ هل كنّ يعلمنَ بما يدور في خاطرها؟ هل كنّ يسخرنَ منها؟

يا لروزماري المسكينة! زوجها ذاك، حسناً، أنتنّ تعرفنَ...

لم يكن بإمكانها تحمّل فكرة أنها أُضحوكة، وأنها شخصٌ يُرثى له.

قالت في سرّها: أمر مثير للسخرية، مركّزةً أنظارها على اللوحة الرئيسة المذهلة لهذه الليلة والموضوعة وسط القاعة - لوحة زيتية بارتفاع عشر أقدام لجاكسون بولوك تعود للعام 1947، عندما كان الفنان في ذُروة قدراته الإبداعية الهوَسيّة - وهي من اللوحات التي نادراً ما تكون متوافرة، إنها هبة ساعدت كريستوفر على الحصول عليها لأجل المتحف.

www.ibtesama.com

متحفهمـا كمـا كان يحـب كريسـتوفر أن يدعـوه. يا لهـا من دعابة! كريستوفر، قيّم ماهر على فن القرن العشرين في حين أنها بقيت مجرّد مساعدة في قسم الأسلحة والدروع، وهي حجرة صغيرة تجتذب المسنّين الذين تفوح منهم رائحة الكهولة، والفتيان المراهقين غير المغتسِلين.

لكـن، ألـم يخططـا لتجـري الأمـور على هـذا الحال وتكـون مهنة كريستوفر الأكثر أهمية؟

لَما استطعتُ نَيل ما أتمناه من دونك يا فتاتي.

كـم مـرة قـال ذلـك وصدّقتـه؟ راضيةً بلعـب دور الزوجـة الهادئة والداعمة بنَسَبها الملائم: عائلة من مدينة شايكر هايتس، امرأة اجتماعية، طالبة جامعية في كلّية ولسلي، معهد الفنون الجميلة ذي المكانة الرفيعة في نيويورك.

والمتحـف يديـن لهـا بقسـم كبيـر من شـهرته. فمن خـلال روابط عائلتها الاجتماعية القائمة منذ زمن طويل، تمكنت من الاتصال بسهولة بعائـلات أوروبيـة قديمة وهبت متحفَها لوحاتٍ فنّية نادرة، مفضّلين إيّاه علـى مؤسسـات كاليفورنيـا الأكبر حجماً والأكثر لفتـاً للأنظار. وها هو كريسـتوفر يبنـي المجموعـة المعاصِـرة التـي كشـف عنهـا لجمهـور لا يُبالي بالأسـلحة وأوعية السـوائل القوطية، والأغراض مُحكَمة الإغلاق - القديمـة والجافـة - على غرار شـعور روزمـاري تماماً بأنها أثَر قديم العهـد وغيـر مثيـر للاهتمـام، وهي التي كانت ذات يـوم العمود الفِقري للمتحف، ولكنها عُرضة للتجاهل ويمكن طرحها جانباً في أي لحظة.

لقد ساعد أحدنا الآخر على بلوغ مراتب عليا.

تعني أنكَ من بلغ المراتب العليا وليس أنا.

أريد الطلاق.

بعد كل ما تحمّلته - النساء، الإذلال - ها هو يريد الطلاق.

لن أسمح لك بأن تطلّقني.

www.ibtesama.com

هل باستطاعتك أن تمنعيني؟

وفي أثناء تذكّر وجه كريستوفر بحسرة، وتعابير الاستهزاء على شفتَيه، ظهر أمامها وجه رجل آخر.

شهقت قائلة: "آه! توني!".

"هل أنتِ بخير؟".

"أنا؟ آه! أجل. أجل. بالطبع". ثمّ قالت في سرّها: هل باستطاعته رؤية الخجل على وجهي؟

"تبدين محمرّة الوجه".

"لا، أنا... أنا بخير. هي المناسبات ليس إلا...كما تعلم".

"أجل، عمل شاق بالنسبة إلى قيّم، ولكن، من المُمتع بالنسبة إليّ بالتأكيد أن أرى المتحف يحصل على هذه اللوحة الفنية المُدهشة".

"بفضلك". إنه القول الصحيح.

"حسناً، ليس بفضلي كلّياً". هز توني أولسن كتفَيه تواضعاً أم محاولاً أن يبدو متواضعاً. فكونه مانحاً سخيّاً ورئيساً لمجلس الإدارة في السنوات الأربع السابقة، لقد حدد وُجهة المتحف، وأصبح وروزماري صديقَين مقرَّبَين في تلك لفترة. أضاف: "لكريستوفر فضل كبير في ذلك. لا بد من أن تكوني فخورة جداً به".

"أجل... بالطبع". ازدردت بصعوبة، وشعرت بتدفّق دمها إلى رأسها وبارتفاع حدة غثيانها.

"هل أنتِ واثقة من أنك بخير يا روزماري؟". سألها ذلك واضعاً يده على كتفها.

حاولت الابتسام، وكان وجه كريستوفر لا يزال يلوح في ذهنها، ولكلماته تأثير الحَمض على مِعاها.

ولكن الطفلَين...

سيتخطيان الأمر.

www.ibtesama.com

"دَعيني أُحضر لك كأساً".

"هذا آخر ما أحتاج إليه يا توني. كنت شديدة الانشغال لدرجة أنني فوّت العشاء، ليست فكرة جيدة، ولكنني بخير، حقاً".

نظر إلى عينَيها وقال: "روزماري، كلنا نعرف كم ساعدتِ للحصول على هذه اللوحة... حتى إنه ليس قسمك، وحصل كريستوفر على كل الفضل. إنه أمر غير مُنصف".

"آه! إنه... أدائي أفضل في كتابة اقتراحات تقديم الهِبات واستجداء التبرعات المالية من أدائي في العلاقات الاجتماعية".

"أنتِ أكثر من ذلك بقليل. أنت المِرساة هنا".

صعقتها الصورة كونها لا تمتّ إلى الإطراء بأي صلة: ثِقل يسحب الأشياء إلى الأسفل.

لمست ذراعه، وشعرت بالكشمير الفاخر تحت أصابعها وقالت: "يُفترَض بكِ الاختلاط بالناس، إنه واجبك".

قبّلها توني أولسن قبلة خفيفة على خدّها، وابتسم بحرارة قبل الاختلاط بالحشد، فشعرت روزماري بذاك النوع من الاطمئنان الذي يعجبها من دون أن تتمكن أبداً من استجماعه.

مِرساة، هذا ما أنا عليه، ثِقلٌ بلا حياة.

لكنها زوجة وفيّة لكريستوفر، ومشجِّعة، ومستعدة لإفساح المجال له ليكون في المقدمة ممكّنةً إيّاه من التألّق ليكون النجم. لطالما عرفت أن هذا ما يريده.

حدّقت إلى الحشد؛ كان نصف مُحبّي الفن على الأقل يديرون ظهورهم لتحفة بولوك.

نظر بيتر هوسن إلى شقيقته قائلاً: "يا الله! تبدين في حالة مزرية. أنت بيضاء كالشبح. ماذا هناك؟".

"لا شيء".

www.ibtesama.com

"هل بسبب أمر ما قاله لك للتوّ أولسن؟ ذاك البليونير المتملّق؟".

"لا، بالطبع لا"، قالت ذلك متتبّعة توني أولسن بنظرها، مراقبةً إياه وهو يتبادل أطراف الحديث ببراعة مع ستة أشخاص معاً.

"تعرفين أنه جنى مليونه الأول من الأعتدة العسكرية".

"لا أصدّق ذلك".

"سذاجتك مصدر دائم للدهشة"، تنشّق بصوت مسموع ثمّ تابع: "حسناً، أنا لا أحبه".

"أنت لا تحب أي شخص يملك مالاً أكثر منك".

"هذا يجعلني أكره الجميع، أليس كذلك؟".

"آه! رجاءً يا بيتر، نملك المؤسسة نفسها، لذلك أعرف بالتحديد أي نوع من الدَّخل تحصل عليه، وهو مبلغ كبير جداً. يُفترض بك أن تكون ممتنّاً".

"يا شقيقتي العزيزة، تتظاهرين بالامتنان أفضل مما أتظاهر به".

تنهّدت روزماري قائلةً: "دعنا لا ندخل في جدال حول هذا الأمر، ليس هنا".

"حول... ماذا؟ تعنين القرض الذي طلبتُه منك؟ ذاك الذي رفضتِ منحي إيّاه؟".

حاولت روزماري الهمس، ولكن الهمسة خرجت على صورة هسهسة: "نحصل على الدَّخل الشهري نفسه يا بيتر. ولكنني لا أُنفقه كما تُنفقه أنت".

"هذا واضح". قال هذا ناظراً إلى شقيقته نظرة سريعة من الأعلى إلى الأسفل، ثمّ أضاف: "ألا يُتوقّع منك ارتداء ملابس خاصة بهذه المناسبات؟".

تظاهرت بتمليس التجاعيد على فستانها العادي عاجيّ اللون قائلةً: "هذا مضحك جداً".

"الأمر ليس مضحكاً على الإطلاق"، وجّه بيتر ذقنه نحو وسط

www.ibtesama.com

القاعة وأضاف: "انظري إلى زوجك الأنيق بسترته التي صُمِّمت له بشكل خاص. من الواضح أنه لا يجد أي مشكلة في إنفاق مالك. لماذا لستِ بجانبه؟".

"لديه كثير من الناس لخداعهم".

"أجل، الخداع من اختصاص كريستوفر، أليس كذلك؟ كان يُفترض به أن يكون في السيرك".

"ليس الآن يا بيتر".

"يا الله يا روزماري! أنت تلعبين دور الضحية أفضل من لعب دور الممتنّة، مدافِعةً عن ذلك الجلِف الذي يخدعك".

قالت: "أَبقِ صوتك منخفضاً يا بيتر". ثمّ أمعنت روزماري النظر بالحشد القريب منهما للتحقق مما إذا كان هناك من يستمع إليها، ولكن الجميع كانوا منهمكين بشؤونهم الخاصة.

"لماذا؟ الجميع يعرفون. هو لا يُخفي علاقاته الغرامية".

شعرت روزماري بضعف ساقَيها وبنار تلتهم وجهها، ولكنها لم تقُل شيئاً.

"حسناً، إذا كنت تريدين اتخاذ موقف المتفرّج ومَطّ شفتَيك، فاعتبريني خارج ما يجري".

قالت بصوت أجشّ: "إنها فكرة جيدة"، وعادت خطوات عدّة إلى الوراء. لقد أرادت الاستدارة والركض، ولكنها تسمّرت في مكانها وأصبح عقلها كأسطوانة قديمة يكرر الأمر نفسه.

هل هناك امرأة أخرى يا كريستوفر؟

هذا ليس موضوع نقاش.

إنه كذلك بالنسبة إليّ.

الأمر لا يتعلق بك.

لي الحق بمعرفة ما يجري.

www.ibtesama.com

إنه من شأني، وليس من شأنك.

لن أسمح لك بإذلالي على هذا النحو. لن أسمح!

وماذا ستفعلين؟

تخيّلت وجهه أيضاً عندما تذكّرت ما قاله والاستهزاء البارد والصلَف باديان على شفته الملتوية.

فشعرت بالبرودة، ومن ثم بالسخونة، والأضواء المسلَّطة تُعمي الأبصار، والغرفة تخنق الأنفاس. عليّ الخروج من هنا.

لمستها يد ذات أظفار مدرَّمة وخزت بشرتها.

"أنت زوجة كريس، أليس كذلك؟".

لقد ذكّرتِ المرأة الشابة التي قالت ذلك روزماري بنظرة لئيمة لمن يبحث عن الأدلة الجنائية بنشاط ومواظبة، بعينَيه الضيّقتَين المظلَّلتَين، وابتسامته المشدودة المُرائية.

قالت روزماري مومِئةً برأسها: "أجل".

قالت: "أنت لا تعرفينني. أدعى هايل باتشيت، كنت أعمل في متحف التاريخ الطبيعي في لوس أنجلوس؟"، ثمّ أبعدت شعرها الطويل الأحمر عن وجهها بحركةٍ خفيفة بالرأس.

ألقت روزماري نظرة على فستانها الضيّق الملتصق بجسدها، وكعبَيها البالغ ارتفاعهما ست بوصات، وعلى أكثر من عشرة أساور فضية وذهبية حول مِعصمها. إنها من النساء اللواتي لا يمكنها منافستهنّ؛ نساء لم تلتقِهنّ قطّ في شايكر هايتس، وبدت ذُرّيةً قياسية لأولئك المقيمات في نيويورك أو لوس أنجلوس أو سان فرانسيسكو؛ نساء يقع كريستوفر في غرامهنّ على الدوام.

حدّقت روزماري إليها، وكان عليها تمالك أعصابها كي لا تصبّ جام غضبها عليها، وقالت: "لكنني أعرفك حقاً، ولكن، ليس من خلال ما تقومين به في المتحف"، وكبتت نَفَساً عميقاً ثمّ سألت: "كيف

www.ibtesama.com

تجرؤين على القدوم إلى هنا؟".

احتفظت هايل بابتسامتها قائلةً: "ماذا تعنين؟".

"أظن أنه يُفترض بك المغادرة".

قالت هايل: "آه! لا أظن ذلك"، رافعةً حاجباً مرسوماً بطريقة مُتقَنة، وحدّقت إلى الحشد القائم وراء روزماري وقالت في سرّها: إنه حشد مهيّأ للاختبار، ولكن ليس الليلة. كانت تبحث عن شخص محدَّد. ورمقت روزماري بنظرة من الأعلى إلى الأسفل، وأطلقت ضحكة، واستدارت بعد ذلك.

شعرت روزماري بوجهها يلتهب في أثناء مراقبة هايل باتشيت تتلوّى بين الحشد كثعبان، ثمّ رأت كريستوفر وسط الجمهور، يمارس الخداع ببراعة على ستة أو سبعة أشخاص في آنٍ واحد، وتقف زميلته الجميلة، جوستين أوليغار، بجانبه بامتثال.

كانت تعلم أنه على علاقةٍ مع جوستين أيضاً.

يا الله! هل توجد أي امرأة هنا لم...

راقبت روزماري كريستوفر يضحك مُبعداً شعره الأشقر عن جبينه، لاعباً دور الشخص الناجح. فشعرت بألم في صدرها حملها على اللهاث. بعد ذلك، انضمت هايل باتشيت ذات الشعر الأحمر إلى المجموعة، ووضعت يدها على ذراع كريستوفر.

حينها، تمنّت روزماري لو أن باستطاعتها الاختفاء وتصبح غير مرئية. ولكن، أليس هذا ما كانت عليه على الدوام؟

إنها فرصتي المناسبة يا روزماري، ولست بحاجة إلى أي عائق.

هل هذا ما كانت عليه، عائقاً؟

لقد قمتُ بكثير من الأمور لأجلك يا روزماري، ولكنّ الأمر انتهى.

لأجلي؟ ماذا فعلتَ لأجلي.

كانت القاعة تضجّ بصوت رتيب، وتتذبذب على الجدران البيضاء

www.ibtesama.com

الضوضاء، والأضواء، والرسمات الأولية لجاكسون بولوك؛ بُقع عشوائية من حبر وضربات بريشة الرسم.

بعد ذلك، بدا الأمر كما لو أن كل شيء توقف، وانخفض الصخَب متحوّلاً إلى همهمة، وغاب الحشد عن نظرها، ولم يبقَ سوى ثلاثة منهم: كريستوفر وتلك المرأة ذات الشعر الأحمر المريعة الواقفة أمام لوحة بولوك متعرّضةً للضوء المُسلَط - شخصان على ستارة خلفية من الطلاء المتلألئ - وروزماري تراقب. لم يكن باستطاعتها سماع ما يقولانه، ولكنها قرأت لغة جسدَيهما، إذ كانت المرأة منحنية إلى الأمام ووركها مدفوعة إلى الوراء، وكريستوفر يهمس بأُذُنها، ويدها ممسكة بذراعه.

ولكن، عندما مدّت المرأة يدها لملامسة شعر كريستوفر - هناك في المتحف، وروزماري تراقب، والجميع يراقبون - طفح الكيل.

دارت الغرفة حولها على غرار قطرات جاكسون بولوك تلك. لقد أدركت روزماري أنها تتحرك، وكان باستطاعتها سماع نفسها تتمتم قائلةً: "عُذراً، عُذراً" في أثناء مرورها وسط الحشد، وصوت نَفَسها يرتفع في أُذُنَيها، وقلبها يخفق مع غدوّ كريستوفر وتلك المرأة أكبر حجماً وأكثر وضوحاً، وخُصَل شعر كريستوفر المتباعدة الشقراء تبدو مع أظفار المرأة المدرَّمة باللونَين الأسود والأحمر نَقشاً نافراً، وكل شيء حولهما كان يبدو مُبهَماً.

كان كريستوفر توماس يبتسم بابتهاج لجماعة صغيرة متآلفة من الهواة المجتمعين حوله عندما نظر إلى الناحية القائمة وراءهم ورآها قادمة: زوجته المترددة عند محيط الحشد كطفل شريد بائس.

فلفته الشعر الأشقر الخفيف المسدَل على كتفَيها الذي يوحي بالضُّعف، وفستانها عاجي اللون الذي يُخفي مفاتن جسدها. لقد توقف منذ مدة طويلة عن رؤية المرأة الجميلة داخل الملابس العادية، وحاول تحديد مشاعره حيالها دون جدوى.

www.ibtesama.com

ربّـت بيتـر هوسـن على ظهر صهـره براحة يده وقـال: "مرحباً أيها المخادع".

"ماذا؟".

"أيها المخادع، أنت تعرف". قال بيتر ذلك معتمِداً التمثيل الإيمائي.

وحـدّق كريسـتوفر تومـاس إليه بازدراء. بيتـر، المتفاخر. بيتر الذي يعيش على سخاء الآخرين من دون مشاطرتهم عناء العمل. بيتر الذي كانت له ضروراته. وربّت كريستوفر على ظهر صهره واستدار.

سأل كريستوفر توني أولسن: "إذاً، كيف تبدو لك لوحة بولوك؟".

"متألّقة. رائعة. باهظة الثمن".

قال بيتر: "ماذا عن الطريقة السهلة في إتمام اللوحة؟"، داسّاً نفسه بين الرَّجلين، لافظاً الحروف بشكل متداخل وغير واضح.

تنهّد كريستوفر بصوت عالٍ وقال: "يعجز صهري عن ملاحظة البنية الداخلية التي يعمل بولوك عليها، وتصميم الرقص المسرحي للقطرات، وضفائر الطلاء التي تتعانق كما لو أنها ترقص".

نخر بيتر بأنفه، فأمسكه كريستوفر بمِرفقه، وأداره بسرعة هامساً في أُذُنه: "غادر، يا بيتر، الآن. لا يُفترض بك أن تكون هنا".

"آه! تبّـاً لـك يـا تومـاس، أنـا أعرفـك"، قـال بيتر هذا ولفح نفَسُـه المحمّل برائحة الشراب وجه كريستوفر كإسفنجة مبلَّلة.

"كريس...".

أفلت كريستوفر مرفق صهره واستعاد صوته المألوف.

قالت: "لقد تركتُ لك أكثر من عشر رسائل".

هايلي باتشيت.

كان باسـتطاعة كريسـتوفر الشـعور بالحاضريـن يحتشـدون حولـه، جامعـي تُحَـف وفنانيـن، موظَّفيـه، لا بـل القيّم الأعلى، رئيسـه، ألكس هالتغـرن، وهـو رجـل مجرّد من حس الفكاهـة، ورئيس مجلس الإدارة توني أولسن.

www.ibtesama.com

همس لهايل قائلاً لها: "لا أستطيع التحدث الآن، سأتصل بك".

"هذا ما تستمر بقوله ولكنك لا تتصل أبداً".

وتقدمت جوستين أوليغار خطوة أمام هايل باتشيت وقالت: "من هذه يا كريس؟".

قالت هايل محدّقة إلى جوستين زامةً شفتيها: "باستطاعتي أن أطرح عليك السؤال نفسه".

كان كريستوفر ينظر إليهما، الواحدة بعد الأخرى، ثمّ همس في أذن هايل قائلاً: "لا يمكنني القيام بذلك، يا هايل، ليس هنا".

"آه! أنت تتذكر اسمي، يا للمفاجأة!". وأطلقت ضحكة مصطنَعة. وحين أحكم كريستوفر قبضته على ذراعها قالت: "آه! استرخِ، لن أتسبّب بإثارة فضيحة".

"لقد تسببتِ بذلك في الواقع". ونظر حوله، ورأى القيّم الأعلى، وتوني أولسن، وجوستين يراقبونه.

رسم كريستوفر ابتسامة على شفتيه، محاولاً إزالة فتيل التفجير في أثناء قيام هايل باتشيت بمد يدها لتمليس شعره، وهي عادة قديمة اقتبستها من دون شك من فيلم سينمائي؛ كل شيء مرتبط بهايل مسرحي. كان عليه إيقافها لأن ما تقوم به غير مناسب في الزمان والمكان، وعندما رفع يده لإمساك يدَيها رأى روزماري تشق طريقها عبر الحشد وتتجه نحوه وقسمات وجهها مشوَّهة بسبب الغضب.

"كفى!".

لقد تفاجأت روزماري توماس بسماع صوتها الذي كان أكثر ارتفاعاً مما توقّعتْ. وضربت ذراع هايل باتشيت بقوة، مُبعِدةً إيّاها عن زوجها.

"ماذا...؟"، حملقت هايل بها فاغرة الفمّ.

صاحت روزماري في وجه كريستوفر: "ماذا فعلتَ بي؟ بي أنا؟"، كانت ترتعد، ولكن لا يُهمّ؛ لم يكن أي شيء يُهمّ كما يبدو. "لقد تخلّيتُ

www.ibtesama.com

عن كل تلك السنوات، عن حياتي! لأجلك، وماذا جنيتُ في المقابل؟".

قال كريستوفر: "روزماري، رجاءً"، مؤشراً بيدَيه الكبيرتَين لحملها على وضع حد لغضبها، وتسمّرت البسمة على شفتَيه.

لزم كل الموجودين حولهما الهدوء شيئاً فشيئاً، وبشكل متماوج، حتى صمت الجميع باستثناء أولئك الموجودين عند الحافة الخارجية الذين كانوا أشبه بكورس نابض في محيط المتحف.

مدّ كريستوفر يده في اتجاه روزماري، ولكنها صفعت يده لإبعادها، وتراجعت إلى الوراء.

"روزماري...".

"أيها الوغد! لقد منحتك كل ذلك. والآن...".

"روزماري، رجاءً. لقد أسرفتِ في تناول الشراب، يا عزيزتي، لستِ على طبيعتك". وضع ذراعاً حول كتفها، ولكنها أبعدته عنها.

"لم أشرب شيئاً. لم أكن يوماً أكثر وَعياً مما أنا عليه الآن". كانت لا تزال تشعر بالصدمة بسبب صوتها وكلماتها، ولكنها لم تتمكن من التوقف مُضيفةً: "تريد طلاقاً يا كريستوفر؟ سنبحث في ذلك!". وأخذت القاعة بالدوران، وانحدر السقف في زاوية مائلة ملامِساً الأرض، ورأت عينَي جوستين تضيق، وهايل باتشيت تبتسم، وتوني أولسن يقطّب حاجبيه، وكل الفنانين والتجار والقيّمين يحدّقون إليها وكانوا أشبه برسوم كاريكاتورية غريبة لدومييه طُبعت على قماش كتاني. وبعد ذلك، عادت القاعة إلى الحياة فجأةً كما لو أن شخصاً ما قام بالضغط على مفتاح كهربائي، وشرع الجميع بالثرثرة مشيحين بأنظارهم عنهما، مُربَكين، متظاهرين بعدم حدوث أي شيء، ولكن بعد فوات الأوان؛ لقد انعكست حقيقة ما قامت به في أثناء المعرض، وفي وسط المتحف أمام الجميع، على مشاعرها، وترقرقت عيناها بالدموع، وشعرت باتقاد خدَّيها، وشقّت طريقها عبر الحشد وركضت خارج القاعة.

www.ibtesama.com

5

ساندرا براون

"أمي؟".

لقد انقضت خمس ثوانٍ فقط على يومها، وخشيت روزماري مما يتبقى منه. استلقت على ظهرها متضرّعة بعينَين مفتوحتَين. كانت ابنتها واقفة بجانب السرير مرتديةً لباس النوم، وداسّةً دمية باربي تحت ذراعها.

"هل أنت مستيقظة يا أمي؟".

"أجل يا حبيبتي".

"أين والدي؟".

كان جانب السرير الخاص بكريس فارغاً بطريقة لا لبث فيها. تنحنحت روزماري وقالت: "كان عليه الذهاب إلى العمل باكراً اليوم".

من الواضح أنها كذبة حتى بالنسبة إلى طفلة، وكثيراً ما كانت روزماري تلجأ إلى الكذب.

نظرت ليلى إلى روزماري بلَوم ممتعِض قائلةً: "عيناك منتفختان".

"هل هما كذلك؟"، كان باستطاعة روزماري الشعور بأنهما كذلك، "لقد نمتُ... بصعوبة". سكتت محاولةً استجماع ابتسامتها.

"هل كانت حفلة جميلة يا أمي؟".

تجنّبت روزماري الإجابة وسألت: "هل شقيقك مستيقظ؟".

"إنه في الأسفل. نحن جائعان".

"اطلبي من إلسي إعداد فطوركما".

"نحب فطائرك المقليّة المُحلاّة أكثر يا أمي".

www.ibtesama.com

وقفت ابنتها هناك منتظرةً إيّاها، فدفعت روزماري الأغطية ونهضت من السرير. عاجلاً أم آجلاً ستعود إلى ذاكرتها أحداث الليلة السابقة، ولكن عليها التصرف في تلك الأثناء كما لو أنه يوم عادي.

لأجل ولديها.

لأجل سلامة عقلها.

عند الحادية عشرة بعد فطور الفطائر المقليّة المُحلاّة، جاءت الدلالة الأولى على ألا يكون هذا اليوم يوماً عادياً في حياة روزماري هوسن. كان طفلاها قد تناولا الطعام، وتظاهرت بأنها تناولت الطعام أيضاً. وفرزت مع خادمتها إلسي الملابس المغسولة الجافة، وطلبت منها إدراج تنظيف زجاج النوافذ في جدول أعمالها للأسبوع التالي، ثمّ اتصلت بطبيب الأسنان لتحديد مواعيد لها وللصّغيرين بعد تلقّيها رسالة بريدية تذكيرية.

تسير الأمور بشكل طبيعي.

الانسجام مع شؤون الحياة الروتينية.

ولكن، عندما كانت في طريقها إلى الحديقة لقطف الورود، دنت منها إلسي حاملةً هاتف المنزل اللاسلكي وهي تقول: "من المتحف، أحدهم يسأل عن السيد توماس".

انتظرت روزماري ابتعاد إلسي عن مدى السمَع وأجابت: "آلو؟".

"صباح الخير يا سيدة توماس"، إنها سكرتيرة كريس، "آسفة لإزعاج السيد توماس في المنزل، ولكن حدث أمر ما يستدعي اهتمامه المباشَر. هل يمكنني التحدث إليه رجاءً؟".

"ليس موجوداً".

"آه!".

لقد صعُب عليها تغيير طبقة صوتها لدى لفظ المقطع اللفظي الوحيد مما أدى إلى اهتزاز معناه الضمني. احمرّ خدّا روزماري غضباً

www.ibtesama.com

وامتعاضاً، ولكن الجرأة المكتشَفة حديثاً التي أظهرتها في الليلة السابقة بـدت أكثـر تحفّظـاً هـذا الصباح حِرصـاً منها على الحفاظ على أسـرار العائلـة. لقـد قـررت أنـه لا يُفترض بها قول المزيد، بـل توفير أقل قدر ممكن من المعلومات.

وبكل رباطة جأش تمكنت من اسـتجماعها سـألت: "هل حاولتِ الاتصال به عبر هاتفه المحمول؟".

"عدة مرات. السيد أولسن متلهّف جداً للتحدث إليه. هل تملكين أي فكرة عن مكان تواجده؟".

"أنا آسفة، لا".

"أو متى يمكن أن يكون موجوداً؟".

"لا".

"هل ستأتين اليوم يا سيدة توماس؟".

واصلت المتدخلة في شؤون الغير طرح أسئلة غير مُستحَبة، أليس كذلك؟ فقِسم المتحف الذي تعمل فيه روزماري ليس من شأنها. كانت تبحث عن معلومات - حول كريس - هذا كل ما في الأمر.

"ليس اليوم، لا. الآن، هلاّ عذرتني...".

"لا تملكيـن أي فكـرة عـن المـكان الـذي يمكنني العثـور فيه على زوجك؟".

تظاهرت روزماري بعدم سماع السؤال وأقفلت الخط قبل قول أي شيء آخر.

لم تسمع روزماري الباب يُفتَح، كما أنها لم تسمع وقع خطواته.

لقد دخل شقيقها بخفّة من دون أن تتم دعوته للدخول، وهو آخر شـخص تحتاج إليه لتوفير بعض التسـلية له اليوم. فمنذ طفولتهما، كان يُخفق دائماً في مضايقتها عندما تكاد لا تكون قادرة على تحمّل ذلك. لقـد قـدِم لأجـل "كوكتيلات، ألن يكـون ذلك جميلاً؟" ولم يمنعه عدم

www.ibtesama.com

تحمّسها للفكرة من أن يطلب من إلسي وضع عربة المشروبات بجانبه.

وبعدم وجود أي خيار آخر أمامها، سلّمت روزماري إلسي مهمة تقديم العشاء للطفلَين، وانضمت إلى بيتر الذي شعر بأنه في منزله وسكب شراباً لنفسه.

"لما استطاعت الجياد الجامحة من إبقائي بعيداً. لم أتمكن من الانتظار للتحقق مما تخططين له للمرة التالية. ترمين آنية خزف صيني على رأس كريس، ربما؟ تقودين سيارته إلى داخل بركة سباحة؟ آمل أن يكون أمراً مأساوياً إلى حدٍّ كبير. هل أقدّم لك شراباً يا روزي؟ اعذري صراحتي، ولكنك تبدين كما لو أنك بحاجة إلى كمية قليلة من الشراب المنشِّط".

"لا، شكراً لك. أنا متفاجئة بعدم كونك ثملاً. لقد تناولتَ عدداً كبيراً من الكؤوس ليلة أمس".

"ولكنني لم أكن ثملاً جداً لدرجة عدم تمكني من تقدير الأثر الكبير لأدائك حق قدره. يا الله يا روزي!". ورفع كأسه في تحيّة احترام وتقدير ساخرة، ثمّ أضاف: "لقد حملتني على الشعور بالفخر. مواجِهةً كريس، مع كل عشيقاته السابقات والحاليات، وموجِّهةً إليه التُّهَم، وكل الحاضرين في المتحف ينظرون بأفواه فاغرة. لقد وضعتِ النقاط على الحروف. بصدق، لم أعلم أنك قادرة على ذلك. يجعلني هذا الأمر أتساءل عما أنت قادرة على القيام به أيضاً".

قالت بغضب: "اخرس يا بيتر".

ابتسم لها ابتسامة عريضة وسألها: "هل سينضم إلينا الوغد الغشاش لتناول الشراب؟".

"لا أعتقد".

ضحك بيتر وتابع أسئلته: "ماذا قال لنفسه اليوم بعد أن كشف عن ذنوبه؟ هل تاب؟ هل حمل لك أزهاراً؟ أو قطعة مجوهرات باهظة

www.ibtesama.com

الثمن؟".

"لم أره اليوم".

وضع بيتر كأسه على الطاولة وانحنى إلى الأمام سائلاً بدهشةٍ: "حقاً؟".

"لم... لم يأتِ إلى المنزل ليلة أمس".

نظر بيتر إليها بمكر وقال: "هممم. أمر مشوِّق. ما كنت لأُلزمه بواجباته الزوجية. بالطبع، من يستطيع إلقاء اللوم عليه بسبب عدم عودته إلى المنزل بعد توبيخك له؟ أعتقد أنه يلعب دور مَن أُسيء إليه".

"وهو أمر منتظَر منه، أليس كذلك؟".

تناول بيتر كأسه، وارتشف جرعة في أثناء النظر إليها وهو مستغرق في التفكير، ثم قال: "ليس من شِيَمك إساءة الكلام عن كريس. فبالرغم من عِلمك بأنه وغد زانٍ، كاذب وانتهازي، كنت تدافعين عنه باستمرار. حتى الآن. لماذا التغيير؟".

"طلب مني الطلاق". لقد أُذيع السرّ وسمعها كل من كان موجوداً في صالة العرض في المتحف؛ لم يكن هناك جدوى من إخفاء الأمر. "لقد أصرّ على الطلاق".

"وأنتِ فقدتِ القدرة على تمالك أعصابك. أو هذا ما استنتجتُه من فضيحة الليلة الماضية".

"ربما أتناول شراباً". وسكبت لنفسها كأساً من الشراب وارتشفت بعضاً منه مدركةً أن شقيقها يرمقها بنظرة توفّر له التسلية، وتساءلت ما إذا كان قد لاحظ يدَيها ترتجفان.

قال ضاحكاً في سرّه: "تخيّلي كريس آتياً إلى المتحف صباح هذا اليوم، كيف يواجه الموظفين؟ لقد بدا صديقك توني أولسن مستعداً لقتله. ربما يدعو لاجتماع طارئ لمجلس الإدارة، فأنا أراهن على وجوده هناك لاستقبال كريس...".

www.ibtesama.com

"لم يذهب كريس إلى العمل اليوم. على الأقل، لم يكن هناك هذا الصباح"، ثمّ أخبرت بيتر عن الاتصال الهاتفي الذي تلقّته.

"أين أمضى ليلته برأيك؟".

"بصدق، لا أُبالي".

"في السرير مع إحدى عشيقاته؟".

تصرفت روزماري كما لو أنها لم تسمع.

"ربما يتمتع بالدفء والراحة مع جوستين الجميلة؟".

جوستين. ارتفعت وتيرة غضب روزماري عندما فكرت في آخر فتوحات كريس. فكل من في المتحف يعرف أنه اصطحب معه جوستين في آخر رحلة له إلى فرنسا. كانت الأخيرة بين السلسلة الطويلة للقيّمات الجميلات اللواتي خصّهنّ باهتمامه.

واصل بيتر تخميناته قائلاً: "أو ربما كان مع تلك الساقطة ذات الشعر الأحمر والأظفار الطويلة التي ارتمت عليه الليلة الماضية عندما قمتِ بخطوتك؟".

قالت روزماري متمتمة: "يلائم أحدهما الآخر". وبعد تنشيط نفسها قالت: "لا أعرف أين هو، فأنا لم أرَه مذ غادرت المتحف ليلة أمس".

"ماذا عن زواجك...؟".

ترقرقت عيناها بالدموع وقالت بصوت مبحوح: "طفلاي، سيكون الأمر مريعاً بالنسبة إليهما".

شبك بيتر يدَيه وثناهما نحو الداخل والخارج فوق رأسه، ممدّداً عضلات جسمه برفاهية وقال متنهداً: "آه، حسناً ربما لن يكون عليك القلق حيال فوضى الطلاق. ربما حالت آثامه الأخرى دون ذلك".

مسحت عينَيها وسألت: "أي آثام أخرى؟".

"ماذا دهاك يا روزماري؟ لا يمكنك أن تكوني ساذجة إلى هذه الدرجة. إذا تراجع عن عهود الزواج، هل تعتقدين حقاً أن باستطاعته

www.ibtesama.com

الإيفاء بالتزاماته الأخرى؟".

"ما الذي تتحدث عنه؟".

تظاهـر بيتـر بأنه ينفض سـرواله قائـلاً: "يجب عليّ عدم البَوح بأي شيء. ربما يُفترض بك طرح السؤال على ستان".

إنه ستان بالارد، محاميهما ومدير ممتلكاتهما.

"ما الذي يعرفه ولا أعرفه أنا؟".

كان باسـتطاعة روزمـاري التيقّـن من الابتسـامة العريضـة والماكرة لشقيقها من لهفته لإخبارها. قال: "هل تتذكرين إصبع كريس المكسورة مؤخراً؟".

أومأت.

"لم يكسـرها بسـبب إغلاق باب السـيارة عليها كما ادعى"، أشـاح بنظراته المحدِّقة باتجاه جسر غولدن غايت الذي يغطيه الضباب مبتسماً ابتسـامة رضـى عـن الـذات، ثمّ تابع قائـلاً: "إذا لم يظهـر كريس قريباً، يُفترض بأحدهم البحث في الخليج عن جثته".

في قسـم شـرطة سـان فرانسيسـكو، رنّ الهاتف المحمول الخاص بالتحري جون نان. كان توني أولسن المتصل.

"يا سيد أولسن. ما...".

كان يعرف أحدهما الآخر منذ سـنوات قليلة، ولكن، ولسـبب ما، لم يكن باستطاعة جون نان تجاوز لقب السيد أولسن في أثناء مخاطبة توني أولسن. ولكنه بات يجاريه. قال: "حسناً يا توني. لم نتحدث منذ مدة. ما الجديد؟".

"هل تذكر متحف ماكفول أرت ميوزيوم؟".

قال نان: "بالطبع"، متذكّراً الساعات الصعبة التي أمضاها هناك كما لـو أنـه سـمكة خـارج الماء. كان أولسـن قد طوّع نان وزوجته، سـارة، فـي حـدث خَيـري جرى في ماكفول؛ محاولـة المتحف الواهية للتقرب

www.ibtesama.com

من المجتمع من خلال تنظيم برامج صيفية لمنع الأحداث من ارتكاب جرائم في الشوارع. كان أولسن قد قال إن وجود نان هناك سيكوّن أفضل حملة علاقات عامة له، وشعر بأمان أكبر بحضور نان وشرطيَّين آخرين بسبب إمكانية وجود عناصر مشبوهة داخل المتحف. فرحّبت سارة بالفرصة المتاحة واستمتعت بكل دقيقة من الحدث.

"حسناً، تعلم أنني في مجلس إدارة المتحف. أنا الرئيس في الواقع". سكت أولسن هنيهةً ثمّ أضاف: "طرأ أمر ما وآمل أن يكون باستطاعتك مساعدتي".

"بالتأكيد يا توني". كان نان يفكر بسرقة لوحة فنية قيّمة، أو ربما عمل تخريبي.

"يتعلق الأمر بكريستوفر توماس، أحد قيّمينا".

تذكّر نان الاسم؛ كيف ينسى توماس الذي كان يشتهي بنظراته زوجته وكل امرأة جذابة أخرى في حفلة جمع الأموال.

"لم يرَه أحد منذ أسبوع. يبدو أنه مفقود".

مُدركاً الجدّية في صوت الرجل الأكبر سنّاً، دخل نان حجرته للابتعاد أكبر قدر ممكن عن الضجيج المحيط به الصادر عن وحدة الجرائم العنيفة حيث كان رجال التحرّي غير الموكَلة إليهم مهام يتحدثون عبر هواتفهم أو يمازحون بعضهم بعضاً.

أصغى نان إلى توني أولسن وهو يصف المُشادّة الكلامية الشنيعة التي جرت بين كريستوفر وروزماري توماس في أثناء أحد الاحتفالات الاجتماعية في المتحف قبل أسبوع.

قال أولسن: "وفقاً للموظفين، لم يلتحق بعمله في اليوم التالي، وهو أمر يمكن فهمه، لقد سمع كل من في القاعة المواجهة. كان الاعتقاد السائد أنه شعر بالإحراج وكان بحاجة إلى بعض الوقت لترتيب شؤونه مع روزماري".

www.ibtesama.com

"إنها الزوجة؟".

"أجل، إنها صديقة عزيزة لي. هي تعمل في المتحف أيضاً. إنها موظّفة قيّمة، امرأة على درجة عالية من الاطّلاع".

"ولكن هناك نزاعات".

قال أولسن باستهزاء: "حسناً، علاقاته الغرامية ليست أمراً سرّياً، ليس شخصاً لطيفاً بصفة خاصة يا جون. كانت هناك فوارق بينه وبيني".

"إذاً، ما سبب قلقك؟".

"لقد اختفى. لم يظهر منذ تلك الليلة. اتخذت روزماري قرارها وغادرت القاعة رَكضاً. واستأذن كريس للمغادرة وتبعها. كانت آخر مرة شوهِد فيها".

فكر نان للحظات وسأل: "هل أبلغتَ عن اختفائه؟".

"لقد غادرت إلى المكسيك".

"ماذا؟".

"لا، ليس الأمر كما تظن. غادرت بصفتها ممثلاً للمتحف. هناك معرض في مدينة المكسيك، عتاد إسباني حربي منذ زمن الفتوحات. هي تشرف على قسم الأسلحة والدروع في المتحف، لذلك ذهبت للإشراف عليه".

"بهذه البساطة؟".

"كانت تناقش الأمر مع القيّمين على المتحف منذ بعض الوقت. ولكن، أجل، لقد بدا قرارها بالمغادرة فجائياً، عِلماً أنني شجّعتها على القيام بذلك. كانت لا تزال مستاءة جداً حتّى إنّها قالت: تصرفي الأحمق في مناسبة بولوك. إذا طلبتَ رأيي، تسبّب الأحمق لنفسه بذلك، وربما أكثر من ذلك، منذ زمن طويل. قلت لها إن أياماً قليلة في الخارج ستكون مفيدة لها".

"هل هي مدركة لواقع أن أحداً لم يرَ زوجها منذ توبيخها إياه؟".

www.ibtesama.com

من المجتمع من خلال تنظيم برامج صيفية لمنع الأحداث من ارتكاب جرائم في الشوارع. كان أولسن قد قال إن وجود نان هناك سيكوّن أفضل حملة علاقات عامة له، وشعر بأمان أكبر بحضور نان وشرطيَّين آخرين بسبب إمكانية وجود عناصر مشبوهة داخل المتحف. فرحّبت سارة بالفرصة المتاحة واستمتعت بكل دقيقة من الحدث.

"حسناً، تعلم أنني في مجلس إدارة المتحف. أنا الرئيس في الواقع". سكت أولسن هنيهةً ثمّ أضاف: "طرأ أمر ما وآمل أن يكون باستطاعتك مساعدتي".

"بالتأكيد يا توني". كان نان يفكر بسرقة لوحة فنية قيّمة، أو ربما عمل تخريبي.

"يتعلق الأمر بكريستوفر توماس، أحد قيّمينا".

تذكّر نان الاسم؛ كيف ينسى توماس الذي كان يشتهي بنظراته زوجته وكل امرأة جذابة أخرى في حفلة جمع الأموال.

"لم يرَه أحد منذ أسبوع. يبدو أنه مفقود".

مُدركاً الجدّية في صوت الرجل الأكبر سنّاً، دخل نان حجرته للابتعاد أكبر قدر ممكن عن الضجيج المحيط به الصادر عن وحدة الجرائم العنيفة حيث كان رجال التحرّي غير الموكَلة إليهم مهام يتحدثون عبر هواتفهم أو يمازحون بعضهم بعضاً.

أصغى نان إلى توني أولسن وهو يصف المُشادّة الكلامية الشنيعة التي جرت بين كريستوفر وروزماري توماس في أثناء أحد الاحتفالات الاجتماعية في المتحف قبل أسبوع.

قال أولسن: "وفقاً للموظفين، لم يلتحق بعمله في اليوم التالي، وهو أمر يمكن فهمه، لقد سمع كل من في القاعة المواجهة. كان الاعتقاد السائد أنه شعر بالإحراج وكان بحاجة إلى بعض الوقت لترتيب شؤونه مع روزماري".

www.ibtesama.com

"إنها الزوجة؟".

"أجل، إنها صديقة عزيزة لي. هي تعمل في المتحف أيضاً. إنها موظّفة قيّمة، امرأة على درجة عالية من الاطّلاع".

"ولكن هناك نزاعات".

قال أولسن باستهزاء: "حسناً، علاقاته الغرامية ليست أمراً سرّياً، ليس شخصاً لطيفاً بصفة خاصة يا جون. كانت هناك فوارق بينه وبيني".

"إذاً، ما سبب قلقك؟".

"لقد اختفى. لم يظهر منذ تلك الليلة. اتخذت روزماري قرارها وغادرت القاعة رَكضاً. واستأذن كريس للمغادرة وتبعها. كانت آخر مرة شوهِد فيها".

فكر نان للحظات وسأل: "هل أبلغتَ عن اختفائه؟".

"لقد غادرت إلى المكسيك".

"ماذا؟".

"لا، ليس الأمر كما تظن. غادرت بصفتها ممثلاً للمتحف. هناك معرض في مدينة المكسيك، عتاد إسباني حربي منذ زمن الفتوحات. هي تشرف على قسم الأسلحة والدروع في المتحف، لذلك ذهبت للإشراف عليه".

"بهذه البساطة؟".

"كانت تناقش الأمر مع القيّمين على المتحف منذ بعض الوقت. ولكن، أجل، لقد بدا قرارها بالمغادرة فجائياً، عِلماً أنني شجّعتها على القيام بذلك. كانت لا تزال مستاءة جداً حتّى إنّها قالت: تصرفي الأحمق في مناسبة بولوك. إذا طلبتَ رأيي، تسبّب الأحمق لنفسه بذلك، وربما أكثر من ذلك، منذ زمن طويل. قلت لها إن أياماً قليلة في الخارج ستكون مفيدة لها".

"هل هي مدركة لواقع أن أحداً لم يرَ زوجها منذ توبيخها إياه؟".

www.ibtesama.com

"لقد اعترفت بأنه لم يعُد إلى المنزل ليلة الحادثة، ولكنها لم تكن شديدة القلق حيال الأمر. أفترض بأن قيام كريس بتمضية الليل خارجاً لـم يكـن أمـراً غيـر عـادي. من غيـر المفاجئ ألا يعود إلـى المنزل بعد مغازلة النساء على الملأ".

فكّر نان ثمّ قال: "إذاً، لم يُبلغ أحد عن فقدانه عملياً؟".

"لا".

"أنا في شعبة جرائم القتل يا توني".

"أعرف ذلك. ولكنني أملت الحصول على تفسيرك لما جرى قبل إقحام الشرطة رسمياً. علاقتي بكريس توماس عادية، ولكنني أكره رؤية روزمـاري تواجـه هـذا الموقف على المـلأ. ولكنها واجهته. ناهيك عن سمعة المتحف. إن مجلس الإدارة قلق في هذا الشأن".

"لقـد فهمـتُ. إن إثـارة أحـد موظفي المتحف فضيحـة لن يُعجِب المانحين. ولكن المشاكل الدنيوية هي مشاكل دنيوية يا توني. إنها عادية وليست مُعيبة إلى هذه الدرجة".

وبعد تردد قليل قال توني: "أعتقد أن نشاطات كريس الخارجة عن المعتاد تخطت خيانة زوجته".

"هل تريد التوسع في ذلك؟".

كان هنـاك صمـت لمـدّة وجيـزة، ثـم قال أولسـن: "لا، حتى ذلك الحين عندما أكون مضطراً إلى ذلك".

"حسناً، هل يمكنك توقّع مكان وجوده؟".

"بعد خمسة أيام، وبعدما تخلّف عن العمل، قدِم موظفو المتحف إليّ. كانت الأمور تتراكم، ويجب حلّ بعض المسائل العالقة. عدا عن ذلـك، كانـوا قلقيـن علـى سـلامته. فاتصلـتُ بروزماري فـي فندقها في المكسـيك. لم تكن قد أجرت أي اتصال به بعد. قالت إنه يفترض بي التحدث إلى إحدى صديقاته إذا أردت العثور عليه".

www.ibtesama.com

"ما الأمر الذي تطلب مني القيام به بالتحديد يا توني؟".

"النظر في الأمر، في أمر اختفائه. أنت الشرطي الوحيد الذي تربطني به معرفة شخصية، وأعلم أن باستطاعتي الوثوق بتكتّمك".

"لقد فهمتُ. ولكن ماذا لو لم يظهر قريباً؟...".

"أعلم".

تحدثنا لدقائق قليلة. ووعد نان بالاتصال به قريباً.

سيقوم بإطلاق بالونات اختبار، ويُجري مقابلات مع الصديقات، ويتطفّل، ويحدد على الأرجح مكان كريستوفر توماس الذي يتمتّع بأشعّة الشمس على شاطئ خاص مع إحدى خليلاته، ممسكاً شراباً استوائياً بإحدى يديه.

ولكن بعد أسبوع من المحادثة الأساسية التي أجراها نان مع توني أولسن - جرت محادثات عديدة أخرى مذاك الحين - كان ينتظر خارج منطقة الجمارك عندما دخلت روزماري توماس إلى الولايات المتحدة.

لقد بدت متّسخة في أثناء جرّ حقيبة ملابسها وراءها. اعترض نان طريقها قائلاً: "روزماري توماس؟".

"أجل".

"أدعى جون نان"، وأراها شارته وأضاف: "أرغب في التحدث إليك عن اختفاء زوجك، كريستوفر توماس".

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

6

فاي كيلرمان

لقد تعلّمَتِ الصبر، ولم يحصلِ ذلك إلا في الأسبوعَين السابقَين. من الواضح أن الرحلة إلى المكسيكِ منحتها فرصة مشاهدة مجموعة رائعة من الدروع الإسبانية العائدة لفترة الاستعمار، ولكن السبب الحقيقي لمغادرتها الفجائية هو الحصول على شيء ما كانت تفتقر إليه بشدة طوال سنوات:

رؤية الأمور عن بُعد.

ألقت على المتطفل نظرة سريعة متفحصة وهادئة. كانت سترته صغيرة الحجم جداً ويعود طرازها إلى عامَين مضيا، وبدا كما لو أنه صفّف شعره لدى حلاّق مصاب بقصر البصر، وبحاجة للحلاقة. شفتاه رقيقتان، وأنفه طويل جداً، ولكنه جذّاب ويبدو ذكيّاً سألته: "من أنت؟".

مجدداً، أراها شارته المماثلة لِترس، ولكنها هزت كتفَيها قائلة: "أعرف أكثر من عشرة حِرَفيين يستطيعون تزوير هذه الشارة مقابل خمسة دولارات أو أقل". همّت بالسير، جارّةً حقيبتها قائلةً في سرّها: تصرّفي برباطة جأش، ثمّ قالت له: "بربّك، دَعني وشأني".

كان على نان القيام بخطوتَين إضافيّتَين للّحاق بها، فسألها: "هل يمكنني التحدث إليك لدقيقة واحدة؟".

توقفت وحدّقت إليه قائلةً: "ولا لثانيةٍ واحدةٍ. كيف تجرؤ على القدوم إليّ مع شارتك وتلميحاتك؟".

"لا أذكر أي تلميحات يا سيدتي".

www.ibtesama.com

واصلت روزماري السير ولكن نان كان وراءها مباشَرةً. ودلّت حقيبة يد كبيرة عن كتفها كادت أن تصطدم بوجهه.

"زوجك مفقود".

"آه؟".

"ألا يُقلقك ذلك؟".

فازدردت روزماري قائلةً: "شؤون زوجي ليست من شأني".

"أحقاً؟" وحاول نان النظر في عينَيها؛ مستحيل.

"منذ أسبوعين، ربما، ولكن ليس الآن. قال لي كريستوفر بتعابير واضحة تماماً إنني آفة بالنسبة إليه على الصعيدَين المِهني والشخصي. إذاً، فلماذا يُفترض بي القلق عليه؟"، تنهّدت روزماري بعمق، وأعادت الكَرّة مرة ثانية: "لا أعرف أين هو... ولا أُبالي". بلغت البوابات الآلية، وعندما فُتحت، خرجت. كانت حركة المرور كثيفة والضجيج يُصِمّ الآذان. فكّرت ملياً في تجاهل أنظمة المرور للتخلص من الشرطي، ولكنها قررت أن الأمر غير جدير بالمجازفة. فعثرت على ممر للمشاة وانتظرت الضوء الأخضر. بعد ذلك قالت لنان: "رجاءً غادر فحسب".

"سمعتُ أنكما تشاجرتما. ماذا جرى بينكما أيضاً؟".

استمرت روزماري بالتظاهر بالشجاعة، عِلماً أن الأفكار بدأت تدور وتتخبّط في ذهنها بقوة. "إذا كنتَ تحرّياً، يُفترض بك أن تعرف".

"حسناً، دعيني أخبرك بما أعرفه حقاً. لقد طلب منك زوجك الطلاق، فاعتراك غضب شديد في تلك الليلة".

"وماذا بعد؟...".

"ومن ثم تشاجرتما على الملأ".

"كم كنت غبية! لقد جعلت من نفسي أُضحوكة"، قالت ذلك محاولةً الابتسام. أضاءت الإشارة الخضراء، وشرعت بعبور الطريق المكوَّن من أربعة مسارب، جارّةً حقيبة الملابس وراءها وهي لا تزال

www.ibtesama.com

تتحدّث إلى نان: "ولأي سبب؟ بسببِ حقيرٍ متباهٍ، زانٍ، متزمّت كان يستغلّني؛ أو بالتحديد، يستغلّ مالي طوال سنوات؟ يا الله! أكره ذلك الرجل" قالت ذلك عِلماً أن جزءاً منها آلمها عندما تفوّهت بذلك.

وعندما وصلت إلى الجانب الآخر للشارع، حاولت التملّص منه داخل موقف السيارات، فأخذت نفَساً عميقاً، وانطلقت بسرعة، ولم يكن لدى نان سوى خيار اللحاق بها.

"ألا تملكين أي فكرة عن مكان وجوده؟".

"لا، كما أنني لا آبه لكونه مفقوداً. أتمنى من عدالة الله أن تبقيه مفقوداً". توقفت روزماري والتفتت إلى نان، فأصبح وجهاهما على مسافة قريبة جداً من بعضهما. أرادت الركض، ولكنها ثبتت في مكانها وسألت: "هل ما قلته واضح، أيها الشرطي؟".

"سواء أأحببتِ ذلك أم لا يا سيدة توماس، سوف يكون عليك التعاطي مع الوضع".

"لقد قلت لك، لم يعُد كريستوفر توماس من شأني".

"أخشى أنه كذلك". نظر نان في عينَي المرأة الزرقاوين الشاحبتين الحزينتين. لم يُقنعه لعبها دور المرأة المتماسكة، فقال: "ما رأيك بتناول كوب قهوة ومناقشة الأمر؟".

"انظر يا سيد، أنا...".

"أنا التحري جون نان. قسم شرطة سان فرانسيسكو، شعبة جرائم القتل".

نظرت إليه مجدّداً وقالت: "ما الذي يوحي إليك برغبتي في التحدث إليك؟".

"أنا هنا بسبب صديق لي... وصديقك".

"واسمه؟...".

"توني أولسن..."، تفرّس في وجهها في أثناء اتساع عينَيها وتابع:

www.ibtesama.com

"وهو قلق على زوجك".

"حسناً... لست قلقة عليه".

"ألستِ مهتمة ولو قليلاً باختفاء زوجك؟".

"\اختفاء هي كلمة قوية".

"إنها كلمة مناسبة يا سيدة توماس. لا يعرف أحد شيئاً عنه منذ أسبوعَين. لم يحضر إلى العمل. لا يجيب على الاتصالات الهاتفية. هاتفه المحمول مليء بالرسائل. لا يجيب على رسائل البريد الإلكتروني".

عضّت روزماري شفتها السفلية وقالت: "لا... لا أعرف مكان وجوده أيها التحري. آسفة، لا يمكنني مساعدتك".

"كنتِ آخر مَن رآه حياً".

"هل تهددني مجدداً؟".

"أذكر واقعاً جليّاً ليس إلا يا سيدة توماس. كلّ من كانوا في المتحف في مناسبة جاكسون بولوك رأوا زوجك يركض وراءك. ولا أحد، وأعني أن أحداً لا يعرف عنه شيئاً مذاك الحين. أعرف ذلك لأنني قمتُ بمقابلتهم جميعاً... **باستثنائك**"، مشدّداً على الكلمة الأخيرة، "في الوقت الحاضر، لديك فرصة للتحدث إليّ بشكل غير رسمي. كم سيدوم ذلك؟..." وهزّ كتفَيه.

ازدردت روزماري بصعوبة وسألت: "كيف تعرف توني؟".

"نعرف بعضنا منذ الماضي البعيد. الأمر معقَّد". أمسك بمِقبض حقيبة ملابسها وسألها: "أين سيارتك؟".

انتزعت حقيبتها من يده وقالت: "هذه... هذا ليس من شأنك".

"فرصة أخيرة يا سيدة توماس. بشكل رسمي أم غير رسمي؟".

لم تتكلم روزماري للحظات. ولكنها قالت أخيراً: "هناك مقهى على بُعد خمس دقائق... بعد خمسة مجمعات سكنية إلى الشمال. سألتقيك هناك".

www.ibtesama.com

وُصفت المرأة لجون نان بأنها خجولة ومُطيعة، ولكن انطباعه حيالها كان مختلفاً تماماً. ومع ذلك، شعر بأنها امرأة مجروحة تتظاهر بالتماسك. إنها جميلة المظهر من دون أن يكون جمالها باهراً، ولكنّ عينَيها الزرقاوَين الحزينتَين جميلتان وقوامها رشيق، كما أنّها اكتسبت سُمرة خفيفة في أثناء إقامتها في المكسيك. لقد أحب كيفية نظرها إلى وجهه مباشَرةً عندما تحدثت إليه، محاولةً عدم إظهار ضعفها.

لم تكن هناك أوجه شبه بينها وبين المشتبَه فيهم الذين اعتاد التعاطي معهم.

أولسن، ما الذي أقحمتَني فيه؟

لقد وصلت بعد خمس دقائق من وصوله، ثمّ جلست على مقعد نوغاهايد الخشبي الطويل المقابل مخبّئةً وجهها وراء لائحة طعام.

تمعّن نان بوجبات الطعام المُدرَجَة في اللائحة؛ إنها نموذجية. كان في المقهى نادلات يغطّينَ شعرهنّ بشبَك أبيض، ويرتدينَ تنانير واسعة ومآزر بيضاء. سألها: "ماذا أطلب لك؟".

"سلاماً وهدوءاً". فضحك نان.

وضعت لائحة الطعام من يدها وقالت: "لستُ جائعة، ورائحة الدهن تُشعرني بالغثيان. اطرَح أسئلتك فحسب... رجاءً".

"أنتِ من اخترت المكان وليس أنا".

"قُدِّر لي اختيار الفاشلين". حاولت روزماري الابتسام ولكنّ عينَيها ترقرقتا بالدموع. وبعد لحظات قالت: "لستُ حقودة في العادة. كريستوفر هو القذر. وبعد اختفائه، أفترض أنني اكتشفت الجانب الشرير فيّ".

"بعد اختفائه؟".

"أعني اختفاءه من حياتي، لا اختفاءه إلى الأبد". مسحت روزماري دموع عينيها بمنديل المائدة الورقي ثم تابعت: "هل رأيت؟ لهذا السبب

www.ibtesama.com

بالتحديد لم أشأ التحدث إليك. أقول أمراً ما فتضعه في إطار اتهام".

"اسمعي، يا سيدة توماس، لا أعرف ماذا حلّ بزوجك، ولكن إذا حدث له شيء ما بالفعل، فلن تكون هذه المقابلة الصغيرة سوى نموذج عن المقابلات القادمة. لذلك، أسديك صنيعاً في الواقع".

تسمّرت روزماري في مكانها مجدداً وسألت: "هل يُفترض بي أن أكون شاكرة؟".

"يمكنك مواصلة تعليقاتك المتهكمة أم يمكننا العمل معاً لاكتشاف ما حلّ بزوجك".

"هل ترى؟ هنا نختلف في الرأي. لا أبالي. لقد خرج كريستوفر من حياتي في تلك الليلة الشنيعة، وأنا سعيدة بذلك". وقوّمت كتفَيها للتشديد على ما قالته.

"إذاً، ماذا حدث في تلك الليلة الشنيعة؟".

"أنتَ من تمتلك الوقائع. أخبرني".

"خرجتِ بسرعة من المعرض وتبعك كريستوفر. سمعكما الناس تتشاجران وتكيلان الاتهامات لبعضكما".

قالت روزماري: "قلتُ له إنه مثير للشفقة، فقال لي إنني باردة. ولكن ما أغضبني في الواقع هو اعتباري طائر قَطرس حول عُنُقه. كما لو أنني أُعيقه. إن مالي ووفائي لمهنته أوصلاه إلى ما هو عليه".

"لا بد من أن ذلك قد أغضبك حقاً".

"لقد سبق أن قلتُ ذلك". سكتت قليلاً ثمّ تابعت: "إذاً، أنت تتظاهر بالاشمئزاز الآن؟".

ابتسم نان لدى قدوم نادلة لتدوين طلبهما. وفاجأته روزماري بطلب برغر مع كل الإضافات، إضافةً إلى طلب مزدوج من البطاطا المقلية، وعبوّة كوكاكولا. وطلب لنفسه قهوة.

"ماذا حدث بعد شجاركما؟".

www.ibtesama.com

"عدت إلى المنزل أيها التحري. لا أعرف ما الذي قام به كريستوفر ولا أُبالي".

منحها كريستوفر فرصة لإضافة بعض التفاصيل إلى روايتها. وعندما لم تتكلم قال: "ألم تُهملي أمراً ما؟".

"أجل، نسيت أن أخبرك أنني أكره الوغد تماماً!".

خفّض نان صوته وقال: "يا سيدة توماس، لقد قلت لك. سبق لي أن تحدثت إلى أشخاص. كل أنواع الأشخاص. أعرف أنك عدت إلى المنزل في النهاية". أسند ظهره على المقعد ورأى الذُّعر في عينَيها، ثمّ أضاف: "تحدثتُ إلى الحراس. لم تكونا شديدَي التكتم. لقد سمعوكما تتشاجران". ثمّ انحنى إلى الأمام وخفّض صوته إلى درجة الهمس قائلاً: "لماذا لا تفرّجين عن مكنونات صدرك؟ أخبريني بما جرى".

حدّقت روزماري إلى بقعة بالية على سطح طاولة الفورمايكا وقالت: "لا شيء عندي أقوله".

"لقد عدتِ إلى المتحف".

"عدت إلى مكتبي للحصول على بعض السلام والهدوء. كنت..."، أدمعت عيناها مجدداً، ثمّ تابعت: "كنت شديدة الخجل من سلوكي".

أومأ نان تعاطفاً معها، ولكنه كان يشتم نفسه بسبب عدم اصطحابها إلى مركز الشرطة حِرصاً منه على عدم استجوابها بشكل رسمي. أما وقد بدأت بالتكلم فلم يشأ مقاطعتها.

"لم أستطع أن أصدّق الوضع الذي بلغتُه". نظرت إلى نان وسألت: "لماذا يُفترض بي القلق إذا تطلّقنا؟ لم نكن ثنائياً حقيقياً منذ مدة طويلة. كنت غاضبة، كنت حاقدة، كنت أشعر بالغثيان. بعد الشجار في الخارج، علمت أنني قد أقوم بأمر ما أندم عليه حقاً إذا لم أغادر. لذلك، دخلتُ سيارتي وابتعدت عنه. لم يكن باستطاعتي العودة إلى المنزل وأنا في هذه الحالة، فاستدرتُ".

www.ibtesama.com

"وعدتِ إلى المتحف، إلى مكتبك؟".

أومأت إليه وقالت: "لكن كريستوفر لم يستطع ترك الأمور على حالها لأنه كريستوفر. كان عليه أن يعذّبني ويحرص على أن تكون له الكلمة الأخيرة".

"لقد تبعك".

قالت بنفَس مقطوع: "لم يستطع ترك الأمور على حالها".

"جاء إلى مكتبك؟".

"كان خطأي الأول هو الظن أن باستطاعتنا إجراء حوار متمدّن".

"كان غاضباً".

"كان ساخطاً"، تنهدت ثمّ أضافت: "كان ذهني قد صفا... بطريقة ما. فاستعدتُ أحداث ذلك المشهد المريع في ذاكرتي وقررت أنني لن أنزل إلى مستواه الصبياني واستخدم الألفاظ الجارحة والشتائم. لقد انتهى زواجنا، وكلما أسرعت في تقبّل ذلك، كنت أكثر سعادة"، تفحّصت وجه نان وتابعت: "إنه أحد أسباب مغادرتي إلى المكسيك. لقد حان الوقت لأهتم بنفسي وأستعيد روزماري القديمة؛ تلك التي استمالت على الأرجح كريستوفر في بادئ الأمر".

"ماذا حدث عندما تبعك إلى مكتبك؟".

"تشاجرنا. رميتُ أغراضاً. أحدثنا صخباً وشعرتُ بالإحراج. لقد دخل أحد الحراس للتحقق مما يجري. عندئذٍ، شعرت بالهياج فالتقطتُ حقيبة يدي وغادرت".

ركّزت نظرها على عينَيه، وبدأ يلاحظ بُقَعاً فضية وسط اللون الأزرق على غرار ذرّات من الماس. بدتا جميلتَين.

ابتسمت نصف ابتسامةٍ وتابعت: "كانت آخر مرة رأيته فيها. ويا لها من صورة! وجهه الأحمر الشمندري المتعرّق... تكشيرته التي أبرزت أسنانه... يداه المرتجفتان. لقد بدا مثل... كَرغَل". أطلقت

www.ibtesama.com

ضحكـة حزينـة ثـمّ أضافت: "حملتُ تلك الصـورة معي. وكلما فكرتُ بالطلاق الوشـيك وشـعرتُ بالخوف، أتخيّل ذلك الوجه. إنه يهدّئني". عضّت شـفتها السـفلية ثمّ قالت: "كان حيّاً عندما غادرتُه أيها التحرّي. حيّاً يُرزَق".

ربما ما قالته صحيح، ولكن نان كان قد أمسكها تكذب. فالحارس الـذي دخـل للتحقـق ممـا يجري لم يذكر أي شـيء عـن مغادرتها. في الواقـع، تذكّـر الحـارس بوضـوح رؤية روزماري تبتسـم، قائلةً له إن ما يجري هو مشاجرة زوجية صغيرة. ولكن نان لم يشأ مواجهتها بالحقيقة؛ ليس بعد.

نظر نان إلى المرأة الجالسة في الناحية المقابلة من الطاولة وقال: "أريـدك أن تسـديني صَنيعـاً". نظـرت روزماري إليـه من دون أن تتكلم. قال: "أريد منك القدوم إلى مركز الشـرطة لأخذ إفادتك. سـيوضح هذا الأمر كل شيء، ولن أُزعجك مجدّداً".

"لماذا يُفترض بي القيام بذلك؟".

"ولكن، لماذا لا تريدين القيام بذلك؟ إيضاح هذه المسـألة وإزالة الشوائب عن سمعتك؟".

"لم أُدرك قطّ أن سُمعتي ملطَّخة".

"إنها مجرد إفادة".

"متى تُدوَّن الأمور، فلن يعود الأمر بسيطاً".

كان باسـتطاعة نـان التيقّـن مـن أنهـا لـن تضـع حداً لهذه المسـألة بسـهولة، فقـال: "هِيـه، لقـد خرجتِ من مكتبك، لذلـك يكون الحارس آخر من رأى كريستوفر حيّاً".

قالت له روزماري: "تماماً، إذاً، تحدّث إليه".

وصلت البرغر خاصّتها. فالتقطت روزماري قطعة بطاطا مقليّة، ثمّ ألقـت بهـا فـي طبَقِهـا قائلةً: "لا أعرف لماذا قمـتُ بطلب هذا الوجبة"،

www.ibtesama.com

دفعت بطبَقها جانباً قائلةً وقد ظهر الاكتئاب على عينيها: "سأغادر".

وضع نان عشرين دولاراً على الطاولة وتبعها إلى الخارج منادياً إياها: "يا سيدة توماس... انتظري!".

لكنها لم تتوقف. وعندما وصلت إلى سيارتها، لم تستطع فتح الباب. كانت يداها ترتجفان بقوة، والدموع تسيل على خدَّيها. ألقت المفاتيح من يدها وأخفت وجهها بين يدَيها صارخةً: "رجاءً... اذهب فحسب".

حاول نان التكلم بنبرة مهدّئة: "يمكنني الذهاب يا سيدة توماس. ولكن ما حدث... باقٍ حتى نعثر على زوجك".

"إذاً، اذهب للبحث عنه وكُفّ عن مضايقتي!".

شرعت بالبكاء، فالتقط نان مفاتيح سيارتها ووضعها في جَيبه قائلاً: "أنتِ شديدة الانزعاج ولا يمكنك القيادة".

أبعدت يدَيها عن وجهها ببطء وقالت: "رجاءً، رجاءً دعني وشأني".

وضع نان يده على كتفها قائلاً: "هدّئي من رَوعك. دعيني أُقلّك إلى مركز الشرطة كي تتمكني عن التفريج عن مكنونات صدرك".

"أخبرتك بكل شيء".

قال نان بهدوء: "أعرف، كنتِ صريحة للغاية. وهذا جيد. كل ما أطلبه منك هو إفادة مكتوبة بما أخبرتني به. هذا كل شيء. الأمر بسيط".

قالت، وقد بدا وجهها فجأةً أكبر من عمرها: "لا شيء في الحياة بسيط".

"انظري، متى حصلتُ على إفادتك، أتخلّص من إلحاح توني، أتخلّص من إلحاح مرؤوسيّ، وتنتهِ المسألة".

"ربما أكون الزوجة المهجورة، ولكنني لست بلهاء أيها التحري".

"باستطاعتي رؤية ذلك. ولكن ليس من الضروري أن تتعقد الأمور".

كانت فكرة واحدة تستحوذ على عقل نان: كيفية إقناعها بدخول غرفة

www.ibtesama.com

المقابـلات مـن دون إكـراه. تابـع قائلاً: "انظري، انسَـي أمـر الإفادة، لا تكتبـي أي شـيء. اقصـدي مخفر الشـرطة ويمكننا التحـدث هناك. هذا كل شيء. أنت وأنا فقط. سنتحدث. ما رأيك؟".

جففت روزماري دموعها بكمّ قميصها وتنهّدت.

انتظـر نـان جوابـاً، ولكـن عندمـا لم تقل أي شـيء أمسـك مِرفقها بلطف واصطحبها إلى سيارته المنتظرة.

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

يوميات جون نان

أندرو أف. غولي

عندما دخلَت غرفة المقابلات، بدت تلك النظرة في عينَيها كما لو أنها توضح لي مسار الأمور.

تقدّمت روزماري بإفادتها. فبخلاف حديثنا في المقهى، كان صوتها يرتجف، وكانت تتردد، وتناقض نفسها أكثر من السابق. ولكن أي شرطي لن يقول لك إن الأبرياء لا يناقضون أنفسهم أبداً؛ هم أولئك الذين ينظرون في عينَيك مباشَرةً من دون أن يرفّ لهم جَفن، ويروون ما حدث كما لو أنهم يقرأون نصاً مكتوباً، هم الذين يتعيّن عليكم الانتباه إلى ما يقولونه.

لم أتمالك نفسي من الشعور بمودة حيالها. لم تكن هناك أوجُه شبه بينها وبين المشتبَه فيهم الذين تعاطيت معهم من قَبل. كنت أريد مساعدتها أحياناً، والمساعدة على توضيح الأمور، ولكن بلا جدوى. كانت العجلات تدور في اتجاه واحد وعليّ أن أكون مشاركاً معارضاً، حتى إنني لم أعُد قطّ بالذاكرة إلى الوراء لأرى ما بتّ عليه الآن. ليبارك الله أولئك المغفّلين الذين يسبحون بعكس التيار ويُسحقون.

بعد انتهائها من التقدم بإفادتها، نهضت عن الكرسي الرمادي وملّست تنورتها. لم يكن ذلك المكتب المتّسخ يلائمها. وأعدتُها إلى المقهى حيث سيارتها، وأعطيتها رقم هاتفي لتتصل بي إذا طرأت أي مُستجدات.

اتصلت بي بعد ثلاثة أيام لتسأل ما إذا كنا قد توصلنا إلى شيء

www.ibtesama.com

مـا. فاسـتخدمتُ ذلـك عُـذراً لمقابلتها. قلت في سـرّي إنني أقوم بعمل الشرطة ليس إلا... وهذا ما كنت أقوم به.

ولكن كلما تعمّقتُ في القضية في الأيام والأسابيع التالية، أدركتُ أنني أحب التواجد بقربها حتى وإن لم تُضِف روايتها أي جديد.

لن أنسى أبداً ذلك اليوم - النيّر والمشمس - وهو من الأيام التي لا تشعرون فيها بأن أمراً سيّئاً قد يحدث، حتى ولو كنتم من الشرطة.

استيقظتُ وسارة في الوقت نفسه، فسألت: "هل يضايقك أمر ما؟". بعد عشر سنوات من الزواج، بات بإمكانها ملاحظة معاناتي من أمر ما من خلال طريقة تقلّبي في السرير.

"لا، قضيـة المتحـف هـذه ليس إلا". مـددتُ ذراعيّ وأضفتُ: "لا جثة ولا دماء بعد، ولكن عندما يظهر... لن يبدو جميلاً".

تفاجـأت سـارة، إذ إنني لـم أكـن أتحدث عن قضايـاي وأعبّر عن آرائـي إلا نـادراً، وأفتخـر دائماً بعدم المزج بين عملي وحياتي الزوجية. ولكـن أمـراً مـا فـي قضية توماس ترك أثراً في نفسـي، وكان باستطاعة سـارة التيقّن من أن هذه القضية أصبحت شخصية بالنسـبة إليّ بالرغم من إنكاري لذلك.

سـألت ناهضةً من السـرير: "هل أنت واثق من أنك لن تعثر على هذا الشخص على شاطئ الريفييرا في حالة من فقدان الذاكرة؟".

"لا أعتقد أنه سيعود حياً".

"لا بـد مـن أن تكـون زوجتـه هـي التي قتلته". لم تكن سـارة قطّ من الأشـخاص الذين يُصدرون أحكاماً، لذلك أثار ذلك الأمر دهشـتي. وراقبتُها في أثناء توجهها إلى النافذة لفتح الستائر.

جلسـتُ فـي السـرير وسـألتها: "مـا الـذي يدعـوك للاعتقـاد بأنهـا الفاعلة؟".

أدرات وجههـا إلـيّ وقالت: "إن المـرأة المخلصة المرتبطة بالزوج

www.ibtesama.com

جميـل المظهـر والمُغـازل للنسـاء الـذي تزوّجهـا لأجل مالهـا ومنزلتها الاجتماعية وجدت ذات يوم أنها غير قادرة على التحمّل فقتلته".

"كيف تعرفين كل ذلك عنه؟".

فابتسـمت مجيبـةً: "لقـد أخبرتَنـي بذلـك مليـون مـرة". عادت إلى السـرير، واسـتكنّت بجانبي وهي تقول: "إنها فرصتك لسطوع نجمك يا جون. قد تتحقق أحلامنا إذا نظرت المحكمة في قضية مصحوبة بدعاية كبيرة تعمل عليها. باستطاعتك التقاعد حينذاك، ووضع كتاب... سيكون كل العالم لك".

تمنّيتُ لو أنها قالت أمراً آخر.

في أثناء عودتي من العمل إلى المنزل في ذلك اليوم، توقفتُ أمام منـزل روزمـاري. كنـت راغباً فـي رؤيتها، عِلماً أنه لم يكن باسـتطاعتي معرفة السبب أو ما كنت أخطط لقوله. لقد أراد جزء مني حملها على الاستسـلام تماماً، والاعتراف بكل شـيء، فتنتهي المسألة. ولكنني كنت أعرف أنني سأشعر بالدناءة إذا قامت بذلك ومتى قامت به، وأنني سأكره الدور الذي لعبتُه للتسبب بموتها حتى ولو كانت القاتلة.

أدخلتنـي الخادمـة. وبينما كنت متوجهاً إلى غرفة الجلوس الفخمة تلك، سـمعت صوت رجل يقول: "كانت مسـألةَ وقت فحسـب قبل أن ينال منه الرجال الأشداء...".

كان شـخصاً ذا شـعر طويـل، ولحيـة خفيفـة، وعينَيـن قاتمتَيـن وانفعاليّتَين. كان جالسـاً على الأريكة، في يده كأس شـراب، ويتصرف كما لو أنه في منزله. فاسـتدارت روزماري، وتمعّنت في وجهي، باحثةً عن دلالة ما يمكنها الكشـف من خلالها عن سـبب وجودي هناك. لم يكـن لـديّ الكثيـر لأقوله، لذلك ابتسـمت وقالـت: "أرغب في تعريفك إلى هانك زاكاريوس".

كنت قد سمعت بزاكاريوس، المراسل الاستقصائي. كان شوكة في

www.ibtesama.com

جَنب قسم شرطة سان فرانسيسكو منذ كشفه النقاب عن تورط مسؤولين رفيعي الرُّتَب في القسم في نوع من أنواع الفساد.

قلت: "جون نان"، وحدّق إليّ كما لو أنه يحاول تذكّري، ثمّ صافحني بطريقة مهذّبة، وقبّل خد روزماري وغادر.

ألقيتُ نظرة على أرجاء المكان - غرفة جلوس كبيرة بما يكفي لتتّسع لأربع شقق بحجم شقتي، رخام هنا وهناك، ثُريّات من الزجاج المزخرَف، لوحات فنّية باهظة الثمن على الجدران، بركة سباحة لمحتُها من خلال الأبواب الفرنسية - المكان الذي يجعل سارة سعيدة. بالرغم من ذلك، لم تكن المرأة التي تملك كل ذلك سعيدة. جلسَت على الأريكة بعد مغادرة زاكاريوس ونظرت إليّ، نظرةً متسائلةً إلى حدٍّ ما. لقد ازداد وجهها نحولاً بعد لقائنا الأول، وبدت عيناها أكبر وأجمل.

"من هم الرجال الأشداء يا روزماري؟".

"آه! أنت تعرف هانك زاكاريوس، هو يتابع تلك الموضوعات... لديه نظرياته". سكتت قليلاً ثمّ تابعت: "إذاً، ما هو سبب قدومك؟ هل هناك من جديد؟".

"لا، لا شيء". وشعرتُ فجأةً بالإرباك بسبب وجودي هناك. قلت: "أعتقد أنني أردت فقط مراجعة بعض التفاصيل معك".

احمرّ وجهها وهي تقول: "لقد أخبرتك بكل ما أعرفه أيها التحري".

توجّهتُ إلى النافذة ونظرتُ إلى الوادي المليء بالأشجار، وتخيّلتُ كريستوفر توماس واقفاً حيث أقف. لم يكن أي شيء كافياً بالنسبة إليه؛ مال، زوجة، نفوذ... لا يمكن إشباع رغبات بعض الأشخاص أبداً. يا له من وغد! ما كنت لألومها إن هي من قامت بقتله. لقد تحرّك شيء ما في داخلي، الرجال الأشداء... زاكاريوس وعباراته المبتذَلة...

عدت إلى الأريكة وجلست قبالتها قائلاً: "روزماري، عليك التحدث إليّ بصراحة".

www.ibtesama.com

"لقد صارحتُك". وثبّتت نظرها على عينَيّ.

"عليك إطلاعي على كل ما تعرفينه عن صفقات زوجك المشبوهة".

لم تبدّل موقفها وقالت: "عليك المغادرة في الحال؛ طلب مني محاميّ عدم التحدث إليك".

"انظري، قد يسوء الأمر بعد ذلك. أنتِ المشتبَه فيها الرئيسة في هذا الاختفاء. إن فرصة ظهوره حياً معدومة. عليك تزويدي ببعض المعلومات التي تحمل الشرطة على تغيير موقفها المبدئي منك. أَخرجي نفسك من دائرة الضوء. الوقت غير مناسب للقلق حول كيفية حماية سمعة العائلة".

تنهدت قائلةً: "أعتقد أنه كانت هناك شائعات حول عمليات تزييف، ومخدرات. كان على عِلم بهذه الشائعات. لقد ظن أنها مسلّية. لم آخذ أيّاً منها على محمَل الجَدّ".

بدأت السماء بالاكفهرار في عينيّ وسألت: "ما الذي كان زاكاريوس...؟".

نظرت روزماري إلى الناحية القائمة ورائي فاستدرتُ. كانت الخادمة قد دخلت ويسير وراءها شخصان من قسم الشرطة: غريغيرا وسوانسون.

سألتُ: "ماذا هناك؟". لقد ظننت لسبب ما أنهما قدِما للتحدث إليّ، ولكن الأمر لم يكن كذلك؛ هما يطلبان روزماري، فاستدرتُ نحوها. لن أنسى أبداً تلك النظرة في عينَيها.

قال غريغيرا: "روزماري توماس، لديّ مذكرة باعتقالك".

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

7

جوناثان سانتلوفر

كان جوزف آرثر كروغِه يكره الصيف؛ لم يكن الأمر مرتبطاً بالحر فقط، بل بتأثير هذا الحر على موقفه، وبافتقار موظفي المُتحف إلى الاحترافية أيضاً. كما لو أن الطقس الدافئ ليس عُذراً للّهو فحسب، بل هو تبريرٌ أيضاً للتخلي عن كل مسؤولية. كان يعلم أن نصف موظفيه يغادرون كل عام لتمضية إجازة على شاطئ أوروبي أو آخر، عِلماً أنه لم يكن يعرف أي شاطئ، ولم يكن يأبه لذلك.

كان المتحف التاريخي الألماني في برلين اهتمامه الوحيد منذ اضطلاعه بمنصب المدير منذ عقدَين من الزمن تقريباً. فكروغِه الأكاديمي التدريب - يقول البعض إنه أكاديمي بطبيعته - يثق بالعمل الشاق والروتين.

واليوم، وكأي يوم آخر، غادر شقته في ميتِه في شارع فريدريش العُلوي عند الثامنة واثنتَي عشرة دقيقة بالتحديد، واستقل يو باهن إلى جزيرة المتاحف، ووصل إلى المتحف عند الساعة التاسعة تماماً. لقد أمضى ست دقائق فقط، بدلاً من دقائقه العشر المعتادة، في مراجعة لائحته اليومية عندما أدرك أن صندوق الشحن البحري القادم من أميركا لا يزال موضوعاً منذ أسبوع في غرفة للأعمال اليدوية في الطابق السفلي. لقد طفح الكيل. كفى. إنه أمر مثير للغضب. لقد ساءه أن تقبع إحدى تُحفه التي يثمّنها عالياً - والتي تلقى رواجاً منقطع النظير من قِبَل زائري المتحف - في غرفة رطبة.

www.ibtesama.com

مـدّ كروغِـه يـده لتناول الهاتف، لكنه تذكّر أن موظفي التركيب في المتحف في إجازة على غرار الجميع تقريباً.

كان الـرُّواق المـؤدي إلـى غرفـة التخزين في الطابق السـفلي حارّاً بسبب إطفاء مكيِّفات الهواء في المتحف خلال الليل، وهو مسعى لتوفير الطاقة استنكره كروغِه بالرغم من اقتراع مجلس الإدارة لصالح اعتماده، وهو يزعجه لأن قميصه الأبيض يلتصق بجسمه بسبب الحرارة.

لقد شعر بالأسف لأنه أقرض المِقصلة الحديدية للمتحف الأميركي قبـل سـواه، ومـا كان ليقـوم بذلـك لو لـم تثابر القيّمة مـن خلال حملة توجيه رسائل بلغت ذُروتها باتصالها به ومناشدته الحصول عليها، مُصرّةً على أنها ستكون القطعة الرئيسة في معرض مخصَّص لأدوات التعذيب البدائية، ومُقنعةً إيّاه بأسلوبها المهذَّب والمباشَر. وبخلاف معظم القيّمين الأميركييـن الذيـن تعاطى كروغِه معهم، كانـت روزماري توماس مهذَّبة ومقنعة على حدّ سـواء. لقد اجتذب معرضها في متحف ماكفول أرت ميوزيـوم عـدداً كبيـراً من الزائرين، ونُسـبت التحفـة المُعارة إلى متحفه. لذلك لم يكن طلبها فكرة سيّئة بالرغم من قلقه حيال ضرورة استعادته.

كانت غرفة الأعمال اليدوية تبدو كقَبر ولا دلالة على وجودٍ بشري وسـط صناديـق متعـددة الأحجـام، وأعمال فنية تنتظـر الترميم، وأدوات موزّعـة علـى طاولـة العمل، ونُشـارة خشـب علـى الأرض، وهواء حار ورطب.

نخـر كروغِه بأنفه اشـمئزازاً. كيف يجـرؤ موظفوه على ترك الغرفة على هذا الحال؟ فهز رأسه في أثناء شق طريقه في اتجاه صندوق كبير أطول منه بعدة أقدام ويفوقه عرضاً بمعدل الضعف.

دار كروغِـه حـول الصنـدوق كمـا لو أنه يعاين شـيئاً ما من الفضاء الخارجي، وتسـمّر في مكانه عندما لاحظ شِـقّاً بطول قدَم في الخشـب. هل تضررت المِقصلة في أثناء شحنها؟

www.ibtesama.com

سحب مِثقاباً كهربائياً موضوعاً على طاولة العمل، وأزال بسرعة أكثر من عشرة براغي شيتروك حتى وقع لوح أحد الجوانب، ففاحت رائحة خفيفة لبَيض أو فاكهة متعفّنة.

بحاجبين مقطبين، تخيّل كروغِه قيام عامل أميركي مخبول برزم غدائه خطأً مع المِقصلة القيّمة.

حدّق إلى الجانب المكشوف الذي كان يبدو بحالة جيّدة، ولكنه آثر التحقق مما إذا كان متضرراً من مكان آخر.

أُزيل مزيد من البراغي، وسُحب مزيد من ألواح الخشب، حتى ظهرت المِقصلة بكامل رَوعتها: عمود حديدي أسود، موحِش ومؤثِّر.

تخيّل كروغِه نواحيها الداخلية، وشُعَبها الحديدية التي تُطبِق على ضحاياها الحيّة؛ أداة للتعذيب لا يمكن الفرار منها إلا لملاقاة الموت.

مرّر يده على الناحية الخارجية الصلبة وغير المستوية، متجاهلاً الرائحة التي ازدادت قوةً وباتت أشبه برائحة لحم متعفّن أكثر منها برائحة فاكهة أو بَيض متعفّن، ولكن الأداة نفسها بدت سليمة وبحالة جيّدة.

عندئذٍ، نظر إلى الأسفل ورأى السائل يتسرّب.

"*Was zum Teufel...?*"

انحنى كروغِه فوقها لتمرير إصبعه بسرعة على البِركة التي أحدثها السائل، ولكنه لم يتمكن من الوصول إليه بسبب قوة الرائحة الكريهة المنبعثة، وقوّم وقفته على الفور مقاوماً رغبته الشديدة في التقيّؤ.

حدّق إلى المِقصلة الحديدية، ثمّ بدأ بفتحها ببطء وبجهد كبير، مُسترِقاً النظر إلى ما يوجد بداخلها.

لكنه لم يذهب بعيداً.

لقد سقط ما في داخلها على الأرضية، مُحدثاً صوتاً مكتوماً. كان بحجم كروغِه، موضوعاً داخل كيس بلاستيكي سميك وغير شفاف،

www.ibtesama.com

ومربوطاً بشريط لاصق وحبل. وباستقرار محتويات الكيس على الأرضية، انفتحت الناحية العُلوية من الكيس، وتشكّلت حول حذائه بقعة من سائل عَكِر ممزوج بكُتَل ويُداخله لون أصفر ليموني ولون قرمزي داكن، وملأت الرائحة النتنة أنفه واستقرت في الناحية الخلفية لحَلقه كحَمض حارق وعفَن. وتجرّأ أخيراً على إلقاء نظرة قريبة كما لو أنه فقد السيطرة على نفسه، وتمكن من تمييز جمجمة بشرية وثقبٍ أسود لفم بدا كما لو أنه يتحرك.

واضعاً يده على أنفه، اقترب كروغِر أكثر فأكثر، وألقى نظرة على المحتوى، وأدرك أن الحركة ناتجة عن مجموعة من الديدان.

ثمّ بدأ بالدَّوران والتأرجح بشدة بسبب انزلاق حذائه على سائل، وقيام تجويف عين هُلامية كئيبة بالتحديق إليه في أثناء ابتعاده بسرعة واضطراب. تمكن بطريقة ما من تقويم وِقفته، وخرجت محتويات مَعِدته أخيراً عبر حَلقه، وتقيّأ في أثناء خروجه بأقصى سرعة من غرفة الأعمال اليدوية.

www.ibtesama.com

تقارير الشرطة

كاثي رايكس

المركز	الرمز	قسم شرطة برلي	قضية رقم 08443
المنطقة الإدارية ميته	الفصيل	المركز	القضية رقم
المشتكي: الاسم الأخير، الأول، الأوسط	سي	بي أس أس	98-234
كروغِه، جوزف آرثر (المتحف التاريخي الألماني، برلين)			
الجثة: الاسم الأخير، الأول، الأوسط	نوع القضية		
متوفٍ مجهول الهوية	وفاة مشبوهة		
الأغراض المرافقة	القيمة	يمكن تحديد هويتها	
آلة تُعرف باسم "المِقصلة الحديدية"	أكثر من مليون دولار		

بتاريخ 18 تموز/يوليو 1998، وعند الساعة التاسعة وأربعين دقيقة، أجاب المحقق الأعلى ماكس ريمار، من قسم شرطة برلين، وحدة التحقيقات، على اتصال هاتفي من المتحف التاريخي الألماني يُبلغ أحدهم عن وجود جثة داخل آلة شُحِنت من سان فرانسيسكو، الولايات المتحدة الأميركية. وبتأكيد وجود جثّة بشرية متحلّلة، التُقطت صور للناحية الخارجية والداخلية لغرفة الأعمال اليدوية في المتحف، وللجهة الخارجية للآلة. وأُخذت إفادة جوزف آرثر كروغِه، مدير المتحف. ضُرب طوق أمني حول المنطقة وأُعلم الفاحص الطبي الطبيب داغمار زير. وعند الساعة الواحدة والعشر دقائق، نُقلت الآلة والرُّفات إلى معهد الطب الشرعي، برلين، لتشريح الجثة وتحديد هوية صاحبها.

مُرفَقات: سِجلّ دليل واحد

إفادة شاهد واحد

سِجلّ 34 صورة فوتوغرافية

التوقيع والرُّتبة	شارة رقم	موافَقة	وضع القضية				تاريخ التقرير
المحقق ماكس ريمار	2417						18/7/1998

www.ibtesama.com

خاصة بالمختبَر فقط	خاصة بالمختبَر فقط		اسم المركز/ الوكالة برلين، قسم الشرطة	أوراق المتابعة 1/ 1
			قضية رقم 08443	دَور الانعقاد، رقم الرسالة والملف
	تاريخ الحادثة 18/ 7/ 1998	رقم القضية في المختبر		منطقة الحادثة: ميتِه
	العنصر المحقِّق: المحقق ماكس ريمار			تَقدَّم بها المحقق ماكس ريمار
	الاسم فقط (الاسم الأخير، الأول، الأوسط) للضحية: مجهول الهوية			اسم المشتكي: جوزف كروغِه

الدليل

رقم الدليل	الوصف	الفحص المطلوب	الهوية	موجود في المركز	موجَّه إلى الفصيل	موجَّه إلى المختبر
	تمّ الحصول على الدليل في المتحف التاريخي الألماني.					
519	مقصلة حديدية جثّة بشرية متحلّلة					X

السجِلّ المحوَّل

التاريخ والوقت	الأدلة المعنية	من	إلى	التوقيع
18/ 7/ 1998 الساعة الواحدة والعشر دقائق	519	ماكس ريمار	داغمار زيبر القسم الطبي	داغمار زيبر القسم الطبي

www.ibtesama.com

المركز	الرمز	قسم شرطة برلين	قضية رقم 08443

المنطقة الإدارية: ميته

الشاهد: الاسم الأخير، الأول، الأوسط	الفصيل	المركز	ملف رقم
كروغِه، جوزف آرثر	سي	بي أس أس	98-234

الجثة: الاسم الأخير، الأول، الأوسط	نوع القضية
متوفٍ مجهول الهوية	وفاة مشبوهة

إفادة الشاهد: كروغه، جوزف آرثر

بتاريخ 18/ 7/ 1998، وعند الساعة التاسعة والأربعين دقيقة، تحدّث المحقق الأعلى ماكس ريمار، من قسم شرطة برلين، وحدة التحقيقات، إلى السيد جوزف كروغِه مباشَرةً، مدير المتحف التاريخي الألماني. وأفاد السيد كروغِه أنه لدى وصوله إلى المتحف عند الساعة التاسعة تقريباً، توجّه إلى مكتبه ثم إلى غرفة التخزين 14 بي، وفتح صندوق شحن. ووفقاً للسيد كروغِه، كان الصندوق في المتحف طوال أسبوع تقريباً بعد إعادته من المتحف في سان فرانسيسكو، الولايات المتحدة الأميركية. وعزا السيد كروغِه التأخر في التحقق من محتويات الصندوق إلى التغيّب المتكرر لموظفي المتحف بسبب إجازة الصيف.

وأفاد السيد كروغِه أنه لدى فتح الصندوق الخارجي، لاحظ وجود سائل ورائحة غير عادية. وواصل فتح الرزمة الداخلية، رغبةً منه في التحقق من وجود آلة بحجم وشكل إنسان تُعرَف باسم "المِقصلة الحديدية". وأفاد السيد كروغه أن العيّنة هي أداة تعذيب تعود للقرن الثامن عشر تمّ اقتراضها لإشراكها في معرض في سان فرانسيسكو، الولايات المتحدة الأميركية.

وأفاد السيد كروغه أنه لدى فتح المِقصلة الحديدية نفسها، سقط على الأرض ما بدا أنه جسد موضوع داخل كيس سميك. فأوقف كل نشاط وأجرى اتصالاً هاتفياً بخط الطوارئ في قسم شرطة برلين.

التوقيع والرُّتبة	شارة رقم	موافَقة	وضع القضية				تاريخ التقرير
المحقق ماكس ريمار	2417						**18/ 7/ 1998**

www.ibtesama.com

معهد الطب الشرعي
تقرير فحص تشريح جثة المتوفّى

رقم المستند: سي 1998073042

نوع التشريح: تشريح بإشراف الفاحص الطبي

الاسم: مجهول الهوية (المُفترَض أنه توماس كريستوفر، تاريخ الولادة 19/ 09/ 52)

العمر: ما بين 35 و50 عاماً

العِرق: أبيض

الجنس: ذكر

طول القامة: 183 سنتمتراً +/ -

التفويض

فُوِّض من قِبَل: الطبيب داغمار زيبر

تمّ تسلّمه من: شرطة مدينة برلين، المنطقة 3

زمان ومكان التشريح

تاريخ التشريح: 20/ 7/ 1998 **وقت التشريح:** التاسعة وخمس عشرة دقيقة

مكان التشريح: معهد الطب الشرعي، برلين

الأشخاص الحاضرون: أدولف مونغر، ميت برينكمان

شهادة

سبب الوفاة

غير محدَّد

طريقة الوفاة

قَتلاً

الوقائع المذكورة هنا صحيحة مستخدِماً أقصى معرفتي.

التوقيع

برونو مونتس، القسم الطبي 20/ 7/ 1998، الساعة الثانية وتسع وعشرين دقيقة بعد الظهر.

تشخيص

بالغ متحلِّل

www.ibtesama.com

تحديد الهوية

تمّ التعرف إلى الجثة من خلال

ممتلكات شخصية؛ بصمة جزئية، الإصبع الخامسة في اليد اليسرى

وصف خارجي

حالة الجسد: متحلِّل/ هيكليّ

الشعر: متحلِّل، اللون الأصلي لا يمكن تحديده

الأسنان: مفقودة، باستثناء كِسرة واحدة

تتكوّن الثياب من سروال، وسترة، وقميص، وملابس داخلية خاصة بذكَر بالغ. ويحمل إبزيمُ حزامٍ ذهبي حرفَي سي تي محاطَين بنقش دائري على شكل ماسة. بعد رفعها من الآلة، بلغ وزن الجثّة 60 كيلوغراماً. كانت الأعضاء مُسالَة، والدماغ والنسيج الليّن متعفّنين. وبقيت بعض العظام متصلة بنسيج لَحمي. كانت هناك إصبع مقحومة في المَفصِل الحِقّي الفَخذي مما حافظ على نسيج عظمة الإصبع الأبعد الواقعة تحت البَنانة، وتمّ جمع عيّنات من الحشرات وخضعت للتحليل. انظروا تقرير عِلم الحشرات المنفصل.

الإصابات

بالرغم من كونها مسلوخة، كانت هناك عدة ثقوب في الجِذع أحدثتها آلة قاطعة. وبالرغم من تعفّنها، كانت هناك عدة ثقوب في عضلات الجِذع والأطراف أحدثتها آلة قاطعة. تم العثور على ثلاثة وخمسين كَسراً وثقباً في الجمجمة والهيكل العظمي خلف الرأس. كل الرُّضوض التي تسببت بها أداة قاطعة وغير حادة تتوافق مع الضرر الذي لحق بالجثة بعد الوفاة بسبب مسامير ناتئة داخلية في المِقصلة الحديدية.

وضع الملابس والممتلكات الشخصية

تمّ رَمي الملابس. أُعيد إبزيم الحزام للعائلة مع الجثّة.

إجراءات

صور إشعاعية

التُقطت صور إشعاعية للأسنان والعظمة الطويلة في أثناء تشريح الجثة للمساعدة على تحديد الهوية وسبب الوفاة. انظروا تقارير التصوير الإشعاعي وعِلم الأسنان.

www.ibtesama.com

فحص داخلي

ثقوب الجسد

التجويفات مُسالة. لم يتم أخذ أي عيّنات.

فحص الهيكل العظمي

نظرة شاملة

تتكون العظام من هيكل عظمي كامل لشخص بالغ. ولوحظت الكسور والثقوب في ثلاثة وخمسين موقعاً. (انظروا الشكل التوضيحي المُرفَق المتعلق بالهيكل العظمي). أخذت قياسات فخذيّة لتحديد طول القامة. وبعد إلقاء نظرة شاملة على الهيكل العظمي وأخذ بعض القياسات، التُقطت صور إشعاعية للفك الأعلى والفك الأسفل، والجِذع، والعظام الطويلة للأطراف العُلوية والسُّفلية. كانت الرضوض التي تسببت بها أداة قاطعة وغير حادة جليّة في ثلاثة وخمسين موقعاً. لم يلاحَظ أي نَزف في أي موقع تعرّض لرضّة. بعد فحص الصور الإشعاعية من قِبَل طبيب الأشعة وعالِم الأسنان، وُضّبت العظام لنقلها إلى الولايات المتحدة.

خلاصة وشرح

لدى اكتشاف الجثة، كانت هوية المتوفّى مجهولة. كانت الجثة موثَقة وموضوعة داخل كيس سميك.

وفّر المسؤولون في قسم شرطة سان فرانسيسكو معلومات عن شخص مفقود، توماس كريستوفر، شوهِد حيّاً للمرة الأخيرة بتاريخ 20/ 06/ 1998. واضطلع الطبيب داغمار زيبر، برلين، الفاحص الطبي، بالناحية القانونية وأجاز تشريح الجثة. أظهرت معاينة السجّلات الطبية لكريستوفر توماس أنه ذكر أبيض، يبلغ طول قامته 180 سنتمتراً، وكان يبلغ من العمر 45 عاماً عندما اختفى.

أظهر فحص تشريح الجثة بالغاً بشرياً استحال شبه هيكل عظمي مع أعضاء مُسالة ودماغ وجهاز عضليّ متعفّنَين. كانت قياسات العظمة الطويلة متوافقة مع ذكر أبيض يبلغ طول قامته 180 سنتمتراً تقريباً. كانت النتائج متوافقة مع وضع الجثة داخل المِقصلة الحديدية بعد الوفاة.

حدّد تحليل بصمات الأصابع هوية المتوفّى إيجابياً بأنه كريستوفر توماس. انظروا تقرير بصمات الأصابع.

www.ibtesama.com

اقترح تحليل عِلم الحشرات مرور وقت يزيد عن 18 يوماً على الوفاة، وهي فترة زمنية متوافقة مع المرة الأخيرة التي شوهِد فيها كريستوفر توماس حياً بتاريخ 20/ 06/ 1998، ومتوافقة مع تاريخ اكتشاف الجثة في 18/ 07/ 1998. انظروا تقرير عِلم الحشرات.

برأيي، إن سبب الوفاة في هذه القضية "غير محدَّد". ولا يسمح فحص بقايا الهيكل العظمي بتحديد ما إذا حدثت الوفاة بسبب مرض طبيعي كالالتهاب الرئوي أم بسبب عوامل خارجية غير مُحدثة للرضوض كالاختناق.

تستوجب ظروف معالجة الجثة تصنيف سبب الوفاة بأنها "جريمة قتل".

برونو مونتس، القسم الطبي

20 تموز/ يوليو 1998

أشكال توضيحية

1. هيكل عظمي (من الأمام/ من الوراء)

تقارير مُرفَقة

عِلم الحشرات

بصمات الأصابع

عِلم الأسنان

تصوير إشعاعي

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

8

جون لسكروارت

كان الضباب كثيفاً.

أدخل ستان بالارد، محامي الممتلكات البالغ من العمر اثنَين وأربعين عاماً، سيارته إلى موقف مفتوح في أوشيان بيتش على بُعد مئة ياردة تقريباً من المَعلم السياحي الأسطوري في سان فرانسيسكو، كليف هاوس، الذي لم يكن مرئياً عبر السحابة الرمادية التي تغطي النصف الغربي للمدينة.

فبالارد الذي نَعِم بدفء سيارته الليكسوس منذ مدة طويلة، جلس وراء المِقوَد وشغّل المحرك، مراقباً الضباب يستقر على زجاج السيارة الأمامي كما لو أنها تُمطر في الواقع. ولكن، لم يكن هناك أي مطر حقيقي، فقط الضباب المستديم. ولاحظ درجة الحرارة الخارجية على لوحة القيادة - ثلاث وأربعون درجة - وهز رأسه مشمئزّاً.

إنه أول أيام الصيف؛ أمر مثير للسخرية.

كان بالارد يرتدي بذلة رمادية اللون مخطّطة بخطوط كستنائية بالغة الصِّغر اشتراها من برشلينو بقيمة 1900 دولار. كان يضع أيضاً في يده ساعة تاغ هوير، ويرتدي قميص سهرة عاجيّ اللون خِيطَ بناء على توصية الشاري بقيمة 200 دولار وعلى جَيب الصدر الحرفان الأوّلان لاسمه، ويضع ربطة عُنُق جيري غارسيا (لتحقيق التوازن مع بقية لباسه ذي الطابع المحافظ إلى حدٍّ كبير)، وكان ينتعل حذاء بريوني شديد اللمعان. حتى إن جوربه الحريري الذي يصل حتّى ركبتيه باهظ

www.ibtesama.com

الثمن؛ 18 دولاراً للزوج. ولكنه يعلم أنكم إذا أردتم بثّ الثقة في نفوس زبائنكم، فعليكم أن تبدوا ببساطة بأفضل حلّة كما لو أن المال هو كل ما عليك، أو عليهم، القلق في شأنه.

كان بارلارد مثيراً للإعجاب حتى من دون ملابسه الأنيقة، فهو يقوم بتمارين رياضية في طابقه السفلي المحوَّل لمدة ساعة ونصف كل صباح، لذلك، فإن قامته التي يبلغ طولها ستّ أقدام تبدو مماثلة لقامته عندما اختار كال في الثمانينيات. وبدأ عدد قليل من الخطوط يظهر حول عينَيه بندقيّتَي اللون، ولكن شعره البنّي الفاتح كان لا يزال كثّاً، وبشرته متورّدة ملساء، ويعزز أنفه الناتئ مظهره الرجولي.

أخيراً، لم يعد بإمكانه إرجاء المحتوم، فأوقف المحرك عن العمل، وأخذ نفَساً مقاوماً صدمة الحرارة، ثمّ فتح الباب.

هناك على الشاطئ، حيث قالت إنها ستكون موجودة، تمكن بصعوبة من تمييز قوام زوجته المتكوّم بجانب دوائر النار المحاطة بالجلاميد، والتي يستخدمها الهيبيّون و/ أو المتشردون في معظم الليالي. لقد مضى على وجوده مع سارة ثماني سنوات، ولكن بالرغم من مرور بعض الأوقات الصعبة في زواجهما - كان عجزهما عن إنجاب أطفال جرحاً متقيّحاً طوال نصف تلك السنوات التي أمضياها معاً - لم يبدأ بالارد إلا مؤخراً بالتفكير مليّاً في احتمال انتهاء علاقتهما بالطلاق في الواقع، بسبب شعوره باللامبالاة والذّنب.

ولكنهما لم يبلغا تلك المرحلة بعد، كما أمِل.

كان ستان يلعب دور الزوج المطيع، فتوجّه إلى حافة المحيط بِحَثّ من سارة لأنها قالت إنها بحاجة إليه. ولأنها كانت بحاجة إليه، فإن ما يقوم به في ذلك الزمان والمكان لم يبدُ دوراً يلعبه. فهو لا يزال يشعر بشعلة شغَف تحت رماد الجَمر لدى التفكير في إمكانية استمرار وجود مكان هام له في حياتها وفي قلبها. فدفء تلك الشعلة يفاجئه ويُربكه.

www.ibtesama.com

كان الهدير الكئيب للمحيط مع تكسّر المَوج على حاجز الشاطئ يُصدر صوتاً رتيباً تحت ثِقل المساء الباكر، وانخفاض المدّ، وعدم رؤية البحر عبر الضباب.

وقف ستان بجانبها؛ كانت ترتدي سروال جينز، وبلوزة رياضية مأولفة ذات قلُنسوّة تضعها على شعرها المُسدَل حتى كتفَيها وتنتعل حذاءً عالي الساق مخصّصاً للمسافات الطويلة. عندما تنحنح نظرت إليه، وقد منحته كتفاها الراحة.

"هل هناك متّسَع لي إلى جانبك على تلك الصخرة؟".

وفّرت له بضع بوصات بجانبها، وربّتت على المكان حيث كانت تجلس، وأخذ مكانه بجانبها.

قالت: "أنا آسفة لذلك، لا أقصد أن أكون ميلودرامية. كنت أحاول إبقاءك بعيداً عن الأمر، ولكنني على هذا الحال منذ أيام قليلة ولا أجد سبيلاً للخروج منه".

قال ستان: "لا، لا يمكنك ذلك. مِمّ عليك الخروج بالتحديد؟".

شبكت يدَيها أمامها بإحكام، مُلقيةً مِرفقَيها على ركبتَيها قائلةً: "هل تعرف ما هي المناسبة التي يصادف تاريخها في الثالث والعشرين من آب/ أغسطس هذا العام؟".

فكر ستان ملياً للحظات ثمّ سأل: "هل يُفترض بي ذلك؟".

"ربما يُفترض بك ذلك. قد يذكّرك هذا التاريخ بأمر ما إذا فكّرتَ ملياً".

"هذا يعني أنه قد يذكّرني أيضاً بأمر ما لا أفكر فيه مليّاً؟".

أدارت وجهها إليّ؛ فبعينَين زرقاوَين فاتحتَين، وبشرة بيضاء ذات مسامّ دقيقة، وعظمتَي خدَّين واضحتَين تماماً، كانت سارة جذّابة من أي زاوية رأيتها منها، ولكن وجهها قد يكون مُذهلاً بجماله لدى النظر إليه على هذا النحو. قالت: "لا أعرف. بصدق لا أعرف، يا ستان". وبعد

www.ibtesama.com

صمت وجيز أضافت: "إنها الذكرى العاشرة لإعدام روزماري توماس".

لزِم ستان الصمت للحظات، مومئاً برأسه قائلاً: "أعتقد أنك مُحِقة تقريباً".

"صحيح. لقد تأكدتُ من ذلك عبر محرك البحث غوغل، عِلماً أنني لم أشك في التاريخ".

"ما الذي ذكّرك بالأمر؟".

"هذا ما أزعجني جداً. لقد تلقّيت رسالة؛ ليس بريداً إلكترونياً، انتبه، ولكن رسالة حقيقية... من توني أولسن". سكتت ناظرةً أمامها كما لو أنها تستطيع رؤية الموجات المتكسرة ثمّ أضافت: "في الواقع، إنها موجّهة إليك".

"متى حدث ذلك؟".

"لا أعرف. يوم الاثنين كما أظن".

بذل ستان جهداً لعدم إظهار الغضب في صوته عندما سألها: "وقمتِ بفتحها؟".

"كان عليّ القيام بذلك. كنت خائفة من... كنت خائفة".

"ممَّ؟".

"مما يقوم به. من سبب قيامه بتوجيه رسالة إليك بعد كل هذه المدة. مما يريده منك".

"لا علاقة لتوني أولسن بي يا سارة. كان على صلة بروزماري وكريس توماس، على غراري تماماً. هذا كل ما في الأمر".

"أعرف، ولكن شهادتك... أعرف أنه لم يسامحك قطّ عليها، وهو رجل يتمتع بالنفوذ يا ستان". ثمّ نظرت إليه مجدّداً وجهاً لوجه بنظرة ملتمِسة.

"إذاً، ماذا يريد؟".

"أحضرتُ الرسالة معي، إذا كنت تريد قراءتها".

www.ibtesama.com

"ربما بعد قليل، ولكن أوجزيها لي".

"يريد إحياء ذكرى".

أطلق ستان ضحكة غاضبة قائلاً: "لروزماري؟ هذا جنون. لماذا يريد أحد ما القيام بذلك؟ اتفقنا، إحياء ذكرى كريس، ربما، ولكن ليس للمرأة التي قتلته". وتذكّر ستان أن روزماري كانت قد ذكرت حدثاً مماثلاً في وصيّتها، عِلماً أنه لم يتوقع قطّ أن يأخذ أي شخص الأمر بجدّية.

"لكنّ أحداً لم يكن يحب كريس".

"كنت أحبه. كان عليّ تصديق عشيقته... ما كان اسمها؟ هايل. كانت تحبه. وهناك أخريات".

"صديقات، أجل. ولكن، وفقاً لجون، كان الرجل حقيراً بكل معنى الكلمة. صدّقني. لقد كشف في أثناء تحقيقه عن بعض القذارات المجنونة التي قام بها كريستوفر توماس. وهايل؟ كانت متأثرة بماله ونفوذه. بالنسبة إليك، كان الزوجان توماس موكّلَين في بدء مسيرتك المِهَنية ساعداك على تعزيز مهنتك. ولكنّ أحداً لم يكن يعتبر كريستوفر شخصاً لطيفاً. وربما لم تقم روزماري بقتله في الواقع".

"خطأ. إنه حديث زوجك السابق. لا مكان لربما في ذلك الدافع. لقد قتلته بالتأكيد. لم تجد هيئة المحلفين أي شكّ في ذلك. لم يكن هناك أي شك حول ما إذا..."، وسكت فجأةً ملتفتاً إلى زوجته قائلاً: "آه! ولكن الأمر لا يتعلق بأولسن في الواقع، أليس كذلك؟".

أمالت سارة رأسها أكثر فأكثر باتجاه سترته الرياضيّة.

قال ستان: "ربما يتعيّن عليّ إلقاء نظرة على الرسالة".

"حسناً". ومدّت يدها إلى جيبها وأخرجت مغلّفاً وهي تقول: "ولكنك سترى، هو لا يذكر جون أبداً".

"لا. ما كان ليذكره، أليس كذلك؟ ولا سيما في رسالته الموجَّهة

www.ibtesama.com

إلينا. أنت متزوجة بي الآن. تلك القضية هي التي جمعتنا. لا حاجة إلى الدّخول في تفاصيل ما هو جليّ، ولكن جون يظن دائماً أنه أفسد تلك القضية... الجميع يعرفون ذلك، وهذا ما أساء إليه، وبشكل نهائي".

"ليس بشكل نهائي".

"لا؟ بما يكفي ليخسرك".

"أعرف ذلك. أتمنى لو كان هناك أمر آخر ولم أكن معنيّة بذلك".

"هناك أمر آخر، تذكّري. صلته بالحيوانات على الأقل".

ولكن المحاولة الفكاهية الصغيرة لم تُغضبها، فقالت: "أتساءل أحياناً ما إذا كان هناك أمر آخر".

"حسناً، شكراً جزيلاً، الآن بعد كل هذه السنوات".

مدّت يدها ممسكةً بيده وقالت: "لا تغضب يا ستان. لم أكن أعني ذلك. لا أعرف فقط ما إذا كنت سأتخطى يوماً عقدة الذَّنب".

"عقدة الذنب؟ لأي سبب؟ بسبب وقوعك في حب شخص آخر يعشقك في حين أن زوجك وقع في المرحاض ولم يخرج منه قطّ؟ هل تعرفين ما هو المثير للسخرية حقاً؟ كان مُحِقاً منذ البدء. كل هذا القلق والكتابة في شأن كيفية قيامه بإفساد التحقيق. اسمحي لي. روزماري قتلت كريس. لم يكن هناك أي دليل يشير إلى شخص آخر... ليس إليّ، ليس إلى أحد".

نظرت سارة إليه قائلةً: "لماذا كان عليه أن يشير إليك؟".

هز ستان كتفَيه مُعلّقاً: "كان مجرد... مجاز".

"حسناً يا ستان، حسناً. كما تقول، لقد مررنا بذلك عدة مرات". تنهدت بصوت خفيض وأضافت: "ربما يتعيّن عليك إلقاء نظرة على الرسالة".

"ربما يُفترض بي ذلك".

تمعّن ستان بالمغلف - قرطاسية توني أولسن - لا لشيء إلا لمنح

www.ibtesama.com

نفسه بعض الوقت للهدوء. كان العنوان مكتوباً بعناية بخط يد أولسن وبقلم حبر سائل، ويحمل ختم بريدِ حيّ سيكليف ذي المكانة الرفيعة في سان فرانسيسكو، حيث عاش الرأسمالي المغامر ذائع الصيت في السنوات الخمس والعشرين السابقة.

بعد الانتهاء من قراءة الرسالة، وقف ستان وابتعد عن زوجته عدة خطى في اتجاه المحيط. كان خفقان قلبه يُنذر بحجب هدير زَبَد الأمواج المتكسّرة على الشاطئ. وقف ويداه في جَيبَيه، شاعراً بالخدَر لدرجة أن الضباب فشل في التأثير فيه. أخيراً، استدار وعاد إلى حيث تجلس سارة متحكماً بتنفّسه سائلاً إياها: "ما الذي يأمل تحقيقه من هذا الأمر؟ لأي سبب سيذهب المرء؟".

"إذا لم تذهب، فقد يبدو الأمر كما لو أنك لا تُبالي".

لقد حمله ذلك على الابتسام ابتسامة رضى عن الذات وقال: "يا سارة، لقد أصبتِ: لا أُبالي. حدث كل ذلك منذ أكثر من عشر سنوات. لقد أُدين الشخص المُذنِب، وحوكِم، وأُعدِم. والآن يريد أولسن حضور كل من كانوا حاضرين ليلة اختفاء كريس؟ ولكن لأي غرض بالتحديد؟ الحزن على فقدان روزماري؟ لا أظن ذلك".

"هل تعتقد أن الأمر مرتبط حقاً بجون؟".

"هل هناك تفسير آخر؟ لا يزال يجلد نفسه بسبب ظنّه أنه ارتكب خطأ فادحاً. وبالمناسبة، هو أمر لم يقم به".

"لا يقول توني أي شيء عن هذا الأمر".

"لأنه إذا فعل، يصبح دافعه لإحياء هذه الذكرى، أو مهما دعاها، جليّاً حتى بالنسبة إلى الأشخاص الذين دعاهم من دون أن تكون لهم علاقة بجون. على أي حال، لا أعتقد أن هذه الخطوة ستُحدث أي فَرق حقيقي".

"لِمَ لا؟".

www.ibtesama.com

"من سيذهب برأيك؟".

"ماذا تعني؟".

"ما عنيتُه بالتحديد. من سيذهب؟".

"الجميع. سيكون عليكم كلكم القيام بذلك".

"وإلاّ؟".

"وإلاّ ستبدون... لا أعرف، ربما مذنبين؟".

"بماذا؟ لا وجود لجريمة غير محلولة يا عزيزتي. إلا إذا كان توني يريد نقل الأمر برمّته إلى الصحافة...".

"وهو أمر يقوم به من دون تردد".

رفع ستان يده وقال: "ومع ذلك، ما الذي سيحدث؟ أنا رجل كثير الانشغال، ونصف الذين كانوا هناك ليلة وقوع الجريمة هم كذلك أيضاً. لا نستطيع حضور الذكرى. سنرسل أزهاراً. هذا ما نستطيع القيام به. إنها هدر للوقت ولا معنى لها بأي حال".

"إذاً، فأنت لن تذهب؟".

"مُحال".

"وماذا عني؟".

"ماذا عنك؟".

"لقد دفعتُ جون للقيام بهذه الخطوة عندما لم يكن واثقاً من ذلك. إنه... خطأي".

"لا. لقد جعلتك خطوتك هذه زوجة شرطي جيدة، هذا كل ما في الأمر. لا أُضمر شيئاً بقولي هذا".

"ولكنني ما زلت أشعر بالذّنب حيال الأمر". وقفت سارة واضعةً يدَيها على ذراعَي زوجها، ناظرةً مباشرة إلى عينَيه وأضافت: "لقد أعدموها، يا ستان. وقُل ما تشاء عنه، كلانا نعرف أن جون ليس غبياً. لا بد من أنه بات مقتنعاً بعدم ارتكابها الجريمة لسبب ما".

www.ibtesama.com

"حسناً، سأُقرّ بما بات جون مقتنعاً به. ولكن، هذا لا يعني أنه مُحِق. أعتقد أن القانون يرتكز على الدليل ويستبعد الهراء يا سارة. ويلي الهراءَ التعلُّلُ بالآمال والافتراض. تريدين رأيي، أقول لك إن جون يعتمد الأمرَين معاً".

كان بيتر هوسن يُقيم بشكل دائم في قمرةٍ يختٍ فخم يدعى ديزيريه يبلغ طوله اثنَين وسبعين قدَماً. كان يُرسيه قبالة نادي سان فرانسيس يخت كلوب لليخوت. في صباح يوم الخميس، أرسل معاونه، رودجر، في القارب المطاطي الصغير بعد الحادية عشرة بقليل ليُقلّ ستان بالارد. كان الستار الكثيف القاتم لظُلمة حزيران/ يونيو يعانق الرؤوس الداخلة في البحر في منطقة غولدن غايت، ولكن هنا، عند السطح الخلفي لليخت حيث أُعدّت طاولة الغداء، كانت الشمس تسطع من دون عائق في النسيم العليل، وكان الطقس دافئاً بما يكفي بالنسبة إلى بيتر كي لا يرتدي معطفاً، لا بل إن بالارد اقتنع أيضاً بخلع معطف البذلة.

لم يكن الرجلان معاصرَين تماماً ولا صديقَين مقرَّبَين، ولكنّ بينهما ماضياً ماليّاً وشخصيّاً. في أثناء جلوسهما على مقعدَيهما وقيام رودجر بسكب الشراب، جرى بينهما حديث من دون بذل أي جُهد.

عندما توارى المعاون عن الأنظار داخل مخزن اليخت، وضع هوسن كأس الشراب من يده وحدّق في اتجاه الكتان الأبيض، والفضة، والكريستال. "إذاً، في شأن هذه الدعوة. أخشى أنني لا أرى مدى إلحاحيتها يا ستان. فالفكرة برمّتها تصدمني لأنها غريبة يُستخَفّ بها، ولكن طالما كان لتوني هذا الجانب في شخصيته. انظر كيف أصبح حامي نان ومنقذه بشكل أساسي بعد أن وضع هذا الأخير الأُنشوطة حول عُنُق روزماري. هل باستطاعتك القول إنه تضارب في المصالح؟ ولكن ذلك النوع من التناقض لم يزعجه قطّ كما يبدو. كان سعيداً بما يكفي بقيام شخص ما بقتل كريس، أنا واثق من ذلك. كان يكره الرجل

www.ibtesama.com

حقاً. ولكن من جهة أخرى، لم يشأ أن تكون روزماري قاتلة كريس. أم إنه لم يشأ أن تعاقَب لأجل ذلك على أي حال"، هز بيتر كتفَيه وأضاف: "الرجل مُدمنٌ مآسٍ، هذا كل شيء. وربما كانت الأمور مُملّة بالنسبة إليه مؤخراً".

أعاد ستان كرسيّه إلى الوراء بما يكفي لوضع ساق فوق أخرى في وِضعة استرخاء. وحمل كأس الشراب من عنقها النحيلة وأدارها ببطء، آملاً الإيحاء إلى فكرة المصادَفة التي لا يمكن أن تكون إلا في تضارب مع اضطرابه الذهني وقال: "إذاً، أنت لا ترى تورّط نان هنا؟".

لقد فاجأ السؤال هوسن كما يبدو إذ قال: "ليس هناك ما يشير إلى ذلك. ما علاقته بهذا الأمر؟ سيكون في غير محلّه تماماً في هذه الذكرى، ألا تظن ذلك؟ كونه الذي حرص على إدانة روزماري".

ارتشف هوسن قليلاً من الشراب وقال: "أعتقد أنني سأضع رأيك بجون نان في خانة موقفك منه. بالطبع، بالنسبة إليك، كونه متزوّجاً بسارة، قد يكون الأمر أكثر صعوبة بقليل".

فبالرغم من مخاوف ستان، رسم هذا التعليق بسمة صغيرة على شفتيه. قال: "مع عدم التشديد على هذه النقطة... إنها مقتنعة تماماً بأن الأمر مَنوط به للقيام بالأمر على النحو الصحيح هذه المرة".

"لقد قام بالأمر على النحو الصحيح في المرة الأخيرة". هز هوسن رأسه، نافياً.

"هذا ما قلتُه لسارة".

"ولكنها لا تصدّق ذلك؟".

تناول ستان قليلاً من الشراب ثمّ قال: "أتعتقد أنه ما زال هناك بعض التساؤلات؟".

"بعد محاكمة واستئناف و...؟"، ابتلع بيتر الشراب المتبقي في كأسه وسكب لنفسه كأساً أخرى، وقد بدا جبينه متعرقاً.

www.ibtesama.com

"كان الإعدام الأسرع في الولاية طوال أربعين عاماً".

رفع ستان يده، ولوى شفتيه اشمئزازاً قائلاً: "رجاءً، أتذكر ذلك، حسناً. ولكنني أعتقد أنهم حتى لو عمدوا إلى الاستئناف لمدة عشرين سنة أخرى، فستكون النتيجة هي نفسها. أتعرف لماذا؟ لأن شقيقتي العزيزة الراحلة كانت في الواقع قاتلة زوجها... لقد تم إثبات ذلك".

تناول بيتر كأس شراب أخرى ووضع الكأس على الطاولة بقوة.

توقف الحديث عندما ظهر رودجر ثانيةً، وأعاد ملء كأسَيهما، ووضع طبقَين أمامهما: سمك، سلطة ملفوف، جزر صغير. وبعد انتهاء المعاون ودخوله اليخت، سأل ستان: "إذاً، ستكون حاضراً في الذكرى؟".

"حسناً، كانت شقيقتي. لا يمكنني ألا أحضر، أليس كذلك؟".

"لا تشعر بذلك، نظراً إلى استثماراتنا و...؟".

لوّح هوسن معترضاً وقال: "لا أهمية لاستثماراتنا. لا أفهم ما الذي تُلمح إليه. كنتُ منفّذ الوصيّة بالتِّركة. كنتَ مستشاري. كل ما قمنا به هو جني المال. لقد أفاد ذلك الولدين وأفادنا نحن الاثنَين أيضاً. لا يمكن لأحد إيجاد عَيب في ذلك".

"لا". وأخذ بالارد نفَساً عميقاً، وشرع بضرب الأرض بمقدمة حذائه بهدوء، ثمّ ارتشف من الكأس وقال: "ولكننا جنَينا أيضاً أرباحاً كبيرة، أليس كذلك؟ أعني، بعد رحيل كريس وروزماري، كل أموال هوسن عادت...".

"أعرف إلى أين عادت. عادت إليّ يا ستان، مع مبلغ كبير من المال لك كعُمولة. ونتج عن ذلك أيضاً أمر جيد. أرفض الشعور بأي ذَنب حيال ذلك"، رفع بيتر رأسه وأضاف: "ألهذا السبب أردتَ الخروج وتبادل أطراف الحديث اليوم؟".

"أجل. أوافقك الرأي".

www.ibtesama.com

اكفهرّ وجه بيتر وسأل: "أتعتقد أن شخصاً ما، بعد كل هذه السنوات، سيجد دافعاً يديننا بقتل كريس؟".

قال ستان: "إذا كان هناك من يبحث عن دافع، وأعتقد أن جون نان يقوم بذلك...".

"إذاً، دَعه يبحث. لم يجِد أي شيء في السابق عندما كان للأمر أهمية، ولن يجد أي شيء الآن".

"ولكن عندما كان للأمر أهمية في السابق، كانت أموال روزماري وكريس مُحتجَزة في أثناء المحاكمة. لم تنتقل إليك إلا بعد إعدامها يا بيتر. حدث ذلك بعد عامَين من مقتل كريس".

"آه! وفقاً لنظرتك إلى الأمور، تبدو جريمة مثالية قام بها رجل صبور. ولكن، لا يمكنك الظن أن أحداً سيصدّق أنني ساهمتُ في إعدام شقيقتي للتمكن من الحصول على أموالها، أليس كذلك يا ستان؟".

"لا!"، أجاب بسرعة كبيرة ثمّ أسند ظهره مبتسماً ابتسامة باردة، وعاد إلى الموضوع مجدّداً: "لا، بالطبع لا. عِلماً أنه يجب عليك الإقرار بأنك كنت تعاني ضائقة مالية. ما أقوله هو أن جون نان قد...".

صاح هوسن: "جون نان، جون نان، جون نان، الرجل يرثى لحاله ونكِرة. لو لم تكن متزوجاً زوجته السابقة، لما كنتَ تفكر فيه، ولما كان يفكر فيك أيضاً". انحنى بيتر إلى الأمام، وعيناه تلمعان، ثمّ أضاف: "لم نرتكب أي خطأ طوال هذه السنوات يا ستان، لا بل قمنا بقليل من أعمال الخير. كانت روزماري امرأة سهلة الانخداع ثبُت أنها ضحية نقاط ضعفها، وطبيعتها العاطفية، وعجزها عن اتخاذ قرارات صائبة. لم يكن من المُفترض وضع أي جزء من ثروة العائلة في عُهدتها. الآن، أنا لا أقول إنها تستحق الموت، بالطبع، ولكن هناك عدالة من نوع ما كما يبدو لعودة كل الأموال إليّ، وكنا في وضع يخوّلنا الاستفادة منه كلّياً. في الواقع..."، سكت بيتر ثم رفع كأسه بعد أن سرى الخدر في جسده

www.ibtesama.com

وأضاف: "أرغب في اقتراح شرب نَخب تعاوننا ونجاحنا المتواصل".

مع عدم وجود أي خيار آخر أمامه سوى الإذعان، رفع ستان بالارد كأسه ليقرعها بكأس موكّله الأكثر ثراءً.

مدّت جوستين أوليغار، القيّمة في متحف ماكفول أرت ميوزيوم، يدها لتناول المغلّف الذي كانت قد دسّته تحت جانب نشّافة الورق على طاولتها. كان لديها إحساس مُسبَق عندما وصل هذا الشيء المغلّف عبر البريد في ذلك اليوم، وبالرغم من كون توني أولسن مُحسِناً كبيراً ولاعباً أساسياً في تطور المتحف المستمر، فقد أُصيبت بالذُّعر بسبب هذا المغلّف بالذات كما لو أنه نذير شؤم، وأرجأت فتحه.

في وقت الغداء في يوم الخميس ذاك، أقفلت بابها، وفتحت المغلّف بخِنجر نافاجو، وأسندت ظهرها وقرأت الرسالة بسرعة، وبعد ذلك وضعتها أمامها مباشَرةً وقرأتها مرةً ثانيةً.

لم يكن بإمكان هذا النبأ إلا أن يلقى ترحيباً من قِبَلها.

فتوني سيستخدم المتحف لمناسبة من نوع ما إحياءً لذكرى وفاة روزماري توماس... حتى وإن كان إعداماً. إنه صرف للانتباه لم تكن جوستين بحاجة إليه والمتحف على قاب قوسَين من فصل جديد.

في الواقع، لم تكن راغبة قطّ في سماع اسمَي روزماري وكريستوفر توماس.

بالطبع كانت وفاة الزوجَين توماس السبب الرئيس لهيمنتها على المتحف. فقبل عشر سنوات، كانت في بداية الثلاثينيات من عمرها ولا تزال تحب الاعتقاد أنها لا تزال تتمتع برَيعان الشباب، وأن باستطاعتها استمالة رجل ذي شخصية محبَّبة ونفوذ مثل كريس توماس باستخدامها جسدها ووجهها، إضافةً إلى ذكائها، وسِعة اطّلاعها، ومهاراتها التنظيمية.

كانت القيّمة المشاركة التابعة له، وكان متزوجاً... أجل. لم يُخفِ الأمر، ولكنه قال لها إن زواجه بروزماري صُوَريّ، وإنهما يعملان معاً

www.ibtesama.com

لتسوية مسألة زيارته التفقدية للولدَين وبعض التفاصيل المالية قبل المباشرة بطلاقهما، ولكنه كان رُجولياً ومتنفّذاً في تلك الأثناء. ومن ثمّ ظهرت مسألة لوحة سوتين الزائفة التي ساعدت جوستين المتحفَ على اكتسابها. ولكن لو لم يساعدها كريس...

شعرت بالاحمرار المألوف لخدَّيها خجَلاً من ذلك.

هزّت رأسها للتخلص من تلك الذكريات المُحرِجة والمؤلمة، ووجّهت أنظارها مجدداً إلى المغلف. بعد لحظات، التقطت الهاتف، محرّكةً فكّها السفليّ طالبةً الأرقام التي تحفظها عن ظهر قلب، وتركت رسالة على المجيب الآلي الخاص بأولسن: "توني! جوستين تتكلم. أعلم أنه مضى يومان على تلقّيَّ رسالتك حول إحياء ذكرى إعدام روزماري توماس، ولكنني أردتُ إعلامك باعتقادي أنها فكرة رائعة، وسيكون من الرائع إعادة جمع عدد كبير من راعِي المتحف في مكان واحد مرة أخرى، وأنا على ثقة تامة بأن كل تحسيناتنا التي أجريناها على مَرّ السنوات ستترك أثراً إيجابياً في نفوسهم. أنا واثقة من أنه سيكون حدثاً رائعاً".

كانت يدها ترتجف، وأقفلت الخط.

مرّ ستان بالارد عبر غَيضة صغيرة من الأوكالِبتوس، وصعد تلّة عبر غابة من بلاطات الأضرحة باتجاه مدفنٍ رخامي منفرد تحت الأرض، والمحيط الهادئ يومِض أمامه. لقد توجه بسيارته إلى كولما حيث يوجد المدفن من دون التخطيط لذلك، وركن سيارته في بقعة ما من المكان. وبعد أن سار على غير هُدى في بادئ الأمر، استعاد معظم وقائع غدائه مع بيتر هوسن حتى وصل إلى مدفن روزماري حيث كانت جثتها ترقد بجانب جثث والدَيها وأجدادها، وأيضاً جثة زوجها الذي كان يثير اشمئزاز البعض وهلَعهم.

جاثماً على ركبة واحدة، وضع راحة يده على البلاطة الرخامية

www.ibtesama.com

التي وُضعت فوق جثمان روزماري هوست توماس، ونظر إلى المحيط.

مختبئاً بين بلاطات الأضرحة، جثم بجانب مدفن تحت أرضي كان كبيراً بما يكفي لحَجب جسمه، وألقى نظرة من عَلٍّ على الرجل الراكع أمام قبر روزماري توماس.

قال في نفسه: يا لخطوة هذا الرجل الغبية الذي جنى ملايين الدولارات بعد وفاة المرأة.

نظر إلى بذلة الرجل باهظة الثمن وحذائه اللماع باهت اللون قليلاً بسبب تراب المدفن متسائلاً: ماذا يفعل هنا؟

راقب الرجل وهو يمرّر يده على البلاطة الرخامية كما لو أنه يزيل الغبار عنها، قائلاً أمراً ما، عِلماً أن كلماته ضاعت في الهواء.

ما كان ليتفاجأ لو شرع الرجل بنبش القبر، حافراً التراب والعشب والحجارة بحثاً عن حِلية قيّمة - قُرط، عقد - يمكنه سحبها من بين عظام المرأة، شيئاً إضافياً يمكنه أخذه منها.

يا لهؤلاء الطفيليّين.

رغب في التوجه إليه ليسأله قائلاً: أخبرني، لماذا تزور مدفن امرأة سرّبتَ أموالها إلى حسابك الخاص؟

كان راغباً في سماع الجواب لأنه تفاجأ حقاً ويهمّه أن يعرف سبب قيام بعض الأشخاص بالتصرف على هذا النحو العاطفي الجنوني، شاعرين بالذّنب، بعد إساءة التصرف.

وبدأت ركبتاه تؤلمانه. لقد تعِب وكان بحاجة إلى الوقوف أو التمدد، ولكنه لم يجرؤ.

وقف المحامي ونفض الغبار عن بذلته المخطّطة، وملّس شعره، ونظر بجانب القبر كما لو أنه يبحث عن شيء ما، واستدار بعد ذلك وقد بدا الأمر كما لو أنه يحدّق مباشَرةً إلى المكان الذي تتم مراقبته منه.

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

9

تي. جيفرسون باركر

وصلت الرسالة أول يوم من فصل الصيف، وكانت موجَّهة إلى زوجتي من قِبَل البليونير توني أولسن؛ الرجل الذي لم أكن أحبّه. كان المغلف عاجيّ اللون ومربَّع الشكل؛ عبارة عن بلاغ أو ربما دعوة. أخرجتُه من صندوقنا البريدي في شارع لاغونا كانيون رود مع بقية محتويات الصندوق، ودسستُ ملء قبضة يدٍ من الرسائل البريدية داخل كيس صغير، وسلكتُ الشارع شديد الانحدار في طريق العودة إلى منزلنا.

كانت فترة بعد الظهر مُشمسة ودافئة والنّسيم يهب من المحيط في اتجاه كانيون، ولا يزال هناك عدد قليل من الأزهار البرّية بين نبتات القصعين، وظهر صقران يحومان فوقها. تساءلت ما إذا كان سمك الهَلبوت الكبير لا يزال متوافراً في دايفرز كوف، وارتأيتُ القيام بمحاولة جديدة في المساء؛ فطول كل سمكة يبلغ ياردة تقريباً. لقد افتقدتُه في اليوم السابق، عِلماً أنني لا أفتقده في العادة.

في أثناء توجهي إلى منزلنا، مررت بمنازل راكب الأمواج الاحترافي، وأستاذ التاريخ، ومغنّي الروك، والمتخصص في العناية بالأشجار، ومحامي براءات الاختراع. كنا ننعم بجِوار متناغم، والحدائقُ لا عَيب فيها، ونرفع مستوعبات النفايات الفارغة من الشارع على الفَور. كنتُ وبِل العائلة الفقيرة في الحيّ: الفنانة ومالك متجر آلات تصوير وولداهما.

www.ibtesama.com

كانت بِل في الاستوديو الخاص القائم في الطرف الأبعد من عقارنا. وهو عبارة عن مبنى معدني كان ذات مرة متجراً للآلات، فيه كُوّات في السقف ومساحة كبيرة شاغرة. كانت واقفة على منصة خشبية تعمل على لوحة، وكان سروالها القصير وحذاؤها الرياضيّ عالي الساق مغطّيَين بالطلاء، والقميصُ مبقّعاً، وشعرها الأشقر مربوطاً إلى الوراء على شكل ذَيل حصان. كانت تبدو متسخة، ولكنه اتساخ جميل.

قلت: "وصلك بريد".

"هل توجد فيه شيكات مصرفية؟".

"لا، ولا حتّى كاتالوج فكتوريا سيكرت".

"إنه أمر مأساوي".

بحثتُ عن رسالة توني في الكيس ووضعتُها على طاولة العمل المغطاة بأنواع الطلاء، والسوائل المُذيبة، والجِصّ.

قالت بِل: "افتحها".

فتحتها وقلت: "نحن مدعوّان لحضور إحياء ذكرى إعدام روزماري توماس. الذكرى العاشرة".

لم تبدُ بِل متفاجئة، بل واصلت الرسم للحظات إضافية، ومن ثم نظرت إليّ وخفّضت يدها التي تحمل بها فرشاة الرسم وسألتني: "من قال إن الماضي لن يعود ليقضّ مضاجعنا ولا يدَعنا وشأننا أبداً؟".

"يمكننا الاعتذار فحسب".

"كانت امرأة حسنة الخُلق وساعدتني. ما فعلوه بها لا يُغتفَر. تعرف شعوري حيال كل ذلك يا دون".

أجل، أعرف. لقد اكتشفت روزماري توماس لوحات بِل في مهرجان لاغونا للفنون قبل ثلاثة عشر عاماً، ولفتت نظر زوجها القيّم، كريستوفر، على اللوحات. كان يدير آنذاك المعارض في متحف ماكفول أرت ميوزيوم في سان فرانسيسكو. لقد انتقل وروزماري بالطائرة ذات

www.ibtesama.com

صيف إلى حيث نقيم، وأمضت بِل يومَين معهما، مُرِيةً إيّاهما أعمالها الفنية والاستوديو الذي تعمل فيه، وداعيةً إيّاهما لمتابعة وقائع المهرجان ومشاهدة الحدث. كنت هناك أيضاً للمساعدة، وعدنا إلى المنزل بعد الليلة الثانية وتناولنا الشراب. لم تكفّ روزماري عن التحدث بإعجاب عن أعمال بِل الفنية، ولا سيما وايفز 27، وهي لوحة زيتية صغيرة مرسومة على قماش تُظهر سفينة في البحر وسط موجات هائلةٍ قاتمة، جميلة ومروِّعة في آنٍ واحد. إنها نسخة مطوَّرة للوحة رايدر؛ أفضل ما رسمه. لقد علّقناها في غرفة طعامنا حتى ما بعد إعدام روزماري بفترة قصيرة عندما علِمنا بالتدابير التي كانت قد اتخذتها مع أولسن لعرض اللوحة في ماكفول لتكون جزءاً من المجموعة الدائمة.

عندما كانت روزماري تتكلم بحماسة في ذلك المساء عن الفن، ولا سيما عن أعمال بِل الفنية، كان كريس جالساً هناك ينظر إليها مبتسماً ابتسامة ساخرة. وفي وقت لاحق، وبعدما أصبح ثملاً، اعترف كريس بكرهه لمعظم فناني لاغونا. لقد قال إنهم أسوأ مما خشي أن يكونوا عليه من السوء، وإن باستطاعتهم تعلّم الكثير من بِل ومن أرت 101، وإنه سيفكر ملياً في ضمّها إلى معرض جماعي. يمكنكم أن تتصوّروا ما عناه ذلك لها: ستكون قفزة كبيرة في مهنتها.

مذاك الحين، شرع كريستوفر بمغازلة بِل علانية كما لو أنه يشتري اهتمامها. واستمر بمعاملة روزماري كما لو أنها شيء عالق بحذائه. لقد راقبتُ ذلك واحتملتُه، ولكن لمدة قصيرة من الزمن.

بعد شهر، قدِم كريس من دون روزماري وعرض اصطحاب بِل إلى العشاء في مطعم جديد رائج في نيوبورت بيتش. وبعد مناقشة الدّعوة، قررتُ وبِل أنه يُفترض بها الذهاب على أي حال، وفعلتْ، وكان العشاء جيداً. بعد ذلك، قال إنه يُفترَض بهما تناول الشراب الفاخر في فندق الفور سيزنس لأنه يملك لائحة طعام جيدة، فتبعته في أرجاء المدينة

www.ibtesama.com

بسيارتها. بالطبع، لقد دعاها بعد تناول الشراب إلى جناحه. وأبلغتني بل أنها عبّرت عن رأيها، قائلةً إنني لست شخصاً سيّئاً، وكان في الحقيقة رأياً لا أستحقه. احمرّ وجه كريس وابتسم، وبعد التحلية، اصطحبها عبر تلك الرَّدهة الجميلة في اتجاه خادم الفندق، محيطاً خصرها بذراعه هامساً في أُذُنها قائلاً إن موهبتها لا تقارَن بجمال جسدها، وإنه يُستحسَن بها بيع لوحات تافهة للسياح في لاغونا بدلاً من تعليق لوحاتها على جدران ماكفول إلى جانب لوحات رسامين أفضل منها بألف مرة، وعصر عَقِبها وتركها عند منصة خادم الفندق.

أخبرتني بكل ذلك عندما عادت إلى المنزل تلك الليلة مذلولة وغاضبة.

توجهت بالسيارة إلى فندق الفور سيزنس، واتصلتُ بكريس من الفندق، وقلتُ إنني رودي خادم الفندق، ويبدو أن شخصاً ما صدم سيارته. قال كريس: "ماذا في ذلك؟ ليست سوى سيارة مستأجَرة لعينة"، فقلت: "افعل ما يحلو لك يا سيدي، ولكن يتعيّن علينا إما التقدم بإفادة في مركز شرطة نيوبورت بيتش وإما الحصول على توقيع منك كي لا تحمّلك وكالة تأجير السيارات المسؤولية...".

وضع كريستوفر توماس سماعة الهاتف بقوة، كان شخصاً يتحمل المسؤولية.

راهنتُ أنه سيصل إلى مكتب البواب في أقل من دقيقتَين. لقد تطلّبه الأمر دقيقة ونصف. وعندما رآني، كان قد بات من المستحيل عليه تجنّب الوضع... شددتُه بأُذُنه كطفل في الخامسة من عمره وجررته إلى الخارج. لا بد من أنه بدا مُضحكاً: رجل يرتدي بذلة حريرية عاجية اللون بقيمة 2000 دولار يُقاد بأُذُنه عبر رَدهة الفور سيزنس، منحنياً، يداه تلوّحان، ويصيح مهدداً بالمحامين وبالأضرار اللاحقة به وبأنه سيسجنني طوال حياتي.

www.ibtesama.com

في الخارج، طرحتُه على ظهره بجانب منصة خادم الفندق، وأبقيتُه على هذا الحال واضعاً قدمي عليه، واتصلتُ ببِل عبر الهاتف المحمول. كان باستطاعتي الشعور بقلبه يخفق بقوة عبر حذائي عالي الساق. وسلّمتُ الهاتف إلى كريس وقلتُ له إنه قد يكون راغباً في الاعتذار من زوجتي. أمسكته بإحدى ساقيه وجررته إلى مشتل الزهور القائم على امتداد مدخل الفور سيزنس عبر نبتات الفاوانيا والخشخاش الإيسلندي والحَوذان، ونبتات أخرى يعلم الله وحده ما الذي كان مزروعاً هناك في ذلك الأسبوع، وذلك في أثناء تخبّط كريس وتمتمته لبِل. كان باستطاعتي سماعها تتوسّلني الكفّ عن ذلك، ولكنني لم أمتثل. لقد قدّم اعتذاراً مُقنِعاً نوعاً ما. وبعد وصول عناصر الأمن، أفلتُّ ساقه، والتقطتُ هاتفي، وعدتُ إلى سيارتي في أثناء قيام ذلك المشاغب بالثرثرة عبر جهاز اللاسلكي بصوت مرتفع وعينَين محملقتَين، وبعد نصف ساعة كنت في المنزل مع بِل.

كان يُفترض بي الشعور بالهدوء بعد ذلك، ولكنني لم أُفلح.

لذلك، يمكنكم أن تتخيّلوا سبب قيام رجال الشرطة بطرح بعض الأسئلة عليّ بعد عام عندما ظهرت جثة كريس في مِقصلة حديدية للتعذيب أُرسلت إلى متحف في برلين.

من هذه الأسئلة مثلاً: أين كنت ليلة اختفائه؟ على بُعد عشرين ميلاً من شاطئ سان فرانسيسكو، بالصُّدفة، أتسكع مع أحد الأصدقاء.

لماذا هاجمت كريس في الفور سيزنس؟ بدا لي كما لو أنه الأمر الصائب الذي يتعيّن عليّ القيام به.

أخبرنا عن المدة التي أمضيتَها في سجن كوركوران ستايت بريزون (مزوِّر ومقاوِم للاعتقال).

من أصدقاؤك؟ وماذا عن العمل كطارد للمشاغبين في ملهى لاغونا الليلي؟ وعلاقتك ببِل. لقد كان ذلك الأمر الأكثر صعوبة للفهم بالنسبة

www.ibtesama.com

إليهم. كيف يمكن لمخادع مثلي الفوز بقلب امرأة كبِل؛ جميلة، لطيفة، موهوبة، ويسعى إليها المرء بتشوّق. فقلت لهم الحقيقة: لا فكرة لديّ. كان الأمر صحيحاً آنذاك. ولا يزال.

ولكنّ لبِل سرّاً: التزاماً تعهّدت لروزماري بالإيفاء به. كنت على عِلم بذلك. قالت لي إنه من الأفضل لي ألا أعرف ما هو، فلم أُصرّ. لقد احترمتُ رغباتها.

قلت: "الأمر عائد إليك، يا بِل، تريدين حضور الذكرى، هذا جيد. العَيب الوحيد هو وجود دجّالين في عالم الفن. سأرافقك. سأكون رجلك. سأنتبه إلى تصرّفاتي وأرتدي ملابس أنيقة. سأرمي معطفي فوق حُفَر الطين في سان فرانسيسكو لأجلك، وأصطحبك إلى مطاعم فاخرة وأعاشرك كلما سنحت لي الفرصة".

قالت: "عمَل كالعادة"، وحاولتِ الابتسام ولكن كان باستطاعتي رؤية القلق في عينَيها.

"أفضّل البقاء وصَيد السمك بالحربة. لقد أخطأتُ سمكة هَلبوت أمس بطول ست وثلاثين بوصة، ولكنني سأرافقك".

"كنتَ تفكر في تلك السمكة طوال أربع وعشرين ساعة يا دون"، ابتسمت وهزت رأسها. إذا بحثتم عن عبارة ابتسامة جميلة في القاموس لوجدتُم صورة لابتسامة بِل مرادِفاً لها. قالت: "عليّ الذهاب، لقد قطعتُ وعداً. ولا مشكلة لديّ البتة مع توني أولسن".

لم أقل شيئاً، كابتاً حسدي لبليونير وسيم لا تجد زوجتي أي مشكلة البتة معه. أنا زوج غيور وأُقرّ بذلك. ولم يكن هناك سبب حقيقي لأقوم بإذلال كريس توماس طوال تلك السنوات الماضية سوى الأنا التي كنت قد صقلتها لمساعدة بِل على القيام بالأمور التي تعتبرها صائبة، وعرض لوحاتها الفنية، وتحقيق ماكفول أمنيتَها. وعندما رفضها كريس، أصبح عدوّي، ولذلك تفاقم الوضع. إنه أمر يؤدي إلى السجن. تصعِّدون

www.ibtesama.com

الوضـع قبـل أن تصبحـوا عاجزين عن مواجهة تفاقمه في السـجن. كان أسفي الوحيد عندما عدتُ إلى المنزل في تلك الليلة من الفور سيزنس أنني لم أُصعّد الوضع بما يكفي.

قلت: "سنستقلّ الشاحنة".

"كي تتمكن من الغَوص في مورو باي وبوينت أرينا".

"لقد فكرتُ في ذلك".

"وماذا عن جُزُر فارالون؟".

"قصدتُها إكراماً لراستي".

تقـع جُـزُر فارالون قُبالة شـواطئ سـان فرانسيسـكو، وهـي المكان الأكثـر خطـورة للغَـوص علـى وجه الأرض. فهي تعجّ بأسـماك القرش الأبيـض، والميـاه بـاردة، والرؤية غير واضحة. قـد يُطبِق الموت عليكم بأسنانه حتى قبل أن تدركوا ما الذي يحدث. وإذا لم تنَل منكم أسماك القرش، فإن التيارات تتكفّل بذلك. والصخور حادة الأطراف كموسـى الحلاقة، وليس هناك مكان لرسوّ قارب. لقد ذكّرني الأمر بما كنت قد رأيته في عالم الفن اللعين؛ أسماك قرش وأنياب.

كان راسـتي صديقاً قديماً، جريئاً ومجنوناً أحياناً، يسـتمر بكسـب العَيش اليسـير من الغطس بحثاً عن قنافذ البحر في تلك المياه القاتلة. وصداقتنا قائمة مدى الحياة.

لقد ذهبت وراستي إلى جُزُر فارالون الجنوبية يوم اختفاء كريستوفر توماس، وقمنا بالرحلة البحرية الوَعِرة في تلك الليلة، وغطسنا بحثاً عن قنافذ البحر في الصباح. كنت تحت الماء على عمق أربعين قدَماً عندما ظهر قرش من الظلمة العميقة وتوجّه نحوي، ثمّ عاد أدراجه إلى الظلمة. أتذكّر أسـنانه وعيّنات الجانب السـفلي الأبيض. لقد أدركت مرة أخرى أن المعجـزات تحـدث يوميـاً. لقد اصطدنا في ذلك اليوم سـتمئة رطل، وهـي كميـة لا بـأس بهـا، ونوعيّتهـا أفضل مما يصطـاده اليابانيون، وقد

www.ibtesama.com

باعها راستي بثمن باهظ.

وجد رجال الشرطة هذه القصة صعبة التصديق. فنادراً ما يُعتبر إثبات غياب شخص مُدان خالياً من نقاط ضعف، ولا سيما إذا أيّده مُدان آخر.

قلت: "إذا كان باستطاعتكِ النجاة من متعجرفي الفن، أستطيع النجاة في جزر فارالون".

نظرت إليّ، وعادت للعمل على اللوحة، وعلى وجهها الجميل نظرة مضطربة.

تناولنا العشاء تلك الليلة في الخارج احتفاءً بحلول فصل الصيف بالرغم من تلبّد السماء بالغيوم التي حملت معها بَرداً قارساً في الليل. لقد أحيينا حفلة قديمة في الباحة الخلفية، ووضعنا الطاولة تحت شجرة مرجانية اللون. كانت هناك مشواة وأرجوحة شبكية، وابننا جيمي وابنتنا إلسا في الداخل وقد أوكل إليهما مهمة إعداد الأطباق ورَمي الفضلات للكلاب. لم يعرفا بأمري بعد؛ سيمرّ وقت قبل إخبارهما. كان باستطاعتي رؤيتهما عبر النوافذ واقفَين أمام حوض الغسيل في المطبخ تحت الضوء الأصفر، البريء، المليء بالحياة والوعود.

قالت بِل: "لستَ مضطراً إلى الذهاب إلى سان فرانسيسكو، كما تعلم، أنت لا تنسجم مع أولئك الأشخاص هناك".

"وأنتِ لا تنسجمين معهم أيضاً".

"لأجل روزي فقط. أعِدك".

"إذا ذهبتِ فسأذهب. ربما تمكنتُ من لَكم أحدهم في الخارج، وإثارة فضيحة، ورميي في السجن".

ابتسمت بِل وهزت رأسها قائلةً: "أعرض عليك مَخرجاً".

"لا أريد مَخرجاً".

"لا مانع لديّ إذا رافقتَ راستي. أفهم ذلك. ولكن جزر فارالون

www.ibtesama.com

تُخيفني".

"هي تُخيف الجميع، حتى راستي".

"ولكنه يغطس هناك على أي حال".

"أجل".

"وأنتَ أيضاً، وهذا ما يُخيفني أكثر فأكثر".

نظرتُ إلى زوجني ومن ثم نظرت باتجاه لاغونا. كانت المدينة مخبأة وراء التلال، ولكن باستطاعتي رؤية توهّج أضوائها على وشاح شاحب من السُّحب. وتحتنا، تسلك السيارات طريق لاغونا كانيون رود، مرسلةً هسيساً من البعيد.

دخلت بِل إلى المنزل، وعادت مع كأسَي شراب.

سرنا على الطريق حتى وصلنا إلى مكان مسطّح في التلال وألقينا نظرة على المدينة تحتنا.

قالت بِل: "ليت الأمر لم يحدث أبداً. ليته انتهى. ولكنه لم ينتهِ، ولن ينتهي أبداً".

"إذاً، سنبقى بمنأى عنه".

"لا نستطيع. إنه جُبن. وعليّ أن أكون هناك".

كان الطريق طويلاً بالسيارة ولكنه عثر على طريق لاغونا كانيون رود.

تبع الثنائي من مسافة آمنة، وراقبهما يعبران صفاً عريضاً من الأزهار البرّية والقصعين.

وعندما وقفا أمام منزل خارجي صغير، انتظر وراء شجرة، ورفع المنظار الثنائي إلى عينَيه، وضبط العدستَين حتى بات يرى كل شيء بوضوح: صورة مكبّرة لوجه المرأة، شعراً أشقر، عينين زرقاوين.

حوّل انتباهه إلى الرجل، وركز على ذراعَيه مفتولتَي العضلات، وعلى وشم من النوع الذي يُوشَم في السجون، وهو عبارة عن ثعبان

www.ibtesama.com

غير واضح المعالم على عضلة ذراعه العليا، وتساءل عن تاريخ خروجه من هناك.

رُكّز المنظار الثنائي على المرأة مجدّداً، وهي التي تثير اهتمامه. فهذه المرأة الجميلة ذات الوجه البريء والقلِق تعرف شيئاً ما.

www.ibtesama.com

10

لوري أرمسترونغ

لـم أكـن قـطّ عكِرة المزاج فـي الصبـاح، ولكن هـذا الصباح، لم أستطع الكـفّ عـن التفكيـر في جرّ متبطّلي الشـخص الذي يرثى لحاله الكسول لنثر غبار إلهامه عليّ. فمن المتوقع حضور اللجنة في الأسبوع القادم، وقد ساءني ذلك، ولكن لم يكن بإمكاني تفويت الموعد المحدَّد. وبالرغـم مـن الافتراضـات المرتبطة بمهنتي المختارة كفنانة، فأنا لسـت امرأة مستسلمة. أنا أخطط؛ أنا أغضب. وبالرغم من الفواتير التي يتعيّن عليّ تسديدها، أحافظ على جدول عملي. فالإلهام من الكماليات التي لا يمكنني تحمّل تكلفتها.

عندما كنت في سنّ أصغر، كنت قد افترضت أن الإبداع لا يقتصر علـى سـاعات العمـل العاديـة فـي المكتـب، ولا يدين بالولاء لمسـاحة محدَّدة. لقد رسمتُ بعض أفضل لوحاتي في الليل، في شقة رديئة، من دون أن أنظر إلى الساعة. فقط أنا والطلاء واللوحة في كفاح، وموضوع اللوحة في مخيّلتي يصارع الواقع - أشكال تفتقر إلى المعنى، ألوان غير متناسقة، خطوط غير متحاذية - فيزداد شعوري بالإحباط ولكنّ إبداعي يتّقد للخروج بشيء ملموس في نهاية المعركة.

لقد تقلّصت مثاليتي التي كنت متمسكة بها في سن الشباب بسبب سـنوات مـن المـآدب والجـوع فـي عالم الفـن. وبوجـود صغيرين الآن يتعيّن إيقاظهما وتدليلهما وإرسـالهما إلى المدرسـة، وكلبَين لمداعبتهما وإطعامهمـا والقيـام بنزهـات لهمـا، إضافةً إلى زوج يميـل إلى أن يلقى

www.ibtesama.com

معاملـة مماثلـة كمعاملـة الكلبَيـن والطفلَين، أصبحت جلسـات الرسـم فـي منتصـف الليل ذكرى على غرار الشـقة الضيّقـة، والأصوات الحادة للحيتـان الزاعقـة خارج نافذتي، والإضاءة الفلورية الخضراء المائلة إلى الزُّرقة التي تتوهج فوق الاستوديو. وولّت أيضاً الأيام التي كنت أُضطر فيها إلى رهن أغراض بهدف شراء أنبوب طلاء آخر.

فـي هـذه الأيـام، أحظـى بالنور الطبيعـي الصادر عـن المناور فوق الاسـتوديو. وفي هذا المكان الإبداعي المخلص الذي سـخرتُ منه في شـبابي، أتمتع بهبات هواء المحيط الخفيف والرطب والمحمّل بالملح من نوافذي، وبلوحات مؤطّرة مكدَّسـة على الجدار، مغطِّيةً كل سـطح أُفقي، وبعشرات أنابيب الطلاء من مختلف الألوان التي يمكن تخيُّلها. ومع ذلك، وانسجاماً مع وَعيي البيئي - وهو الاقتناع الوحيد المتبقي من شبابي - فهي أنواع طلاء صديقة للبيئة. لديّ المكان والضوء والوقت؛ الوقت على الأقل حتى توقُّف حافلة المدرسة.

ولكنني لا أحظى بالتناغم.

تفكرين كثيراً يا بِل.

فسماع صوت دون يتردد داخل رأسي يحملني على الابتسام، فهو يفهم اضطراباتي العصبية أكثر من أي شخص آخر، ولكنه نادراً ما يسمح لي بالاستسلام لهذه الاضطرابات.

وحتـى بعـد اتخـاذي قـراراً بكسـب رِزقـي مـن الفن في السـنوات الخمـس عشـرة السـابقة، مـا زلـت أعاني من أيـام أفتقر فيهـا إلى الثقة عندما أتذكّر كلمات قاسـية سـمعتُها قبل عقد من الزمن، كلمات تُحوّل شريط ثقتي إلى خَيط بالٍ. وبدا اعتزالي في تلك الأيام السيئة كي أُثبت أنّ منتقدِيّ على خطأ اختباءً أكثر منه عملاً.

ولـدى النظـر شـزَراً إلى بُقَع الطلاء على اللوحـة، أعود بالذاكرة إلى كدّي القلِق في العمل، آملةً إنجاز تحفة فنية تضعني على الخارطة؛ أو على

www.ibtesama.com

الأقـل علـى جـدار معرض فنّي ناجح. لقد حاولـت روزماري منحي تلك الفرصة بعدة وسائل بالرغم من سَعي زوجها لوضع العصيّ في الدواليب.

ومحاولتـي رسـم نسـخة لوايفـز 27 لأجل هذه اللجنـة الجديدة لا تخلـو مـن السـخرية لأنهـا لوحة كئيبة ملائمة تماماً للمأسـاة والأسـرار والأكاذيـب المحيطـة بالزوجَيـن تومـاس. لقد أحيا عملـي على اللوحة مجموعـة متآلفـة مـن الذكريات المؤلمة في معظمها، ولا سـيما زيارتي الأخيـرة لروزمـاري في السـجن عندما تحدّثنا للمـرة الأخيرة عن وايفز 27. وبوجـود اللوحـة المليئـة بالظـلال، والتـي هي قَيد الإعـداد أمامي، وباندفاع المعاني الضمنية لدعوة توني أولسـن في رأسـي - مدركةً أن الوقت قد حان أخيراً، وأنني مضطرة إلى تلبية الدعوة - ملأني شـعور غريب بوجود نذير شؤم.

تردد الصدى بانغ - بانغ - بانغ - بانغ على المبنى المعدني بقوة طلقات نارية، فقفزتُ ودرتُ حول نفسـي مذعورةً من رؤية شـيء آخر أكثـر تهديـداً مـن صفائح رذاذ الطلاء التـي تدحرجت على الأرض بعد سقوطها عن حافة النافذة التي تركتها مفتوحة.

يا الله. أتخافين كثيراً يا بِل؟

وبعد أن هدأ رَوعي، شـعرتُ بقليل من الاسـتياء. فإذا استسـلمتُ للخوف فلن أتمكن من إتمام أي شيء؛ ليس ما وعدتُ روزماري، ولا حتى اللجنة، بإتمامه. لذلك، فتحت الباب الجانبي للاستفادة من دخول الهواء الخفيف من الباب والنافذة، وأخذتُ نفَساً عميقاً.

ها! أرأيت؟ لستُ خائفة.

تاركـةً الصفائـح حيـث وقعـت، قمت بجمع أقمشـة التنظيف المتقعة بزيت بزر الكتان، والفُوَط الورقية المبطّنة الممرَّغة بالطلاء، وأنابيب المَنغَنيز الأزرق والزِّنجَفَر الأخضر الفارغة في أثناء توجّهي إلى سلة المُهمَلات.

تمهّلتُ أمام اللوحة غير سعيدة بالصور، وغير سعيدة أيضاً بنفسي.

www.ibtesama.com

كنت تائهة في التأنيب الذاتي لدرجة أنني لم أشعر بالدخيل حتى اندفع الهـواء بجانـب خـدّي، وتلـى ذلك بعد جـزء من الثانيـة وميض معدني أمـام وجهـي. فعرفـتُ سـكين لوحة الألوان - حـادّة بطريقة غير معتادة بفضل مهارات مِشـحاذ دون - قبل لحظة من ضغط حدّ السـكين على عُنُقي. بعد ذلك، وُضعت ذراعي اليسرى وراء ظهري كما يوضَع جناح الفرّوج، وأُطلقت سهام من الألم المبرِّح من مِعصمي امتداداً إلى كتفَيّ مما جعلني أصرخ.

قال: "لا تُصدري أي صوت آخر".

كان صوت الرجل مصحوباً ببُحّة خشنة عميقة، وخفيضاً كالهَمس، ولكنه خطير على غرار الفولاذ الموضوع على عنقي.

"ضَعي يدك اليمنى ببطء في الجَيب الأمامي لسروال الجينز".

فأذعنتُ. ربما نشـأتُ في مزرعة للماشـية ولكنني لسـت فتاة قوية بالتحديـد. لقـد جفّ حلقي تمامـاً، وكان قلبي يخفق كآلة تعمل بالهواء المضغـوط، ودمعت عينايَ، ولـم أسـتطع سـحب كميـة كافية من الهواء إلى رئتَيّ.

همس بصوت أجشّ قائلاً: "فتاة صالحة يا بِل".

هو يعرف اسمي.

آه، يا الله! هو يعرف اسمي.

فتسـاءلتُ عمـا إذا كان أحـد شـركاء دون السـابقين، إذ إننـي كنت أعرف أن دون مخادع سـابق عندما تزوّجت به. ومهما كان دون يدّعي سـلوك الطريق القويم، فقد اشـتبهتُ في خروجه عنه عدة مرات. وعلى غرار أي امرأة مغرَمة، تغاضيت عن زلاته.

لقـد حملتنـي فكـرة إمكانيـة بحثـه عـن دون على التكلّـم من دون تفكيـر، فقلـت: "دون ليـس هنـا". بعـد ذلـك، اتّضح لي مـدى غباوة ما قمت به، مسلّمةً بأنني بمفردي. بعد ذلك سألته: "ماذا تريد؟".

www.ibtesama.com

"إجابات". كان يقف ورائي كي لا تتسنّى لي فرصة رؤية وجهه، وجسده يمسّ جسدي بطريقة جعلت القشعريرة تسري في بدني.

"أعرف أنك ذهبتِ لرؤيتها".

في بادئ الأمر لم أفهم من كان يعني بكلامه.

"روزماري توماس... لقد زرتِها في الليلة السابقة لإعدامها".

عندها، حاول عقلي المضطرب فهم ما يقوله.

همس قائلاً: "أنتِ لا تنكرين ذلك".

وعندما ازدردتُ، بدا كما لو أن معدن النّصل يقترب من بلعومي، فقلتُ بصوت أجشّ: "أجل، لقد قابلتُها".

هزّ نفَسُهُ شعري ومسّ أنفه الناحية العُلوية لأُذُني عندما سألني: "عمّ تحدثتما؟".

"لا شيء هام".

صرخ: "كاذبة"، ثمّ دفع بذراعي إلى أعلى ظهري، فصرختُ ألَماً بعد ذلك أضاف: "حاولي مجدداً".

"لقد... آه!... تحدثنا عن الصغيرين".

"لا أصدّقك. قولي لي الحقيقة".

"أنا أقول... أقول لك الحقيقة".

"هل أنت واثقة؟ إذاً، لقد تحدثت إلى روزماري... فحسب".

وخرجت كلمة "نعم" هسيساً محبَطاً مماثلاً لهمسه.

"أنت واثقة من أنها لم تُعطك شيئاً تلك الليلة؟".

يا الله! أنّى له أن يعرف؟ أجبته: "نصيحة فقط".

من الواضح أنه لم يكن مكتفياً بإجابتي. فأفلتَ ذراعي بشكل مفاجئ وشدّني من شعري ثمّ أمال رأسي جانباً، ملوِّحاً بالسكين أمام عينَيّ وهو يصيح قائلاً: "أنت تكذبين".

"لا. رجاءً...".

www.ibtesama.com

ضغط بالنَّصل ضغطةً جارحةً فشهقتُ بسبب اللسعة الحادة.

"أخبريني بكل شيء وإلا آلمتك الطعنة الثانية".

ماذا لو أخبرتُه بما أعطتني إياه روزماري؟ هل سيدَعني أعيش؟ سيقتلني بالتأكيد، وربما بوحشية. التمعت الصورة أمامي، وخرّ جسدي على الأرض وعيناي تحدّقان بشكل مُبهَم إلى المناور، وعُنُقي مجروح. سيعثر دون أو ولداي على جثتي؛ أو الكلبان. وفي مخيّلتي، كان باستطاعتي سماعهما ينبحان في أثناء محاولتهما إيقاظي.

ولكن النباح الذي سمعتُه لم يكن في مخيّلتي فقط بل كان يعلو شيئاً فشيئاً، مما يعني أن شخصاً ما أطلق الكلبَين خارج المنزل.

وبالرغم من الخوف الذي أفقدني القدرة على الكلام، تمكنت من إطلاق صرخة، صرخة مرتفعة جداً وطويلة لدرجة أنها آلمت أُذُنَيّ وبحّت صوتي.

أُجفل مُهاجمي، وسقط السكين على الأرض، وخبا صوت وقع خطاه شيئاً فشيئاً في أثناء الاستناد إلى ركبتَيّ، شاعرةً بالغثيان. لم أسمع شيئاً إلا صوت الدّم الهادر في أُذُنَيّ والخفقان الشديد لقلبي. تكوّمتُ على الأرض والتقطتُ السكين بيدي تحسّباً.

لكن لم يكن قلبي هو الذي يخفق فقط؛ كان هناك شخص يدنو مني وتوقّف بجانب رأسي، واضعاً يده على ظهري ما جعلني أزعق.

"بِل؟".

رفعتُ رأسي مذعورةً متوقعةً رؤيته ثانيةً، لكن... قلت: "دون، أشكر الله لأنك...".

سألها: "ماذا حدث؟ من فعل بك ذلك؟".

"لا أعرف. لقد فرّ من الباب. ولكن، رجاءً لا...".

انصرف دون بعد ذلك، مصفِّراً للكلبَين.

لم يكن يُفترض بي التلميح إلى الأمر. فدون ليس من النوع الذي

www.ibtesama.com

يعتني بي عندما تتسنى له فرصة إلحاق الضرر بشخص ما تجرأ على مهاجمتي. لقد خشي جزء مني مما قد يفعله دون بالرجل؛ وتمنى جزء مني لو كان باستطاعتي مشاهدته يقوم بذلك.

بقيت جاثمة على الأرض، مُحكِمةً الإمساك بالسكين بيدي. كنت مصعوقة جداً لدرجة أنني لم أبكِ، وخائفة جداً حيث إنني لم أتمكن من التحرك.

عندما عاد دون نافخاً ولاهثاً، والغضب بادٍ على وجهه، مغلقاً الباب بقوة، علمتُ أنه لم يُمسك بالرجل.

قذفتُ بنفسي اتجاهه، وأحاطني بذراعيه القويّتَين مُمسكاً بي بإحكام، فقلت: "آه! يا الله! دون، لو لم...".

"صه، أنا أُمسك بك يا عزيزتي. طالما قمتُ بذلك".

فبعد سنوات أمضيناها معاً وعدد لا يُحصى ولا يُعَدّ من الأسئلة التي طرحها الناس حول كيفية انتهاء الأمر بنا متزوّجَين، لم أتمكن من شرح الأمر. فأحد لم يعتنِ بي قطّ كما فعل دون. وأحد لم يحبّني قطّ كما أحبّني دون. فهو يسعى لإسعادي مهما اقتضى الأمر، وعرفتُ من خلاله المعنى الضمني والواسع والعميق لعبارة "مهما اقتضى الأمر".

عندما كففتُ عن الارتجاف، أعاد رأسه إلى الوراء ليلقي عليّ نظرةً متفحّصةً وتركزت نظرته المحدّقة على الجرح في عُنُقي، ثمّ قال: "أنت تنزفين".

"إنه مجرد خدش".

تصلّب فكّه السفلي وسألني: "هل هدأتِ بما يكفي للاتصال بالشرطة؟".

كان دون يكره رجال الشرطة كثيراً. وأن يكون قد خطط لطلب الرقم 911، فهذا يعني أنه قلِق. فرفعتُ يدي لملامسته وتهدئة رَوعه، ونسيتُ أنني ما زلتُ أُمسك بالسكين. حتى إنه لم يجفل مع وجود

www.ibtesama.com

النَّصل على مسافة قريبة جداً من وجهه، بل أبقى نظره مركّزاً عليّ، وأرخى أصابعي عن المِقبض، ورمى السكين على الأرض قائلاً: "لا بأس، سنقبض على الرجل الذي تسبب لك بذلك".

"لا رجال شرطة".

"بِل! أنت لا تفكرين بالطريقة الصحيحة. علينا إبلاغ الشرطة بما حدث".

"لا، ليس علينا القيام بذلك".

"يا الله! لقد جرحك اللعين! كان باستطاعته قتلك. لا أصدّق أنك تَدعينه حرّاً طليقاً. ماذا لو كان الصغيران في المنزل؟ هل ستكونين لامبالية بسلامتهما كعدم مبالاتك بسلامتك؟".

هززته أملاً في إعادة الصفاء إلى ذهنه وأنا أقول: "دون، اصغِ إليّ. لم يكن هجوماً عشوائياً".

فتسمّر في مكانه وسأل: "ماذا؟".

"الرجل... يعرفني. هو يعرف اسمي، ويعرف عن زيارتي لروزماري في الليلة السابقة لإعدامها، ويشتبه بطريقة ما في أنها أعطتني...".

صاح دون: "حباً بالله، يا بِل، إنه أسوأ بكثير. إذا كان الرجل يستهدفك، فإذاً، علينا الإبلاغ عن ذلك قَطعاً".

حدّق أحدنا إلى الآخر وقد ساد الصمت بيننا.

بعد دقيقة تقريباً، رفع دون يدَيه، مُحبَطاً وقال: "حسناً، لا رجال شرطة. ولكن هذا يُثبت أنني مُحِقّ. لا يمكنك الذهاب لحضور إحياء ذكرى إعدامها، يا بِل. مُحال. لقد أصبح الأمر شديد الخطورة".

حوّل انتباهه عني بعد سماع الكلبَين ينبحان ويخدشان الباب بقوائمهما.

كنا نعرف أن جعجعته لا تتخطى هذه الحدود. ولم يكن أمامي سوى خيار المشاركة في إحياء ذكرى إعدام روزماري، عِلماً أنني كنت على ثقة تامة بأن مَن هاجمني سيكون هناك أيضاً.

www.ibtesama.com

11

ماثيو بيرل

عندما تستيقظون تتساءلون أحياناً ما إذا كنتم حقاً ذلك الشخص البغيض الذي كنتموه في اليوم السابق. ولكن أحياناً، لا تستطيعون التفكير بعمق - تكونون مشوّشين، مُنهَكين، وتقولون في سرّكم في الصباح ما الذي يدعوننا لفعل...؟ ومن ثم، تبدأون يومكم كالعادة.

ففي السنوات التي تلت وفاة روزماري، كان يتعيّن على جون نان تذكّر واجباته كل صباح من حياته. لقد تناوبت عليه طوال سنوات أيام مليئة بحافز مبرَّر أخلاقياً لإنقاذ أحدهم - أمر معهود بالنسبة إلى شرطي سابق يحرص على حياة المدنيين - وأيام مُظلمة بسبب شعوره بدافع التشاجر مع شخص سيّئ وخَنقه. فَستان بالارد، الذي سرق منه زوجته، هو إحدى ضحايا مخيّلته، بالتأكيد، ولكنه يشعر أحياناً بالسعادة والحرية.

كان شعوره القوي بالذَّنب ناجماً عن وفاة روزماري (لا، إعدامها، أيها المغفّل، يقول له عقله المضطرب، مؤنّباً إياه)، ولكن هذا الشعور تفاقم، وأعاد فتح ملف قتل كريستوفر توماس، غير راضٍ عن الرقم القياسي الذي سجّله في أسرع إدانة لمتّهَم، كما لو أنه يشعر أيضاً بمسؤوليته عن موت توماس ووضع جثته في مِقصلة حديدية، وعن كل الكوارث التي شهدها العالم قبل وفاة روزماري وبعدها. (إعدام، يا جون، إ - ع - دام).

بدأ ذلك بتفاقمات صغيرة في الشعور بالذَّنب قبل عامَين من دون التمكن من ملاحظتها، وذلك بعد... بعد انتهاء كل شيء - مهنته،

www.ibtesama.com

زوجتـه، اتّزانـه - كان قـد شـرع بالقيـام بنزهـات سَـيراً علـى قدميه إلى المـكان الـذي شـوهد فيـه كريسـتوفر فـي الأسـابيع التي سـبقت مقتله، والتجـوّل فـي الشـوارع حول المتحـف حيث يلتقي مُحِبّـو الفن مُحِبّين آخريـن للفـن فـي مواعيد لتنـاول الغداء، أو القهـوة، أو مواعيد غرامية، ويتوجـه بسـيارته إلـى متجر للبقالة كانت روزماري تتسـوّق منه لطفلَيها وتحضر أفلاماً سينمائية حيث تبكي سرّاً. من يوقف تطوافاته؟ لم يكن يكشـف عن أي سـلاح أو شـارة مزوّرة، ولـم يكن يغازل النسـاء ويعالج المسـائل كمـا اعتـاد كريـس تومـاس القيام بذلك؛ كان يسـير فحسـب، ويتحـدث، ويُصغـي، ويراقب، ويسـتفيد من الوقت بيـن اللقاءات. ذلك أفضل من تناول الشراب، والجميع يُقِرّون بذلك.

كانـت هنـاك أنحـاء المدينة تلـك التي يتظاهر السـياح بعدم رؤيتها فـي أثنـاء توجههـم إلـى غولدن غايـت: التندرلوين، ذي ميشـن، الزوايا المظلمـة لتشـايناتاون القديمـة، حيـث تبدو المدينة واقعية وقاسـية على غـرار مدينـة نيويـورك التـي لا يتذكـر أحد كيف كانت في السـبعينيات. ولا تبـدو المدينـة واقعيـة أبداً أحيانـاً؛ على غرار ليلة المَيت الحيّ؛ كما لـو أن أسـوأ المنبوذيـن والمُدمنيـن يتخذون تدابير غيـر مُعلَنة للبقاء في مناطقهم، إلا أنهم يشاهَدون أحياناً يطوفون وسط المدينة بجانب السياح المتسوّقين، ويبدون كما لو أنهم زومبيّين تائهين فارّين من حظائرهم.

أم أنه جون نان الزومبيّ الفارّ؟

لقد رأى نان لافتة حاول تفسيرها بأنها لُغزٌ لمعنى الحياة في أحد الشوارع حيث تقوم منازل صغيرة في الناحية الخلفية لِقِطع أرض خاوية تُنـذر بالخطـر. **إذا تغوطـتَ قرب منزلي مرّةً ثانيةً، فسـأخرج وأُطلق النار عليك بمسدسي.**

ما الذي يدعوني لفعل...؟

كان التحري السـابق نان لا يزال يتعلم رؤية سـان فرانسيسـكو من

www.ibtesama.com

جانبها المدني. فسان فرانسيسكو تُعتبر مكاناً متساهلاً، ولكنها في الداخل مدينة حيث تلتقون النظرات الحارقة والمُصدرة للأحكام في كل مكان. حتى إن مجموعات المشرّدين الذين يملأون المجمعات السكنية في المناطق الزومبية يُصدرون أحكاماً أيضاً كما يبدو، لا بل رجال الشرطة أيضاً الذين عرفهم يوماً؛ هم يُصدرون أقسى الأحكام.

"جون، تعرف أنني لا أستطيع مساعدتك".

أجاب نان في ذلك اليوم، بعد ست سنوات من تسليم شارته: "أقوم بنزهة سيَراً على قدميّ ليس إلا"، ثمّ قال في سرّه: مساعدتي؟ لا يستطيع أحد مساعدتي حتى أعرف. قال للشرطي الآخر: "أسير في أرجاء المكان ليس إلا".

أجاب تود دراينر، وهو في شرطة الآداب نظر مع نان في قضيّتَين أو ثلاث قضايا منذ خمسة عشر عاماً: "أجل، أنت تسير هنا بالذات". وجّها أنظارهما معاً، وبانسجام، إلى أسوأ المباني المتقوّضة المتراصفة مع مجمّع تشايناتاون السكني المتداعي. لقد بدا كما لو أنه يبعد مليون ميل عن شقة جون نان. ومع ذلك، كان هذا المكان يمنحه بعض الأمل بالسلام.

"سمعتُ أنه يوجد معمل لحَلوى الحظ هنا"، قال نان كما لو أنه علِم للتوّ بوجوده، ثمّ أضاف: "السياح يحبونه". واستدار للنظر إلى دراينر وجهاً لوجه سائلاً إياه: "ماذا تفعل هنا يا دراينر؟".

قال دراينر: "أُخيف مؤسسة ما بسبب قضية، ولو لم تصبح مُدمِناً من الدرجة الأولى بدلاً من شخص يرثى لحاله حانق..."، رمقه نان بنظرة عابسة، وربما كان على وشك لكمه على وجهه. تدارك دراينر الأمر وقال متأسّفاً: "آسف يا نان. لم أكن أعني أي شيء. لقد مرّ على شريكي وقت عصيب بعد تقاعده، وهام على وجهه في منطقة الخطر كما لو أنه الرجل الوطواط اللعين وروبين. معمل حَلوى الحظ من ذلك

www.ibtesama.com

الطريق، كما أعتقد. أفضّل عدم رؤيتك مجدداً هنا".

"أفضّل عدم رؤيتك أيضاً يا تود".

ضحك درايـنـر ضحكة ماكرة وتمتم لنفسه في أثناء ابتعاده، وندم نان لأنه لم يلكمه على وجهه.

توجّه نـان إلى الناحية الخلفية للمعمل، ووقف في رواق قذر يراقب غرفةً مليئة بالدخان وبأصوات السعال، وأشخاصاً مُبهَمين يصابون بالاعتلال شيئاً فشيئاً. لم يتغيّر شيء منذ زيارته الأخيرة لهذا المكان قبل أعوام بحثاً عن كريستوفر توماس حيث شوهد عدة مرات في الأشهر السابقة لوفاته. لماذا؟ لو كان مُدمناً على المخدرات لَتسبّب له ذلك بأنواع المتاعب كافةً. ولكن لم يكن بالإمكان التعويل على تعدد الشهود في هذا المكان، في أثناء التحقيق أو المحاكمة، لأن الرؤية فيه غير واضحة.

في غضون ذلك، اعتُقل رجل يُعرف بهونغ، وهو تاجر المخدرات الرئيس في هذه المنطقة كما أنه يتاجر ببضائع مسروقة - تلفزيون، سيارة، لوحة فنية نادرة - مع عدد قليل من رجاله بتُهمٍ مرتبطة بالمخدرات. كان نان قد توسّل درايـنـر تأخير موعد الغارة في أثناء إجرائه تحريات عن توماس، ولكن درايـنـر رفض. فدفاتر الأستاذ المرمَّزة التابعة لهونغ تشير إلى أموال مدفوعة لأحدهم واسمه مدوّن بشكل غير واضح يبدو كما لو أنه أُود بادي. ويعود تاريخ الدفع إلى الفترة التي سبقت اختفاء كريس مباشَرةً، فتساءل نان ما إذا كان هناك رابط ما. لم يكن متأكداً من ذلك ولكن كانت لديه أفكار. لقد أجرى بحثاً دقيقاً وشاملاً في سجلات المتحف ووجد أن عدداً من اللوحات الفنية فُقدت في السنوات التي سبقت وفاة كريس. فإذا كان متورطاً مع هونغ، فهل كان يشتري حياته لقاء أعمال فنية مسروقة، أم إن هونغ يتاجر بها لصالحه؟ لم يتمكن نان من العثور على دليل يثبت أن كريس كان أكثر من مجرد مستخدِم

www.ibtesama.com

للمخدرات لغاية ترفيهية، ولم يبُح هونغ بأي شيء، ثمّ تلقى في زنزانته طعنة في عُنُقه من قِبَل سجين آخر؛ كانت طعنة قاتلة آنذاك، وما زالت كذلك الآن.

لم يتمكن نان قطّ من اكتشاف شخص يدعى أُود بادي بالرغم من البحث الذي كان قد أجراه.

كان جون نان يشعر بنظرات المُدمنين الخالية من أي تعبير ترمقه وتتبعه في أثناء مروره وسطهم، مدّعياً أنه يبحث عن عمّ مشوَّش الذِهن بسبب تعاطي المخدرات.

وعندما عاد إلى المنزل في أحد تلك الأيام التي لم يحقق فيها أي تقدّم، تبادر إلى ذهنه أمر ما، واتصل نان بريجينا كوبر.

لا، لم يكن نان يتعقّب القضية مرة أخرى؛ فالقضية هي التي كانت تتعقّبه تماماً.

قالت ريجينا عندما رأته هناك ناظراً نظرة عنيدة: "لا أصدّق".

رفع نان كأس المياه المعدنية الفوّارة - سَلتزر - بنكهة التوت البرّي. إنه الشراب المفضَّل لديه لأنه بدا كما لو أنه شراب يحتوي على كحول بشكل غير ظاهر. قال: "لن تجيبي على اتصالاتي الهاتفية".

قالت: "يُفترض بي البدء بتغيير مكاني المعتاد"، قالت ذلك مقطّبةً حاجبيها بعبوس فُكاهي في أثناء جلوسها في مكانها قرب قنينة شراب، وقنينة شراب أخرى أنيقة، ووُضعت عبوّة من شراب الشعير أمامها من دون الأخذ برأيها، ثمّ أضافت: "تذكر شيئاً عن الحياة الواقعية، أليس كذلك؟ تخيّل مقدار ما يتعيّن عليّ القيام به إذا حاولتُ الترفيه عن كل شرطي سابق منهوك القوى". كانت ريجينا كوبر قد وضعت عدة كتب عن القضايا الكبيرة التي ساهم مكتبها في حلّ ألغازها عندما كانت فاحصة طبية عليا في سان فرانسيسكو. لقد اعتُبرت كتبها أعمالاً رائعة في حقل العلوم المرتبطة بالطب الشرعي، وأصبحت مرجعاً بارزاً قبل

www.ibtesama.com

أن تتعب من ذلك بسـرعة. في ذلك الوقت، كانت محطة تلفزيونية قد اشترت حقوق إعداد برنامج عن حياتها، واستخدمت عارضة أزياء سابقة بثوب السـباحة لتكون نسـخة مِرحة عنها وذات خِصال غريبة، عِلماً أن ريجينا كانت أكثر مَرَحاً، وأكثر غرابة، وأكثر ذكاء في الحياة الواقعية.

قال نان: "ماذا سمعتِ؟ لستُ على فراش الموت". ثمّ سمع نفسه يضحـك، ويغطـي الصخَب المدوّي للمقصـف الإيرلندي على ضحكه. كانـت هنـاك رائحـة مماثلـة لرائحـة الكرتـون وشـراب الشـعير القديم، والخشب تحت يده مليئاً بالعُقد ومفتول بسبب التنظيف غير المُتقَن.

"أجل، أنت على فراش الموت بسبب السأم، وبالرغم من اتصالك بـي. لتمضيـة وقـت ممتـع، اتصلوا بالفاحصـة الطبية العليا لمدينة سـان فرانسيسكو".

قال نان بجدّية: "تعرفين سبب اتصالي بك".

أغمضت ريجينا عينَيها وهزت رأسها وقالت: "مُحال يا صديقي".

"ما الضرر في ذلك؟".

"النظـر فـي قضيـة أُقفلـت قبل عشـر سـنوات مـع كل الفحوصات الأصلية التي أُجريت في ألمانيا؟ إنه أمر يصيبني بالصداع يا جون".

"فكّري في الأمر قليلاً قبل أن تُطلقي النار عليّ".

"مشكلتك، يا صديقي، أنك لا تتأثر بمرور الوقت. لو أنك وُلدت قبل مئة عام، أو بعد مئة عام، فالناس سيعرفونك على حقيقتك".

"وما هي حقيقتي، يا ريجينا".

"تائه".

"ألا تُبالين بأننا ربما نكون قد ساهمنا في إعدام امرأة بريئة؟".

"أنـت تبحـث عن نسـختي التلفزيونية، كما أعتقـد". وقفت ريجينا وبحثت في محفظة نقودها عن قليل من الدولارات.

"انتظـري!"، وضـع نـان يده على مِعصمها عندما بدأت أغنية عازمة

www.ibtesama.com

لبوب ديلن. فتسمّرت في مكانها.

ظهر ميك، الساقي كَرويّ الشكل والمَهيب، ولاح طيفه فوق نان قائلاً: "أكلّ شيء بخير، يا ريجينا؟".

قالت ريجينا: "أجل، بخير".

قال لها نان عندما عاد الساقي بحِرص إلى مكانه: "رجاءً، لقد اعتدتِ الثقة بحَدسي".

لا شيء يُريبك امرأة تعتمد على حسّ الفكاهة في تفاعلاتها الشخصية أكثر من الجدّية.

"ماكغي".

"ماذا؟".

"إغناسيوس ماكغي، عالِم أنتروبولوجيا. لا أحد ينبش العظام القديمة مثله. ولكن يصعب الاتصال به. مركزه في بوسطن وهو محجوز لسنوات. كما أنه لا يحب الأحياء كثيراً".

واصل نان كلامه قائلاً: "أنا على وشك الانتهاء من كل هذه المسألة. أنا بحاجة إلى هذا الرجل يا ريجينا. هل يمكنك على الأقل حمل ماكغي على محادثتي؟".

استسلمت ريجينا قليلاً للرقص، هازّةً كتفَيها، ثمّ عادت إلى كرسيّها دافعةً كأس الشراب جانباً.

كان الروتين قد ترسّخ في سان فرانسيسكو حيث يكون جوُّ الصباح الباكر، وأواخر بعد الظهر أيضاً، بارداً وكئيباً ينخر عظامكم. ولا يترك هذا الأمر سوى نافذة صغيرة صافية وجميلة وسط اليوم. كان نان ينام معظم الصباح كي يتمكن من الاستيقاظ في الساعات الجميلة بدلاً من ساعات الضباب المُجهِدة، ويعلم أن هذا الأمر يمنحه ارتياحاً مؤقتاً ولكنه يساعده على الوقوف على قدمَيه.

وفي بعض الأحيان، يقوم بتعقّب ستان بالارد في أواخر فترة بعد

www.ibtesama.com

الظهر. لا بد من أن ستان كان يعتقد أن سياراته رباعية الدفع ذات المحركات القوية تضعه بعيداً من متناول القَتَلة، ولكن ذلك جعله، بدلاً من ذلك، هدفاً سهلاً؛ إنه يظهر على حقيقته وغداً متعجرفاً. كان نان يراقب عن بُعد لقاءاته مع بيتر هوسن حول مائدة الشراب والجبن على متن يخت بيتر.

كان نان لا يزال غير قادرٍ على التفكير في ستان زوجاً لسارة. فهناك سارة وذلك... الوغد الحقير... هاتان هما الكلَمتان اللتان تحولان دون لفظ كلمة الزوج.

لقد تبع نان الوغدَ الحقير، وتساءل عن هدف زيارته قبر روزماري توماس وهو يبتسم ابتسامة الرضى عن النفس المقيتة تلك.

نعم، هذا يُثبت شكوكي. لا يتعلق الأمر بكرهي له فحسب لأنه سرق زوجتي، بل يُخفي أيضاً حقيقته. يُخفيها عن سارتي وعن العالم.

في غضون ذلك، تمكن بيتر، ذلك الثّعبان، من إغضاب نان تقريباً بسبب حياته الفاجرة التي بناها على أساس هيمنته الحصرية على أموال العائلة التي تتضاءل شيئاً فشيئاً.

انتهى الأمر بِنان عائداً إلى معمل حَلوى الحظ، إلى المعسكر الخلفي لمُدمني الهيروين والميتادون حيث يبدأ الأمر بتبادل إبرة معلومات. كان المدخّنون من الدرجة الأولى يسممون الهواء، ويُفترض بالمدخنين ومتعاطي الحقَن التواجد في غرف منفصلة على امتداد الممر، ولكن في الواقع، هل هناك من يتذمّر؟ نبح كلب قذر وهزيل على نان بشكل يائس، ومن ثم غصّ وسعل. كان المغفّل مربوطاً إلى معصم شخص هارب، مثقوب، موشوم، كان ينتمي في السابق إلى الطبقة الوسطى، ويستخدم الكلب لاستعطاء المال بعدائية في هايت وإطعام الكلب المقدار اليسير لإبقائه حياً.

عندما سأل أحدُ المقيمين نان عما إذا كان يملك ما يريد بيعه،

www.ibtesama.com

تمتم نان روايته المُملّة عن البحث عن عمّه التائه والمشـوّش؛ ما اعتاد قوله في أثناء بحثه عن كريسـتوفر توماس قبل سـنوات. فبالرغم من أن العديـد مـن الظـلال الموجودة هنا كانت موجودة عندما قام بالبحث في السابق، فهو لم يشعر بالقلق بالتحديد حيال قيام شخص ما بمعرفته.

سأل نان: "أخبرني. هل رأيتَه هنا؟".

"من؟".

قال نان: "عمّي". ثمّ أراه صورة لكريس توماس.

شحب وجه الطَّيف وارتعش في أثناء نظره من فوق كتف نان إلى وافد جديد. موجّهاً نظره نحو الأرض، غادر الطَّيف وهو يتعثّر بالمشي.

وقف رجلان آسـيويان هزيلان، طويلا القامة، وأنيقان، عند مدخل الوَكر. كانت هالتاهما القويتان والسليمتان متعارضتَين تماماً مع هالات شاغلي المكان. إنهما المتبقيان منذ سنوات هيمنة هونغ.

سأل الأكثر نحولاً بينهما: "أأنت تائه أم إنك شرطي؟".

"قد لا أكون أيّاً من الاثنين".

"إذاً، أنت لا تنتمي إلى هذا المكان. إنها مشـكلة. والمشـكلة هنا هي مشـكلة بالنسـبة إليّ". كان هناك نُدب على امتداد عُنُقه كما لو أنه حاول الانتحار عدّة مرات.

قال نان مصطنعاً ضحكة: "ربما أبحث فقط عن قطعة حَلوى الحَظ التي تزوّدني أخيراً بخبر جيد".

كرّر الرجل السـؤال: "أأنت شـرطي؟". كان الرجل الأكثر ضخامة يضع يده داخل جيب سترته الشبيهة بسترات عمّال السُّخرة. فمن خلال وضعيـة الـذراع، عـرف نـان أنه لا يحاول اسـتلال مسـدس ما؛ بل ربما سكين، أو بُرجُميّة(**).

(*) البرجميّة: قطعة معدنيّة تُكسى بها البراجم (مفاصل أصابع اليد) عند الملاكمة ونحو ذلك.

www.ibtesama.com

كان من الأسـهل لهذَين الرجلين أن يكون نان شـرطياً؛ فبالإمكان رشـوته أو تجاهلـه وِفقـاً لسـبب قدومه. وفي هذا المـكان، أثبتت غُفلية نان فائدتها. فمن دون معرفة هويّته، قد يكون أي هجوم عليه خطيراً.

"أمـر مُضحـك. كنـت أبحـث عن عمّـي. أتعرفه؟". ثـمّ رفع جون صـورة فوتوغرافيـة لكريس توماس وراقب وجهَيهما بحِرص. ارتعشـت أعينهمـا علـى نحـوٍ يكاد لا يلاحَظ ولم يقولا شـيئاً. لـم يتكلما، ولكن مـع ذلـك، حرّكـت زياراته وَكر الدبابير. لم يشـعر جون بهذه الحماسـة منذ عشر سنوات.

روزماري، هل تشاهدين هذا؟

"لا، أعتقد أنك لا تعرفه. حسناً، مجرَّد تخمين".

"عمّـك ليـس هنـا، لـم يكـن هنا طـوال تـرددك إلى هـذا المكان، وباستطاعتك رؤية ذلك. يُفترض بك المغادرة".

ودسّ جـون يدَيـه عميقـاً فـي جَيبَـي سـرواله. قـال جـون: "إليـك الجزء الأكثر مدعاةً للضحك"، قال ذلك ملقياً نظرة محدّقة على الوَكر القذر، وأضاف: "قدِمتُ إلى هنا بحثاً عن عمّي المفقود منذ مدة طويلة، ووجدتُ بعد ذلك أن أحداً ما سرق كلبي، ماكس، من فنائي. كنت على وشك الاتصال بالشرطة لمساعدتي على استرجاعه من ذلك المهووس هناك الموشوم على جبينه".

أجاب أحدهما: "لا تُزعج نفسك". وألقى نظرة سريعة على رفيقه الذي استلّ مِدية نابضية(*) من جَيبه وقام بخطوة كبيرة نحو جون. وفي انتظـار التحقـق ممـا إذا كان جون سـيصيح أو يهرب - لم يقُم بأي من الأمريـن، بـل لازم مكانـه - مرّ الرجل مفتـول العضلات بقرب المُدمن مشوّش الذهن وقطع الحبل المربوط إلى معصمه.

نـادى جـون الكلـب: "ماكس، تعالَ إلى هنا، أيها العجوز!". ركض

(*) مدية نابضة: مدية جيب تُفتح بواسطة نابض أو زنبرك.

www.ibtesama.com

الكلـب الصغيـر اليائـس إليـه وقفز بيـن ذراعَي جون، لاعقـاً يدَيه. كان بإمكان الكلب ربما الركض في اتجاه أي شـخص يدعوه بنبرة ودّية – ولكن جون كان قد فرك يدَيه داخل جَيبَيه حيث كان يحتفظ بقطع لحم لأجل نزهاته الطويلة سيراً على قدميه في أرجاء المدينة، وكان باستطاعة الكلب اشـتمام الرائحة على بُعد ميل. كان لجون صديقٌ عمل كضابط سـابق للسـيطرة علـى الحيوانـات، وأصبح يدير ملجأً للإنقاذ؛ سـيحظى ماكس بمنزل جديد في غضون أيام.

"الآن أشعر بتحسن"، قال جون ذلك مُنزلاً الكلب ومُزيلاً الطّوق. "لنذهب في نزهة أيها العجوز".

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

12

مايكل بالمر

كان هانك زاكاريوس يعرف دائماً عندما يتمّ تعقّبه، عِلماً أنه لم يرَ متعقّبيه في الواقع وتعتريه شكوك مُبهَمة حول من يكونون.

فكونه مراسلاً استقصائياً يعمل باستقلالية، غالباً ما كان ينظر في أكثر من عشر قضايا في آنٍ واحدٍ. الفساد في مبنى بلدية مدينة أوكلاند؛ استغلال نقابة العمال لترميم الرصيف 41؛ رابطة الممثلات السينمائيات الناشئات العاكفات على الملذات اللواتي كنّ يُرضين التخيّلات الأكثر جموحاً لمجموعة معيَّنة من المدارء التنفيذيين للاستوديوهات، ثمّ يستغلِلن الصور الفوتوغرافية العُرضة للشُّبُهات لابتزازهم بهدف الحصول على أدوار في الأفلام. كان قد رُشّح قبل سنوات لجائزة بوليتزر بسبب كشفه عن الصلات بين كبار مسؤولي مركز شرطة لوس أنجلوس وعصابات لوس أنجلوس الأكثر قوة.

لا عجب في منع نشر رواياته من قِبَل سياسيين ومتنفّذين ملتوي الخُلُق كانوا جزءاً من المشهد في المدينة بقدر ما كان جسر غولدن غايت بجانب الخليج جزءاً من هذا المشهد. ولا عجب في أن يتمّ تعقّبه كلما غادر شقته تقريباً. كان يعرف أموراً كثيرة، وهناك على الدوام أشخاص يريدون أن يعرفوا ما الذي يعرفه.

ولكنه كان بحاجة في تلك الليلة إلى التأكّد من أنه بمفرده.

كان قد أدرج في جدول أعماله لهذه الليلة لقاءً مع أحد المُخبِرين؛ أفضلهم بالنسبة إليه. فهناك صعوبة للتعاطي مع رجل يُخفي هويّته

www.ibtesama.com

لدرجة أنه لم يكشف عن اسمه لزاكاريوس قطّ. «ادعُني كالفين، يقول، إنه اسم جيد على غرار كل الأسماء. كان كالفين شرطياً، أو ربما فرداً من عصابة ما؛ فهذا كل ما يعرفه زاكاريوس عنه. لم تكن لديه أي فكرة، مجرد تخمينات فحسب من دون أن يتمكن أبداً من التحقق من أي منها، وربما هذا أمر جيد. فأيّاً يكن كالفين، يبقى شخصاً لا يمكن الاستغناء عنه، كما يقال في الأعمال. اطرحوا سؤالاً، وأَخرجوا المال النَّقدي، فيعرف الرجل الإجابة أو كيفية العثور على الإجابة.

كان زاكاريوس يدرك أنه يمكن لكالفين جني المزيد من المال من خلال تزويد بعض المراسلين الأكثر شهرة، أو الشرطة، أو حتى العملاء الفدراليين بالمعلومات. ولكن المُخبر لم يرفض له طلَباً، وعندما لا يكون زاكاريوس قادراً على بيع رواياته في غالب الأحيان، يبذل كالفين قصارى جهده للمساعدة.

في تلك الليلة، لم يخشَ زاكاريوس من الكشف عن مصدر معلوماته واسع الحيلة فحسب، بل من التعرض للأذى أيضاً. فبعد عشر سنوات، سيقوم بالاستعانة بأي اهتمام جماهيري بإحياء ذكرى إعدام روزماري توماس ليُظهر للعالم بأنها لم تقتل زوجها، كما أصرّ على الدوام وفقاً لتحقيقه وتقريره الأولي. لقد رُفضت مقالاته على نطاق واسع من قِبَل نظرائه والجمهور، ولكن زاكاريوس كان يعلم باستمرار بوجود حقائق مرتبطة بروايته لم يتوصل إلى معرفتها بعد، ومن غير المفاجئ أنه لم يتمكن قطّ من تحريك هذه القضية.

لقد عرف روزماري طوال عشرين عاماً، حتى إنه كان يعرف كريس، وحضر زفافهما، والاحتفال الديني الخاص بطفليهما، وحفلات ذكرى مولدهما. لقد بكت روزماري على كتفه بعد أن اكتشفت أولى خيانات كريس لها.

كتب بالإجمال أربع مقالات عن الجريمة التي حظيت باهتمام الناس

www.ibtesama.com

إلى حدٍّ كبير، وركّز في إحداها على الظواهر الفيزيائية للجريمة نفسها، مشدِّداً على طول قامة كريستوفر توماس ووزنه، وعلى صعوبة وضع جثته داخل المِقصلة الحديدية التي يبلغ طولها ثماني أقدام، ووزنها مئتَي رطل، ومن ثم نقل الجثة وأداة التعذيب من الموقع الفعلي للجريمة إلى شاحنة من نوع ما، وإلى رحلة لوفتهانزا الجوية التي نقلت الجثة إلى ما وراء البحار. وتتبّعت مقالة أخرى تحركات روزماري توماس طوال الأسبوع السابق لمقتل زوجها وصولاً إلى الشجار الكلامي العلَني بعد مطالبة كريستوفر بالطلاق، وقيامها بتخديره، كما ادُّعي، قبل قتله ووضعه في المِقصلة الحديدية في المتحف.

كانت المقالة الأخيرة تخمينية، ولكن زاكاريوس اعتبرها الأفضل. كان استقصاءً معمَّقاً حول حياة كريستوفر توماس، مركِّزاً على موارده المالية المتغيّرة باستمرار، ورحلاته خارج البلد المستقاة من النسخات المصوَّرة لجواز سفره، وعلاقته بسفّاح من عالم الإجرام، وبتاجر لوحات فنّية مسروقة، وبمستبدّ صيني ربما في ميدان المخدرات يدعى رودجر هونغ، وهو شاهد آخر ثبت في النهاية أنه فارق الحياة.

ولكن زاكاريوس فقد صدقيّته إلى حدٍّ كبير، وذلك بسبب صداقته بالزوجين توماس، ولا سيما بسبب صداقته بروزماري. لقد بلغ الأمر حدّ امتناع متتّبعي الأخبار عن قراءة مقالاته، ناهيكم عن عدم تصديقها أو على الأقل التحقق منها.

وبعد عشر سنوات، أمل استعادة مصداقيته وسط نظرائه والجمهور.

كان مكان اللقاء الذي اختاره كالفين في المرتبة السادسة في لائحة عشرة أماكن اختارها زاكاريوس داخل وحول مناطق كاسترو، ميشن، وهايت. ويقوم زاكاريوس بالتعبير عن رغبته في إجراء لقاء من خلال لصق ورقة صغيرة تحت حافة مِنضدة مقصف في شارع ديفيزاديرو ستريت عند الرابعة عصراً بالتحديد. وفي غضون ساعات، تكون هناك

www.ibtesama.com

ورقة صغيرة مُلصَقة في المكان نفسه دُوِّن عليها أحد الأعداد المُدرَجة على اللائحة وموعد اللقاء. في ذلك المساء، وجّه الرقمُ المراسلَ إلى مقهى حديث الطراز، ودائم الازدحام، على بُعد مجمعات سكنية قليلة من حديقة غولدن غايت العامة.

"السيد زاكاريوس، كما أفترض". كانا يعرفان بعضهما منذ سنوات، ويحيّيه كالفين بالطريقة نفسها كلما التقيا. وينسلّ المُخبر داخل مقعد طويل قائم وراء زاكاريوس تماماً.

ويستدير زاكاريوس ليكون قبالته وجهاً لوجه.

كان كالفين أميركياً من أصول أفريقية، نحيلاً وفي العقد الخامس من عمره، لا يُلفت الأنظار بأي تفصيل جسديّ محدَّد تقريباً باستثناء عينَيه القاتمتَين المتفحّصتَين تارةً والمتمعّنتَين بأرجاء الغرفة طَوراً وهما في حالة طوارئ قصوى على الدوام. ولكن مظهره العادي يسمح له بالمناورة في المجتمع، متنصّتاً على المحادثات في أثناء مروره، وملاحظاً من أولئك الذين يتوقفون للتحادث.

قال كالفين: "تبدو مُتعَباً".

"أنا مُتعَب. أحياناً، يصعب..." وقطّب زاكاريوس جبينه ثمّ أضاف: "كنت الأفضل، كما تعلم، الأفضل".

"أعرف. كنتَ جيداً جداً يا هانك".

تنهّد زاكاريوس وقال: "لقد حاولوا تدميري يا كالفين، منذ لحظة ادّعائي بأن روزماري بريئة. لقد منعوا في بادئ الأمر نشر المقالة التي كتبتُها وفصّلتُ فيها وقائع القضية، وكيف أنه من غير المعقول أن تكون قد قتلته. وشرعوا بعد ذلك بالتشكيك في نظرياتي في شأن مجموعة من الأشخاص الأقوياء الذين هم موضع شُبهة بسبب توافر العوامل الثلاثة - الطريقة، الدافع، والفرصة - وذلك من خلال وصفي بأنني غريب الأطوار".

www.ibtesama.com

قـال كالفيـن: "إنـه أمر قديـم يا صديقي. ربمـا كان صحيحاً ولكنه قديم"، ثم انحنى إلى الأمام وأضاف: "ولكنك لم تطلب مقابلتي لأجل التذمّر، أليس كذلك يا هانك؟".

تخلّـص زاكاريـوس مـن بعـض العبء المُلقى على كاهلـه وقال: "لـديّ مئـة وخمسـون دولاراً يمكننـي إعطاؤك إيّاها علـى الفور، ولكن يصعب عليّ تدبّر المزيد في هذه الأيام".

"عندمـا أكـون بحاجـة إلـى المـال، أُعلمـك بالأمر. ما الـذي تريد معرفته؟".

"شـكراً". حدّق زاكاريوس إلى يديه، محاولاً التخلص من شـعوره بالإحراج.

"إذاً، هناك تطورات، أليس كذلك؟".

فأومأ زاكاريوس إلى العاملة وطلب قهوة خفيفة، ثمّ أخرج الدعوة من جَيب سـترته، وسـلّمها إلى كالفين بعد التمعّن بالمقهى مرة أخرى وقال: "وصلت هذه الرسالة إلى منزلي اليوم. هناك طابع بريدي عليها، ولكنها لم تُرسَل عبر البريد... لقد تمّ دسّها تحت باب شقتي".

"توني أولسن نفسه؟". ورفع كالفين أحد حاجبَيه.

"أجل، كان صديقاً لروزماري".

صفّر كالفين وقال: "لماذا يريد توني أولسن فتح هذا الجرح القديم برأيك؟".

"لهـذا السـبب أنـا هنـا. كنت آمـل الحصول على بعـض النظريات منك".

هز المُخبر رأسـه وقال: "لا نظريات لديّ، ولكن الأمر لا يتطلّبني الكثير من الوقت لطرح بعضها. لا يفشـل الأشـخاص في الانتقال من مغمورين إلى أثرياء على غرار توني أولسن إلا بسبب تمرّغهم بكميات كبيرة من الرَّوث".

www.ibtesama.com

"وماذا بعد؟".

وصلت العاملة حاملةً القهوة، وبجرعة واحدة شرب زاكاريوس نصف الكوب.

"ربما كان يدين بخدمة لذلك الشرطي الذي أصبح غريب الأطوار بعد إعدام توماس - جون نان - ربما يُفترض بهذه الذكرى أن تمنح ذلك الفشل الذريع فرصة أخرى؛ جمع المشتبَه فيهم الأساسيين معاً ورؤية ما يحدث".

"ما الذي يجمع أولسن بِنان؟".

قال كالفين: "لا تتظاهر بالسذاجة يا صديقي، أنت تعرف على غراري رجال الشرطة في هذه المدينة. فالعديد منهم يساند طرفَي النَقيض".

لزم زاكاريوس الصمت.

سأل كالفين: "بمناسبة الحديث عن رجال الشرطة الذين يساندون طرفَي النقيض، هل سمعتَ يوماً بأرتي روبي؟".

"أرتي روبي، الشرطي الذي واجه متاعب بسبب سرقة دليل منذ سنوات؛ دليل أبيض كالمسحوق على ما أذكر، وفجأةً، لم يعُد شرطياً. كان يعمل في جهاز الأمن التابع لمتحف ماكفول".

شعر زاكاريوس باندفاع الأدرينالين في دمه فسأل: "ما سبب قيام متحف بتوظيف شرطي فاسد في جهاز الأمن؟".

ضحك كالفين في سرّه وقال: "تعلم أن كريس توماس كان محتالاً... مخدرات، إعداد نسخات مزيَّفة، لقد سمعتَ بالشائعات".

"وماذا بعد؟...".

"إذا كنتَ مقتنعاً بأن روزماري توماس لم تقتل زوجها، فربما ترغب في التحدث إلى روبي. سمعتُ أنه يمكن شراؤه بمبلغ صغير من المال".

"هل لديك أيّ أفكار عن المكان الذي يمكنني العثور عليه فيه؟".

www.ibtesama.com

هز كالفين كتفَيه وقال: "هل تعرف مكاناً يدعى ستيفز؟".

"وَكر الاحتيال قرب إمباركاديرو؟".

"ابدأ من هناك".

مصابيح نيون وطلاء أسود.

لقدِ شعر زاكاريوس بأن محاولة إدارة ستيفز إعداد محيط أسود باءت بفشل ذريع. ومع ذلك، وبالرغم، أو ربما بسبب رائحة الشراب الكريهة، ورائحة الأجساد والعِطر بخس الثمن، كان المكان مكتظاً. لقد تطلّبه الأمر عرض عشرين دولاراً، ولكنّ شخصاً يرثى لحاله مُحمَرّ الوجه يجلس على الكرسيّ الأخير أرشده إلى غرفة خلفية عابقة بدخان السجائر. ورأى أرتي روبي على الفور؛ وهو رجل شديد النحول ذو انتفاخ كبير تحت عينَيه، وينتأ من زاوية فمه عَقِب سيجار. كان هناك كرسي جلدي بالٍ بجانب الشرطي السابق شاغراً، ومِنفضة سجائر مليئة على منصة قرب الكرسي.

قال زاكاريوس، مُبعِداً المِنفضة قليلاً بينما كان يهمّ بالجلوس على الكرسيّ: "هذا كثير بالنسبة إلى حظر التدخين المُخيف في كاليفورنيا".

أجاب روبي محدِّقاً أمامه مباشَرةً: "لم يَعُد رجال الشرطة أغلى من الغَرامات، في الواقع، هذان الرّجلان اللذان يدخنان هناك تحرّيان. من أنتَ بالمناسبة؟".

فعرّف زاكاريوس بنفسه.

"أجل، لقد سمعتُ عنك".

فرك زاكاريوس عينَيه بسبب شعوره بوَخز فيهما. لقد توقف عن التدخين منذ ثمانية عشر عاماً، وأصبح مثل كلب مطارَدة بشري يعرف أن هذا الشخص أو ذاك مدمن على التدخين عن بُعد عشر أقدام. لم يكن روبي قد نظر إليه مباشَرةً بعد، ولكن زاكاريوس شعر بوجود أمر ما مثير للشفقة في هذا الرجل صغير الحجم؛ تلك هي الصّفة التي تبادرت

www.ibtesama.com

إلى ذهنه. إنه رجل صغير الحجم وهزيل.

قال زاكاريوس: "لديّ ثلاث قطع نقدية من فئة العشرين دولاراً في جَيبي، إنها لك إذا قدمتَ معي إلى مكان آخر بعيد عن هذا الدخان، وتحدثتَ إليّ لدقيقة".

تسائل زاكاريوس ما إذا كان يُفترض به عرض المزيد من المال، ولكن أمراً ما يتعلق بروبي جعله يشعر بأنّ باستطاعته عرض ما تبقّى من المئة والخمسين دولاراً بعد فترة وجيزة.

سأل الرجل المثير للشفقة على نحو غريب: "ألا يوجد معك أكثر من هذا المبلغ؟".

"إذا أعجبني ما لديك، أُعطيك المزيد".

"ادعُني أرتي"، قال ذلك دافعاً نفسه للنهوض بشكل مفاجئ، ومتقدّماً زاكاريوس باتجاه الرَّدهة.

شقّا طريقهما عبر الملهى الليلي المكتظ باتجاه طاولة صغيرة في زاوية غير مضاءة يبدو أنها نُسيت على هذا الحال.

كان يصعب التصديق أن هذا الرجل المصروف من الخدمة، عصبيّ المزاج، ذا العينَين الحزينتَين، كان شرطياً ذات مرة.

قال زاكاريوس: "عملتَ ذات مرة في جهاز الأمن في متحف ماكفول، لا بد من أنك كنت تعرف المكان جيداً، وتعرف روزماري وكريس توماس".

واصل أرتي التحديق إلى الحشد بينما كان يقول: "كما تعلم، لم أسرق قطّ ذلك الكوكايين من غرفة الأدلة. كنت شرطياً نزيهاً. آه! لقد عرّجتُ على هذه الزاوية أو تلك، وربما أجريت صفقة مع محتال قليل الأهمية لأصل إلى محتال أكثر أهمية، ولكنني لم أكن أستحق قطّ ما حلّ بي".

سأل زاكاريوس محاولاً عدم الخروج عن موضوع الحديث: "من

www.ibtesama.com

وظفك للعمل في المتحف؟".

"انتهى بي الأمر شخصاً منبوذاً لعيناً". ازدادت حدة الحزن في عينَي أرتي، وظنّ زاكاريوس للحظات أن أرتي سيبكي، ولكنه ضمن بدلاً من ذلك قيام زاكاريوس بتسديد التكلفة، وطلبَ شراباً لهما.

"أرتي، أخبرني عن كريس توماس".

"لا أعرف شيئاً. كان توماس قيّماً؛ كنت حارساً أمنياً؛ الاثنان لا يتوافقان. كنت أتمنى له ليلة هانئة عندما يغادر في الليل. هذا كل شيء".

"سمعتَ بالإشاعات حول توماس...".

"أجل، لا أهمية للأمر، لقد اعتاد خيانة زوجته، فالعديد من الرجال يفعلون ذلك". لم يكن أرتي قد نظر إلى زاكاريوس مباشَرةً بعد.

"لا، لا أعني ذلك. كان هناك حديث حول مخدرات، أوراق مزيَّفة، سرقة...".

"لا يمكنني أن أقول لك شيئاً عن ذلك. كما قلتُ، كنت أقوم بعملي ثمّ أذهب إلى المنزل".

لقد أدرك زاكاريوس أن النافذة المفتوحة لاستقاء معلومات مفيدة تضيق بسرعة. لقد أنهى الشراب وبدأت كلمات أرتي تفتقر إلى الوضوح. بتردد، أخرج زاكاريوس كل المال الموجود في جَيبه باستثناء عشرين دولاراً، ووقف ليغادر.

قال: "ادفع ثمن شرابك".

لم يكَد زاكاريوس يخطو خطوة واحدة عندما تنحنح أرتي روبي ونظر إليه هامساً بصوتٍ خشن. "يُفترض بك إبقاء الكلاب النائمة مضطجعة يا زاكاريوس. أنت تعبث بخزان الصرف الصحي وسينفجر كل شيء بوجهك. والآن ما رأيك بهذه الصورة اللعينة؟".

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

يوميات جون نان

جاي. أيه. جانس

بعد تشايناتاون، ذهبتُ لإجراء مقابلة، وعندما أنهيت عملي، ذهبتُ لإجراء مقابلةٍ أخرى. إن فكرة رؤية سارة في الذكرى التي يقترب موعدها أكثر فأكثر جعلت أحشائي تتخبّط. أردت رؤيتها؛ وأيضاً لم أشأ رؤيتها. أردت لَكم ستان بالارد على وجهه؛ لا، هذا ليس صحيحاً. أردت إطلاق رصاصة إلى قلبه. بهذه الطريقة نصبح مماثلَين؛ لدى كلينا ثقب في القلب.

كنت أعلم أن كل أولئك المدعوّين سيلبّون الدعوة، إذ عليهم القيام بذلك. فالأفاعي لا تستطيع الاختباء تحت الصخور طوال حياتها. سيحضرون بأجمعهم ليبدوا أنهم لا يُخفون شيئاً؛ هذا ما كنت أعتمد عليه. فشقيق روزماري عديم النَّفع سيأتي بالتأكيد. كيف يمكنه البقاء بعيداً؟ كان في قاعة الشهود تلك الليلة، ولاحظتُ أمراً واحداً في شأنه لم يلاحظه أحد. لقد أظهر الآخرون بعض اللباقة بذَرف دمعة واحدة أو دمعتَين، أم إنهم تظاهروا بالحزن، بخلاف بيتر هوسن. كان يراقب بوجه متجهّم وعينَين جافّتَين غرس الإبرة في ذراع شقيقته. ربما كان تصرفه هذا ناتجاً عن الشراب؛ لا أعرف. لقد تبعني إلى موقف السيارات في تلك الليلة الدافئة والمُظلمة، وتبادلنا بعض الكلمات. لقد قام بذلك في الواقع. ومن ثم راقبتُه يبتعد بسيارته اللينكولين قديمة الطراز عن مسرح إعدام شقيقته. وبعد مغادرته، انطلقتُ بسيارتي أيضاً يملأني العزم لأشرب حتى الانتشاء. من الواضح أنني شربت كميات كبيرة، ولكن

www.ibtesama.com

عندمـا اسـتفقت أخيـراً، كانت سـارة قد غـادرت نهائياً وفقـدتُ عملي. وماذا عن بيتر هوسـن؟ فكونه الوصيَّ القانوني على ابن وابنة شـقيقته، والقيِّـمَ علـى ممتلـكات تومـاس، أصبـح يعيـش حياة ثـراء. وبدا لي أن سارة وزوجها الجديد، ستان، يعيشان في ظروف أفضل أيضاً. لقد نعِم الجميع بالثراء مع غياب روزماري التي لم يبكوها.

عندمـا انتهـت مقابلتـي الثانيـة، ذهبتُ لإجراء مقابلـة ثالثة. لم تعُد حياتي مقتصرة على تناول الشراب فقط، إذ تمكنت من التحكم برغبتي الشـديدة في تناوله. في تلك الأيام، كان مخدِّري المفضَّل هو الشـعور بالذَّنـب: مـادة ذات مخـدّر قـويّ نقـيّ وخالـص. وللتخلـص مـن ذلك الإدمـان، كنـت بحاجـة إلـى إجـراء أكثر من تسـعين مقابلـةٍ في غضون تسـعين يومـاً. فهنـاك عـلاج واحد فقط لم يتغيّر: العثور على الشـخص المسؤول حقاً عن وفاة روزماري. ولتحقيق ذلك، عليّ العثور على قاتل كريستوفر، قاتله الحقيقي. وهذا ما أقوم به. لقد بدأت الكرة بالتدحرج ولا وسيلة لإيقافها الآن.

لقد فكرتُ في روزماري وكريسـتوفر توماس، وفي كيفية عيشـهما وموتهمـا فـي إطـار زواج غيـر ملائم. لقد كان العـذاب بحدّ ذاته، على الأقـل عـذاب روزمـاري. ولكنني سُـحبت إلى ذاك العـذاب بطريقة ما، وأصبحت عن غير عَمد ضحية أخرى من ضحايا كريستوفر توماس إلى جانب أشخاص آخرين عديدين.

www.ibtesama.com

13

غايل ليندس

لم تشأ هايل باتشيت أن تقوم الشرطة بإلقاء القبض عليها؛ فهي ستبذل قُصارى جهدها لتجنُّب السجن. ولكن الجريمة تجري في عروقها. فالخطر والخوف والمال النقدي كلّها أمور تحملها على الاندفاع وعدم التروّي.

رسمت على وجهها ابتسامة مصطنَعة، وحافظت على خفّة وَقع خُطاها خلال توجهها إلى فندق ريتز - كارلتون، وهو منتجع قائم على جُرفٍ بجانب المحيط الهادئ. كان الفندق مُحاطاً بقنوات مائية زمرّدية اللون، ودروب متعرّجة للعربات، وأشجار سَرو مبعثَرة، والبحر اللامتناهي.

عندما دخلَت، نظرت من حولها، مومئةً عَرَضاً لموظفي الفندق كما لو أنها تنتمي إلى ذلك المكان. بحذائها عالي الكعب ماركة فيرا وانغ وفستانها من تصميم تشارلز تشانغ - ليما الذي يكشف عن كتفَيها وذراعَيها وظهرها - قصير ومثير، فوق الركبة تماماً، ليُظهر ساقَيها الطويلتَين المسمرّتَين - كان باستطاعتها الانتماء إلى ذلك المكان. كان يُفترض بها ذلك، ولكنها قصة قديمة.

خالعةً نظارتها الشمسية، دخلت الرَّدهة، مثبّتةً حقيبة الكتف إلى جَنبها. كان الموظفون الإداريون الجالسون إلى طاولات التسجيل، والأزواج المسنّون الواقفون في الصف حاملين بطاقات الائتمان وزوجاتهم المَنسيات، يراقبونها بأعينهم المتلألئة الآملة. لم تكن جميلة

www.ibtesama.com

حقاً، ولكنّ هناك شيئاً ما بداخلها كالنار.

مرّت بضيوف الفندق المسترخين على كراسي القصب المحشوّة قبل المرور بسرعة أمام مناظر الجُرف والخليج، دخلت مقصفاً مُظلماً مزيَّناً بألواح خشبية. إنها امرأة هيفاء في الثامنة والثلاثين من عمرها، عيناها خضراوان، شعرها أحمر مُسدل على كتفيها، أنفها مستقيم تماماً وطبيعي يثير حسد أنجيلينا جولي. كان هذا اليوم ذكرى مولدها، ولكن البطاقة الوحيدة التي وجدتها في صندوق بريدها في الصباح كانت دعوة من توني أولسن لإحياء ذكرى إعدام روزماري توماس. يا الله! لماذا الاحتفاء بإعدام روزماري وليس بذكرى مولدها؟ بدا الأمر غريباً، وأقلقها الأمر برمّته.

لقد فكّرت في كريستوفر توماس وببشائر النجاح التي كانت تنتظرها جرّاء علاقتها به ذات مرة، وفي كيفيّة عدم تحقّق أي منها. تبّاً، لقد لعبت دورها، ولعبته بشكل جيد، وساعدته على نَقل الأعمال الفنّية التي كان يسرقها بعناية من المتحف وبيعها في الخارج. كان يُفترض بها جَني مقدار كبير من المال وعيش حياة ترَف. ألم تكن تستحق أكثر من ذلك؟

أشاحت هايل بنظرها عن المقصف وأغمضت عينَيها.

لقد فرّت بعد مقتل كريستوفر، وكان عليها الكذب على نحو دنيء كي لا يتم ربطها بالسرقات التي ساهمت بها.

وها هي الآن مستعدّة للعودة إلى خِدَعها القديمة، محاولةً كَسب عَيشها بما يتيسّر لها من نَشل الجيوب، لا بل أسوأ من ذلك.

أخذت نفَساً عميقاً، وتحققت من الساعة؛ إنها الرابعة فقط، والوقت مُبكّر قليلاً. وكما توقّعت، كان يجلس عدد قليل من الأشخاص الذين يرثى لحالهم إلى طاولات صغيرة، ولا يوجد أحد منهم في المقصف. جيد. توجّهت نحو المقصف؛ وُجهتها على أي حال. كان صاحب المقصف واقفاً وراء المشرب المصنوع من خشب الكرز على شكل

www.ibtesama.com

هلال، مرتدياً سروالاً أسود نظيفاً ومرتّباً، وقميصاً أبيض أنيق المظهر وقصير الكمّين، ويبتسم ابتسامة عريضة. كان قد رأى كل شيء، ولكنه أحب ما رأى، لذلك سمح لهذه الابتسامة الموجَّهة إليها بالبقاء والتعمّق خلال دنوّها منه لتصبح أمراً حقيقياً. كان متوسطَ الطول إذ يبلغ طوله خمس أقدام ونصف تقريباً، ومظهره رياضياً. راقبت عضلات ساعدَيه خلال قيامه برفع الكؤوس عن المشرب وترتيبها بفعالية.

بادلته الابتسامة وجلست على كرسيّ مشرب وطلبت شراباً. كانت بحاجة إلى تحسين وضعها المالي لأجل ما ينتظرها.

تناولت محتوى كأسها، ووقفت، وعادت بخفّة إلى الرَّدهة، مارّةً بالسياح المبتهجين العائدين من الخليج، جائبين صالات العرض ومتاجر التُّحَف الأثرية في هاف مون باي. يجب عليكِ أن تتنفّسي... تنفّسي.

ركزت نظرها على انتفاخ الجَيب الأمامية لقميص تِنس أبيض باهظ الثمن يرتديه رجل واقفٌ إلى يمينها. سحبت نسخة من مجلة بيبلُ من حقيبة كتفها، وتعثّرت وارتطمت به، ضاغطةً الجزء المسطَّح للمجلة على صدره اللَّحمي بيد ومؤدّيةً باليد الأخرى عملية نَشل بارعة.

"آسفة!"، وابتسمت بعُذوبة، ثمّ ضغطت شفتَيها عليه لمدة أطول من المطلوب.

ابتسم ابتسامة عريضة مستمتعاً بذلك وقال: "لا بأس...".

مستمرّة في الابتسام، أدخلت محفظة نقوده في حقيبة كتفها وابتعدت. ثمّ نشلت ساعة رولِكس من حقيبة يد غير مُغلَقة الزّمام، وهاتف آي فون محمولاً كان موضوعاً على طرف طاولة، ومحفظة نقود أخرى من جَيب على الموضة. إنها محصِّلة جيدة في دقائق قليلة من العمل. ولكن رائحة الثراء العطرية المميَّزة كانت مرتبطة بحاسة اللمس هنا، وأعين الرجال جَشعة. كان عليها الاستمتاع بكل ذلك ذات مرة، ولكن لم يسبق لها أن استمتعت بأفضل مما توافر لها، وقد حملها ذلك

www.ibtesama.com

على الشعور بقوة كبيرة، ولكن، ليس الآن.

كانت هيل تقيم في موتيل إل تورو، وهو مبنى مؤلف من طابقَين، وذو قرميد أحمر، ويبدو أكثر تكلفة مما هو عليه الحال في الواقع. ركنت سيارتها تحت شجرة، وصعدت الدَّرَج الخارجي.

متنهّدةً بسأم، فتحت باب غرفتها؛ كانت تتوق إلى أخذ حمّام ساخن وارتداء سروال الجينز القديم، على أن تقرر بعد ذلك الخطوة التالية. وبعد فتح الباب، حملت بيدها جهازاً متلقّياً بحجم مفتاح، وراقبته: كان يومض بلون أحمر داكن، فالتفتت في الاتجاهات كلها على نحو مفاجئ. كان هناك شخص ما في غرفتها، وربما لا يزال موجوداً. لم تكن الخادمة لأنها أوقفت خدمات تدبير شؤون المنزل. لقد شغّل الجهازُ القارئُ للضغط الرقيق كالورقة، وهو بسماكة قطعة عشرة سنتات، الضوءَ الوامض، وكانت قد دسّته في مكان منخفض من الناحية الداخلية للباب. لا يومض الضوء الأحمر عندما يفتح أحدهم الباب للمرة الأولى. لذلك، من غير المُفتَرَض أن يومض هذا الضوء إلا إذا فُتح الباب للمرة الثانية، أو الثالثة، أو أكثر.

ملتزمةً الهدوء، وضعت القارئ في جَيبها وفتحت الباب قليلاً من دون إحداث أي ضجيج؛ كانت قد زيّتت المفصّلات عندما تفحّصتها. كانت أشعة شمس بعد الظهر الطويلة ترسم مستطيلاً ذهبياً داخل الغرفة، تاركةً المساحة المتبقّية في ظلال غير متجانسة.

كانت خزانة الملابس هي الأقرب إليها، وفي بابها نافذة زجاجية بيضاوية الشكل، فاختلست النظر من خلالها - لم تكن قد علّقت أي ملابس - وكان باب الحمام مُغلَقاً.

www.ibtesama.com

14

أندرو أف. غولي

قال أحدهم: "كنت أعرف أن عودتك حتميّة".

توقف قلبها عن الخفقان من الذعر؛ لم يكن بالإمكان تجنّب الأمر؛ فوقفت قليلاً بين الحمّام وخزانة الملابس.

أضاف الرجل: "ادخُلي يا هايل".

فدخلت ورأت رجلاً جالساً إلى الطاولة، وقد تطلّبها الأمر لحظات لمعرفة أنه جون نان، التحري الذي كان قد استجوبها قبل سنوات حول اختفاء كريستوفر.

في الواقع، لقد شعرت بالارتياح في الواقع. كان قد غادر كرسيّه الهزّاز ولم يعُد يشكل خطراً على أحد بل على نفسه. سألته: "ماذا تفعل في غرفتي؟ سأتصل بالشرطة".

ضحك نان وقال: "أجل، افعلي ذلك يا حبيبتي، وفي أثناء قيامك بذلك، قد ترغبين في إخبارهم عن الرولِكس المسروقة في حقيبة يدك".

سألت في سرّها: كيف عرف؟

قالت: "ماذا تريد؟". محاولةً إبقاء صوتها هادئاً.

قال: "اجلسي وارتاحي". مومِئاً إلى السرير.

جلست ولم تقُل شيئاً، ثمّ نظرت إليه ولاحظت آثار تقدمه بالعمر على وجهه مقارنةً مع المرة الأخيرة التي رأته فيها. لقد بدت عيناه متعبتَين ومنتفختَين، وأصبحت الخطوط بين حاجبَيه أكثر عُمقاً.

قال نان: "كنت أتتبّعك منذ مدة، سرقة، ألاعيب الثقة، كل تلك

www.ibtesama.com

الأمور الجيدة التي تقومين بها".

استطاع نان ملاحظة الرعشة في صوتها عندما قالت: "ماذا تريد مني؟".

"ما زال لديّ بعض الأسئلة عن عشيقك المتوفّى، كريستوفر توماس".

"هل أنت مجنون، مضى على ذلك اثنا عشر عاماً، لقد انتهى الأمر. إنه مَيت؛ إنها مَيتة. ليس باستطاعتك إحياء أشباح يا نان". وجفّ حلقها من الخوف.

"ليست الأشباح التي أحاول إحياءها. على أي حال، لو كنت مكانك، لجارَيتُ أي شرطي لديه أسئلة يطرحها عليّ، حتى لو كان شرطياً سابقاً فقد مصداقيته...".

أومأت إليه لمتابعة حديثه، فقال: "اسمعي، كان توماس زير نساء، ولكنه لم يختَر أي امرأة. كان هناكِ على الدوام نوع ما يفضّله: أنيقات، مثقّفات، باستطاعته أن يكون واثقاً من عدم قيامهنّ بابتزازه. اعذري ملاحظتي الجارحة، ولكنك لم تكوني من هذا النّوع قطّ. إذاً، لماذا يتورط مع جوّالة تافهة ومحتالة مثلك؟".

سألته بينما كانت تفتح قنينة ماء أصبحت ساخنة في حقيبتها: "هل كان ذلك تقريراً أم سؤالاً؟".

"المخدرات؟".

لم تُجِبه بأي شيء.

"لديّ معلومات كافية عنك تجعلني أحرص على سجنك إذا لم تتعاوني معي، وعندما تخرجين سوف يبدو وجهك الجميل هذا كإطار دولاب قديم ومتهالك. ربما فقدتُ مصداقيتي، ولكن لا يزال لديّ قليل من الأصدقاء في مركز شرطة سان فرانسيسكو".

حاولت تهدئة نفسها قائلة في سرّها: لم يستطع القيام بشيء. كان

www.ibtesama.com

فاشلاً. لقد أُقفلت القضية.

"أتعلمين؟ ربما تكون هناك كاميرات غير مشغّلة في الريتز...".

"ماذا تريد أن تعرف؟".

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

15

جاي. أيه. جانس

عندما غادر نان، كانت هايل واقفة وسط غرفتها تنظر إلى انعكاس صورتها على مرآة بخِسة الثمن متسائلة؛ لم يُعجبها ما رأته. لقد مرّ وقت طويل على حياتها السابقة. كانت قد بذلت قُصارى جهدها لتنسى ما حدث، ولكن، ها هو نان يعيد فتح كل ما أغلقت عليه من ماضيها، مستخدماً أي معلومة تُعرّضها للشُّبهة لضمان تعاونها معه. كانت لا تزال غير واثقة من مقدار الأمور المتعلقة بحياتها والتي تَمكّن من كشف النقاب عنها.

أكان يتبعها مراقباً ما فعلته في الريتز؟

لا بد من أنه قام بذلك. على أي حال، لم يعُد بإمكانها البقاء في هذه الغرفة. كانت تتوقّع منه أن ينتظرها في الخارج، ولكن عليها الخروج مرة أخرى.

حاجبةً نفسها عن الأنظار، رافعةً كتفَيها حانيةً رأسها نحو الأمام، عبرت الطريق بسرعة حتى وصلت إلى سيارتها.

عندما جلست خلف المقود، شغلت المحرك، وضغطت بقدمها على دواسة الوقود.

قالت في سرّها آمرةً: تمهّلي. كانت بحاجة إلى التركيز على قيادتها خلال انطلاقها بأقصى سرعة في الحيّ كما لو أنها تشارك في سباق فورمولا وان. خرجت من الحيّ المجاور مع سلسلة من المناورات لإخراج الدخان من عادم السيارة وتضليل أي متعقّبين، إذ إنّه لم يكن

www.ibtesama.com

باستطاعتها تحمّل قيام أحدهم بتتبّعها.

كانت تحاكي شخصاً لا يبالي بالعالم، فأنزلت زجاج نافذتها وسمحت للهواء الرّطِب الذي يحمل معه رائحة المحيط بتطيّر شعرها الأحمر الطويل، مُسنِدةً ظهرها إلى مقعدها مسترخية؛ أو متظاهرة بالاسترخاء.

قالت في سرّها: أُعدمت روزماري توماس بسبب قتل زوجها منذ عشر سنوات. كيف يحاول ذلك التحرّي بعد كل هذه السنوات استغلالي للكشف عن وقائع مرتبطة بماضي كريس، في حين أن توني أولسن هو من دعاني إلى المشاركة في إحياء تلك الذكرى، عِلماً أنني لم أكن قطّ صديقة روزماري وكنت أعبث مع زوجها؟

لماذا؟

حدّقت هايل إلى الطريق.

من يستفيد من فتح كل هذه الجراح القديمة؟

فكرت مجدّداً في كريس؛ كانت تربطهما علاقة عمل ولا سبب يدعوها لقتله. ولكن بالطبع، لقد كذبت في هذا الشأن على رجال الشرطة - وعلى نفسها - عندما أفادت بأن لا علاقة عمل تربطهما، في حين أن باستطاعتها التخلّي عنه بسهولة.

وتنهدت.

لم يبدُ الأمر كما لو أنها ما زالت مُغرَمة بكريستوفر توماس بعد كل هذه السنوات، ولكنها لم تنسَ بعد ما فعله بها. لقد جرّدها الرجل من كل شيء، ولا يزال عليها تعويض تلك الخسارة.

ولكن لماذا إحياء ذكرى إعدام روزماري؟ ما الهدف من وراء ذلك؟

فكرت مرة أخرى في نان؛ إن آخر ما بلغها عنه هو أنه كان يتناول الشراب حتّى الثمالة وبشكل مفرط، وتخلّت عنه زوجته وتزوّجت

www.ibtesama.com

بمحامي الزوجَين توماس للشؤون المالية.

لماذا لا يستطيع نان ترك كل شيء راقداً مع الزوجَين توماس؟ ماذا لو أخلّ بوعده وأُدخِلت السجن؟

دخلت أحد فروع مطعم برغر كينغ، وتوقفت في الهواء الطلق. لقد شعرت فجأة بأنها تتضوّر جوعاً وبحاجة إلى وقت للتفكير. كانت بحاجة إلى العودة بالذاكرة إلى كل ما تستطيع تذكّره عن الأشخاص الذين كانوا متورّطين بأي طريقة بمقتل كريس توماس.

طلبت شطيرة برغر من دون جبنة مع دايت كوك. فهذا الأمر يحملها على الشعور أكثر فأكثر بأنها مرت بأوقات صعبة.

لقد كان لمقتل كريس توماس وإعدام روزماري أثر سيّئ في حياة عدد كبير من الأشخاص ذوي المستقبل الواعد الذين لم يعودوا صغار السنّ، أو فقدوا مستقبلهم الواعد؛ بمن فيهم هي؛ هي بصفة خاصة.

ركنت سيارتها على جانب الشارع وتناولت البرغر، مفكرةً في كريستوفر توماس والمرأة التي كانت عشيقة كريس من بعدها؛ جوستين أوليغار، القيّمة المشاركة في المتحف.

ردّدت في سرّها: على الأقل، حصلت تلك الساقطة على وظيفة دائمة.

ما الذي حصلتُ عليه؟

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

يوميات جون نان

أندرو أف. غولي

تبقّى على حلول الذكرى يومان اثنان فقط ولم أكن أملك بعد القدر الكافي من المُعطيات، ولكنني شعرت بأنني على وشك اكتشاف الحقيقة. لا يُقلقنّكم كيفية قيامي بالكشف عنها، فكل ما أعرفه هو أن ذلك لن يحدث في قاعة محكمة، ولن تنقضّ الصحافة كالنسور، ولن يكون هناك مساعد أعلى للنائب العام يتحدث عن كيفية قيام الولاية بحماية نفسها من مثيلات روزماري توماس.

فمنذ سنوات، وعندما تخطى الألم قدرتي على الاحتمال، كنت أنزل إلى النفَق وأقف على طرف الرصيف المخصّص للركّاب، متسائلاً ما إذا كنت أتحلّى بالشّجاعة للقيام بالخطوة الأخيرة مع اقتراب القطار. فللسبب عينه لا أزال أقصد المقاصف، وهناك مقصف على بُعد مجمّع سكنيّ واحد من المكان الذي أقيم فيه. مكان خامل، مُظلم، فارغ تقريباً، تفوح منه رائحة غريبة. وهناك على الدوام رجل أسود موشوم، ضخم البنية، دائماً يقف خلف المشرب ملمّعاً الكؤوس من دون أن يتفوّه بأيّ كلمةٍ. فطلبتُ شراباً مع مكعَّبات ثلج، وشممتُ رائحة شراب المواساة تلك، وتجرّأتُ على تناول جرعة. قبل أن ينقذني توني أولسن، وكلما شعرتُ بذلك الفراغ الذي يهدد بتمزيق روحي، كان الشراب يساعدني باستمرار على فقدان الحس.

وبجلوسي إلى المشرب اللماع، والبُخار يغمر الناحية الخارجية للكأس، ومكعّبات الثلج تتلألأ، حملني الشَّوق إلى الشراب، ولكنني

www.ibtesama.com

لم أكن أعاقره. كنت أقوم بالتحديق إليه فحسب، مدركاً أن تناول تلك الكأس سيعيدني إلى الحفرة التي لن أخرج منها أبداً.

في تلك الليلة، حدّقت إلى الكأس لمدة طويلة ورأيت انعكاساً باهتاً لنفسي يحدّق إليّ. عادةً، تنضم بقيّة الأشباح الراقصة إلى العرض - كلهم: سارة، روزماري، توني، كريس توماس - كالممثلين الذين يأخدون أماكنهم على خشبة المسرح.

من سيلاحقني الليلة؟

هل تعرفون من رأيت الليلة؟ والدي. رأيته عندما كان في مثل سنّي، مُتعَباً وموجوداً على سكة حديد ملاهي الإدمان.

نهضتُ، وارتديتُ سترتي، وخرجتُ إلى الليل.

عندما وصلت إلى منزلي، مررت بجانبِ متسوّلٍ وسلكت المدخل المؤدي إلى شقتي الصغيرة. لم أعتد فتح النوافذ قطّ، وحالما أفتح الباب، تستقبلني باستمرار قساوة الزمن المنقضي. فخلعتُ حذائي واستلقيتُ على الأريكة، وبعد لحظات رنّ الهاتف، وأجبت.

سمعت أحدهم يسأل وقد بدا التّعب واضحاً من خلال صوته: "جون نان؟".

"من المتكلّم؟".

"هانك زاكاريوس".

كنت أكنّ الاحترام لزاكاريوس، ولكنني لم أكن أعرفه جيداً. قلت: "غادرتُ قسم شرطة لوس أنجلوس منذ سنوات، لذلك إذا كان هذا الاتصال في وقت متأخر من الليل يتعلق بقصة ما، فلا يمكنني مساعدتك".

"ليس هذا سبب اتصالي بك. انظر، أحتاج إلى التحدث إليك. أنا بحاجة إلى المساعدة، وأظنّ أن باستطاعتك القيام بذلك".

"هل أنت ثمِل؟ يبدو صوتك غريباً".

www.ibtesama.com

"تلقيتُ لكمة قوية على فمي، هذا هو السبب".

"ماذا حدث؟".

قال: "أخبرك عندما أراك". ثمّ أعطاني عنوانه.

لم يكن لديّ أي شيء أخسره. فمن الأفضل القيام بذلك بدلاً من المرور بليلة أخرى لامتناهية من تذكّر الإعدام، ويوم تخلّي سارة عني، وكل خطأ ارتكبتُه، وكل ندم أشعر به. استقللت سيارة أجرة إلى شقة زاكاريوس؛ هي شقة متداعية تفوح منها رائحة مماثلة لرائحة الكاري.

لم يكن زاكاريوس عند الباب في انتظاري، ولكن الباب لم يكن مُقفَلاً، فدخلتُ. كان يجلس مُحدَودِب الظّهر وقد ظهرت على وجهه أمارات الألم، كما بدت عيناه منتفختين.

سألته: "ماذا حلّ بك؟". وعندما نظرتُ إليه عن قُرب، عرفتُ أن أنفه مكسور وقد تمّت معالجته. أضفتُ قائلاً: "من فعل هذا؟".

ارتشف زاكاريوس الشراب ثمّ قال: "لا أعرف. كان يضع قناعاً".

"هل كان لصاً؟".

"لما اتصلتُ بك لو أنني تعرّضت للسرقة يا نان، لَذهبتُ إلى الشرطة مباشَرةً". كان يتنفس من فمه، واستمرّ بتناول كأسه وارتشاف الشراب منها.

"حسناً يا هانك، لماذا اتصلتَ بي؟". طرحتُ هذا السؤال وجلستُ على الأريكة. كانت هناك صورة كبيرة لتشي غيفارا مُعلّقة فوق المِدفأة العاملة على الغاز، والتي يبدو أنها لم تُستخدَم منذ سنوات. لقد تطلّب الأمر لحظات ليتمكن زاكاريوس من استجماع أفكاره.

قال أخيراً: "تلقّيت دعوة لحضور تلك الذكرى".

"وماذا بعد؟".

"تعرف أنها كانت بريئة".

ما الذي يريد زاكاريوس أن يُطلعني عليه أيضاً؟ "أنا على ثقة تامة

www.ibtesama.com

بأنها بريئة... الآن".

"الآن؟ الآن الذي لا يمكن أن يعود عليها بأي فائدة؟ لماذا لم تتعاون معي؟".

"كان الدليل يشير إليها. هذا ما استُدعيتُ لأشهد به في المحكمة، وهذا ما قمتُ به. وبعد ذلك، ذهب كل شيء في اتجاه واحد. لقد حاولتُ إيقافه ولكنني لم أستطع. ما زلت أدفع ثمن خطأي يا زاكاريوس".

لم يعلّق على ما قلتُه فسألته: "إذاً، ماذا حدث لك؟".

قال: "كنت أطرح أسئلة مرة ثانية حول القضية"، حاول الابتسام ثمّ أضاف: "لقد عثرتُ على ذلك الرجل الذي كان يعمل في جهاز الأمن في ماكفول عندما اختفى كريس توماس. كان شرطياً ذات مرة؛ أرتي روبي".

لقد سمعتُ بروبي؛ كان قد طُرد من الشرطة بسبب سوء سلوكه، ولكنني لم أكن أعرف أنه عمل في ماكفول. لا حاجة بي إلى قول المزيد عن مهاراتي الاستقصائية. علقتُ قائلاً: "إذاً، لقد وظّف متحف ماكفول أرت ميوزيوم شرطياً فاسداً لتوفير الأمن. ألم يُجروا تحريات حول الرجل في ذلك الوقت؟".

هز زاكاريوس رأسه وقال: "مثير للدهشة، أليس كذلك؟".

"إذاً، من الذي فعل هذا الأمر بك؟".

"لا أعرف. لم يكن روبي سعيداً بالأسئلة التي طرحتها عليه، وبعد ساعة تقريباً، كنت عائداً إلى المنزل عندما وجّه إليّ شخص مقنّع لكمةً على وجهي".

"تظن أن لروبي صلةً بذلك؟".

أسند زاكاريوس ظهره إلى الكرسي وقال: "لا أعرف. كما تعلم، كانت لكريس أنواع الصلات كافةً. فالشائعات حقيقية، أنا على ثقة تامة

www.ibtesama.com

بذلك. وتكمن المشكلة في أن كريس لم يفهم قطّ أنه يجب عدم العبَث مع أولئك الأشخاص. لديهم طريقة للتعاطي مع الذين لا يلتزمون بتعهّداتهم".

"وما صلة روبي بكل هذا...؟".

"يعود الأمر إليك لاكتشاف ذلك أيها التحري".

كان حدسي الأول يدفعني إلى تعقُّب أرتي، وكسر ذراعه وأضلُعه. كنت أكره الطلقات النارية، وأكره رجال الشرطة الفاسدين. ولكن هناك أكثر من طريقة واحدة لسلخ جلد الهرّ.

لقد تركتُ لها رسالة في غرفتها في الفندق، ثمّ توجهتُ بسيارتي إلى دانكين دوناتس وانتظرت. حضرت إلى المكان بعد ساعة؛ لم تكن هايل قد تغيّرت كثيراً في السنوات العشر السابقة، ولكن عينَيها كانتا أكثر تهكماً مما كانتا عليه في شبابها. اقتربت منّي وجلست إلى المائدة قُبالتي.

سألتني: "ماذا تريد؟".

قلت لها مبتسماً: "زيارة نموذجية لامرأة، آسف بشأن الرسالة، ولكنني ظننت أن هذه الطريقة أفضل من التسلل إلى غرفتك في الفندق مرّة أخرى. إذاً، كيف حالك؟".

قالت متنهّدةً: "مُتعَبة من تعرّضي للابتزاز من قِبل شرطي سابق فقد مصداقيته وتخلّى عنه العالم. اعذُرني، ولكن عليّ الحصول على دونَت. تلك القشدة الحامضة مُدهشة. هل تريد واحدة؟".

لقد أعجبتني جسارتها. وعادت بعد دقائق قليلة حاملةً كوب قهوة ودونَت.

"لقد قمتُ بتحرّياتي يا هايل، وإذا كنت تريدين تضييع عامَين في السجن بسبب ما فعلتِه ذلك اليوم، يمكنني إيجاد بعض التُهَم الأخرى التي تُبقيك فيه لمدة طويلة: مخطط الاحتيال البريدي في نيو مكسيكو؛

www.ibtesama.com

سائق الشاحنة المُسنّ والثري في مونتانا الذي مات بسبب نوبة قلبية بعد شهر من زواجك، وصفقاتك مع كريس توماس المتمثلة بالاتجار بأعمال فنّية مسروقة... يمكنني سرد المزيد والمزيد".

واصلت مضغ الدونَت، وابتسمت بعد ذلك قائلةً: "سيكون عليك المرور بوقت عصيب لإثبات هذه التُّهَم".

"ربما تمكنتُ من إثباتها، ولكن، يمكنني جعل حياتك شديدة التعقيد". لم تقُل شيئاً، لذلك تابع قائلاً، "أنا بحاجة إلى بعض المعلومات يا هايل، وأنت الوحيدة التي أعرف أنها تستطيع الحصول عليها. لسوء الحظ، ربما يتطلب الأمر إغواء رجل مُسنّ متملّق يدعى...".

"لستَ مضطراً إلى ابتزازي لإغواء رجل مُسنّ كريه الرائحة". سكتت قليلاً ثم أضافت: "سأطلب بالتأكيد سِعري القياسي".

ألقيتُ مغلّفاً على الطاولة يحتوي على 400 دولار وقلت، "جئتُ مستعداً".

www.ibtesama.com

16

أر. أل. ستاين

بدت وهي جالسةٌ على مقعد المشرب كما لو أنها تنتمي إلى ذلك المكان؛ كما لو أنها وُلدت هناك.

ألقيت نظرة على شعرها الأحمر الطويل من المدخل، ورأيتُ ترهّل كتفَيها في أثناء قيامها بالتقاط الكأس، وراقبتُها تحرّك مكعَّب الثلج مُحدِثاً قعقعة. تناولت رشفة من الشراب ولم تتبدّل سِمات وجهها.

لقد أدركتُ أنها تراني من المرآة الموضوعة وراء المشرب.

قلتُ في سرّي: أرتي، لا تتورط. لم أكن في مِزاج يسمح لي بأن أكون لطيفاً مع أي شخص، ولا حتى التظاهر باللطف.

إذاً، لماذا لا أزال في ذلك المكان؟

لماذا لا أفعل أي شيء؟

كان لديّ ذلك الشعور بالهلَع كلما استيقظتُ كل صباح. كما تعلمون، الشعور بذلك الصخر الثقيل المُطبِق على صدركم الذي يحملكم على وضع الوسائد فوق رؤوسكم والصراخ حتى ينقطع نفَسكم.

أم إنكم ربما لا تعرفون ذلك الشعور؟!

حسناً. لقد رأتني أراقبها، وحاولتُ تفحّص رد فعلها في انعكاس صورتها على المرآة. ولكن لافتة سام أدامس المضاءة بالنيون كانت تلقي توهّجاً أزرق متذبذباً على وجهها.

ضرب الرجل الجالس على المقعد المجاور لها بمرفقه ذراعها،

www.ibtesama.com

لكنه لم يتسبب بانسكاب أي نقطة من كأسها. التفتت بعينَيها الخضراوَين إليه، ورمقته بنظرة محدِّقة كنت قد رأيتها مرات قليلة. رفع الرجل ياقة قميصه كما لو أنه شعر بالبرودة فجأةً، وابتعد عنها.

حان الوقت لمزيد من الأكاذيب.

هذه هي مقاربتي لليوم.

ما هو فيلمي السينمائي المفضَّل؟ كاسبو المال بالاحتيال.

لستُ واثقاً مما حملني على التفكير في ذلك خلال دَوسي على سيجارة مالبورو لم أُنهِ تدخينها وتوجهي نحو المشرب المتوهّج بأضواء النيون.

"مرحباً. هل المقعد محجوز؟".

استدارت نحوي ورمقعتني بعينيها الباردتين قائلةً: "هل هذا أفضل ما يمكنك القيام به؟". كان صوتها عميقاً وأجشَّ، صوتَ مدخِّنة، ولكنها لم تلتفت إلى الوراء.

"أنا بادئ بطيء، ولكنني أنتهي بشكل جيد".

أغمضت عينَيها وضحكت ضحكةً ناعمةً.

كانت ترتدي طقماً مخطّطاً باللون الكحليّ وقميصها مفتوح الأزرار العلوية ما كشف عن صدرها. كما كشفت التنورة عن ساقين نحيلتين إذ كانت تجلس واضعةً ساقاً على أخرى.

يا للروعة!

وضعت الكأس من يدها تاركة على حافتها أثرَ حمرةَ شفتيها المائلة إلى الحمرة.

حاولتُ الابتسام خلال تمعّني بها: فرونيكا لايك؟ نيكول كيدمان؟ لديها نظراتهما وحركاتهما، ولكن ينقصها أمر ما.

ربما أعتقد أن هناك أمراً ما يفتقر إليه الجميع. إنها مشكلتي، أليس كذلك؟

www.ibtesama.com

جلسـت على المقعد بجانبها. هناك أمر مألوف في شـأنها، ولكن، ربما أعتقد أن هناك أمراً مألوفاً في كل امرأة ألتقيها. مَن يعلم؟ وأومأتُ إلى كأسها الفارغ وقلت: "أأطلب لك كأساً أخرى؟".

نظرت إليّ بعينيها الخضراوين وقالت: "لقد أقنعتَني بذلك".

"أجل، هذا أنا. لديّ أسلوب في الكلام".

أرتي، لا تبدُ قاسياً.

فلوّحتُ للساقي؛ وهو فتًى أشقر الشعر في الثانية عشرة من العمر تقريباً.

ضحكـت تلـك الضحكـة الناعمة مجدّداً وقالت: "مـا الذي تُجيده أيضاً بأسلوبك؟".

ضحكـتُ؛ لقـد بـدا الأمر غريباً بالنسبة إليّ. أظن أنني لم أضحك منذ مدة طويلة.

وهكذا، تناولنا عدداً قليلاً من الكؤوس، وربما أكثر من ذلك. فأنا من مُحبّي الشراب أيضاً.

بقينا هناك مدّة ساعتَين. وفيمَ كُنت أفكر؟ ربما كنت أفكر في أنني لا أملك ما يكفي من المال لتسـديد الفاتورة. كنت أفكر في الاسـتئذان للمغادرة والخروج من الباب.

وهكـذا، تخيّلـوا دهشـتي عندما انحنت اتجاهي وضغطت بشـفتيها على أُذُني. كانت تفوح منها رائحة البرتقال والأزهار. قالت: "هل يمكننا الذهاب إلى منزلك؟".

لـم أتحـرك للحظـات عـدة. لم أكن أتوقع ذلك. فباسـتطاعة معظم النساء أن يعرفنَ على الفَور كم أنا فاشل.

نظرتُ إليها شـزَراً محاولاً اتخاذ قرار في شـأن ما إذا كانت تعني ما تقوله.

ارتعشـت وقالـت: "ليلـة السـبت هـي الليلـة الأكثـر إثارة لمشـاعر

www.ibtesama.com

الوحدة بين ليالي الأسبوع، أليس كذلك؟".

"لكنه يوم الجمعة".

مسّت شفتاها عُنُقي وقالت: "لنتظاهر بأنه يوم السبت".

قلت في سرّي: لستُ بحاجة إلى هذا الأمر. فأنا ضعيف وسأكون أول من يُقرّ بذلك. فإذا اقتربت شابّة مني مع كل العطر والهمسات الرقيقة، فماذا أفعل؟ أأقول لا؟

خرجنا بعد ذلك إلى شارع برانان ستريت وأوقفنا سيارة أجرة.

خلال صعودنا الدرَج إلى شقتي، شعرتُ بإثارة جميلة وبقليل من الحرارة والذُّهول.

أقفلتُ الباب وراءنا، وأضأتُ المصباح الموضوع على الطاولة، ومددتُ يدي لأساعدها على خلع سترتها. فألقت نظرة سريعة على أرجاء المكان. كانت لا تزال في ظلمة المدخل، ولكنني تمكنت من التحقق من أنها لا تبتسم، وعرفتُ الكلمة التي تفكر فيها. رَثّ.

"أرتي، قلتَ إن لديك شقة في الإمباركاديرو".

قلتُ رافعاً يدي اليمنى: "أنا لا أكذب، يجري ترميمها".

"أتلجأ إلى هذا المستودع الذي يتم الوصول إليه عبر الدرَج للقيام بمهمتك الكبرى؟ يبدو لي مسكوناً".

ضحكتُ ضحكة مصطنَعة وقلت: "هل جئنا إلى هنا للتحدث عن العقارات؟".

حاولتُ إعادة الصفاء إلى عقلي، إذ إنني لم أحب الطريقةَ التي تجري بها الأمور. لم يكن يُفترض بي تناول الشراب. لم أكن قادراً على التفكير بشكل جيّد. وعدتُ خطوات إلى الوراء، كما تعلمون، لتقييم الوضع.

خلعت سترتها بنفسها وطوَتها بترتيب واضعةً إياها على المقعد البالي. سألت: "هل تُدعى أرتي حقاً؟". وكانت أساورها الفضية تُحدِث

www.ibtesama.com

صليلاً مع التربيت بيدَيها على جَنبَيها. كانت تضع ستة أو سبعة أساور حول معصمها.

"أجل، أدعى أرتي. هل تريدينني أن أُريك رخصة القيادة؟".

قالت نعم في الواقع، فأريتها إياها.

تمعّنت برخصة القيادة كما لو أنها تستعد للخضوع لامتحان يتعلّق بها، وقالت: "آرثر روبي. أنت متزوّج". فهززتُ كتفَيّ.

ارتعشت مجدّداً ولكن هذه المرة لم ترتعش من البرودة كما أعتقد. وتقدمت خطوة وعانقتني.

أفضل بقليل. غمرتُها بذراعَيّ. وتنهّدت خلال ملامستها. ومن ثم... شرعت بطرح أسئلة عديدةٍ عليّ!

كان الأمر غريباً لأنني سمعتُ نفسي أُجيب بالرغم من عدم رغبتي في ذلك، ولكنني لم أتمكن من التوقف، ودارت الغرفة من حَولي.

اندسسنا في السرير وأقمنا علاقة، ولكنها استمرت بطرح الأسئلة عليّ ولم تكفّ الغرفة اللعينة عن الدوران.

إذاً، كيف كانت العلاقة؟ ليست سيّئة كما أعتقد. أعني أن إقامة علاقة حميمية مع شخص غريب تماماً جيّدة على الدوام، أليس كذلك؟ حسناً، ربما كنتُ مشتَّت الانتباه قليلاً أو أسوأ من ذلك، ولكن رأسي لم يكن في حالة جيدة، وكنت على ثقة تامة بأنها لم تلاحظ الأمر.

لقد مضى وقت طويل على حدوث أمر جيد لي، وواصلتُ التفكير في ما يتطلّبه الأمر لتبدّل الحظ، ومواجهتكم أمراً لم تتوقعوا حدوثه.

الأمر التالي الذي كنت واعياً على حدوثه هو أنها كانت مرتديةً ملابسها وتمشّط شعرها، ثمّ ارتدت سترتها. نهضتُ من السرير بالرغم من فقدان توازني، وتوجهتُ لفتح الباب مستعداً لتوديعها بحنان قائلاً: "سأتصل بك غداً". أو ما شابه ذلك.

ولكن وجهها تبدل حينذاك ولم تتبعني إلى الباب. وشبكت ذراعَيها

www.ibtesama.com

على صدرها. كان باستطاعتي رؤية وجهها مُحمرّاً بالرغم من الضوء الخافت. هل هو ظل أم بقعة أحمر شفاه على ذقنها؟

مدت يدها بقوة قائلةً بهدوء: "أريد استعادة السِّوار".

طرفت بعينيّ مرات قليلة وسألت: "السِّوار؟".

أحدثت صليلاً عندما حرّكت ذراعها كما لو أنها تريد أن تُريني ما السِّوار، وقالت: "كنت أضع ستّة أساور، لقد وضعتُها على الطاولة بجانب سريرك عندما خلعتُ ملابسي. هل تظن أنني لا أُجيد العدّ؟".

هززتُ كتفيّ، وغضّنتُ جبيني، ومثّلتُ دوري البريء كما لو أنني لا أستوعب ما تقوله.

"هل خبّأته عندما كنا في السرير؟ أعطني إياه فحسب". ورمقتني بتلك النظرة المحدّقة الباردة.

نظرت إليها شزَراً قائلاً: "أتعتقدين أنني لص؟".

انتابني ذلك الشعور، ذلك الألم الحاد في صدري، وكان فكّي مشدوداً. في المرة الأولى، ظننتُ أنني أتعرّض لنوبة قلبية. وبعد ذلك، عرفتُ ما يحدث لي، وعرفتُ أنه أمر يتعيّن عليّ التعاطي معه.

"إنه سِوار كارتييه مقلّد قديم الطراز. لن أغادر من دونه".

"أنت مجنونة. لا سِوار لديّ". خفق قلبي بقوة. وتخيّلتُ المكان الذي دسستُ فيه السِّوار بين الفراش وإطار السرير.

قالت متنهّدَةً كممثّلة سيئة: "كُفّ عن الهراء. هل تعتقد أنني لن أتصل بالشرطة؟".

لم أكن أظن أنها ستقوم بذلك، ولكنها قالت: "الشرطة؟"، وأُفلتت صرخةٌ غاضبة من حَلقي، وازدادت حدة الألم في صدري، وشعرتُ حقاً بخفقان قلبي السريع وأنا أصرخ قائلاً: "لستُ لصاً".

خطت خطوتَين في اتجاهي واضعةً يديها على جنبيها وقالت: "أظن أنك لص. أعطِني السِّوار. أعطني السوار أيها اللص".

www.ibtesama.com

لم تُصدر أي صوت عندما صفعتُها على وجهها، بل أخذت تطرف بعينيها وتحرّك فكها نحو الأعلى والأسفل.

لقد أثارت نعومة وحرارة بشرتها دهشتي عندما صفعتها بظاهر يدي.

لقد تمكنتُ من التنفس مجدداً، ولكنني شعرت بالأسف على الفور. كانت يدي تنبض ألماً، ولكن ذلك لم يكن الأسوأ. لقد أدركتُ أنني أفسدتُ العلاقة.

اقتربت منها ملامساً خدها، وكانت عيناها الخضراوان تتهمانني. لم تكن قد أصدرت أي صوت بعد، وتكرر صوت الصفعة في مخيّلتي.

قلت: "أنا آسف، لم أكن أقصد ذلك. لم أقصد القيام بذلك. حقاً. أنا لا أكذب".

"هل أنت مجنون أحمق؟".

"هل تعلمين؟ سأعثر على سِوارك. سأُعيده لك وتنتهي المسألة، ويكون كلانا سعيدَين. لا مشكلة... اتفقنا؟".

كانت يدي ترتجف عندما سحبتُ السِّوار من المكان المخبّأ فيه، وأعدته لها.

وقفت هناك حاملةً السوار بيدها محدّقةً إليه ببَلَه كما لو أنها لم تظن قطّ أنها ستراه ثانيةً.

قلت: "لا أحقاد".

ما مدى خُرق العمل الذي قمتُ به؟

حدّقت إليّ مرة أخرى، وأبعدت شعرها عن جبينها، ثمّ شدّت سترتها حول جسدها، وخرجت من الباب.

كنت أتنفس بصعوبة مُصدراً صوتاً كالأزيز، ورحت أحدّق إلى الباب كما لو أنني أتوقّع عودتها.

فركتُ قبضتي.

www.ibtesama.com

إنـه مثـال عـن كيفيـة فقدانـي الفُـرَص المتاحة. لقد أفسـدتُ الأمر برمّته، وبعد مرور ثانيةٍ غادرت. لكنني أفسدت الأمر برمّته. كنت أعلم أنني لم أكن غاضباً منها.

كنت أعرف ما الذي أغضبني في الواقع. إنه الغضب الموجود في صدري منذ عشر سنوات. فأنا لا أستطيع الكفّ عن التفكير في ما قام بـه كريسـتوفر تومـاس ذاك. إنـه يرافقني كل صباح. إنـه الهلَع بعينه. إنه الهلَع البارد.

كنـت قد قدّمت المسـاعدة وقمتُ بعملـي، وكنت أتوقع تلقّي أَجر عادل. ربما كنت ساذجاً، ولكنني ظننتُ أن أولئك الأشخاص سيوزعونه كما قالوا.

لكنهم لم يقوموا بذلك؛ ليس بالطريقة التي كنت أنتظرها على أي حال.

متى وُلدتُ؟ أمس؟ وها أنا ذا بعد اثني عشر عاماً أسرق سِواراً من امرأة في السـرير. ما مدى الوضاعة التي يمكنكم بلوغها؟ إن شـعوركم باليأس على هذا النحو يمكن أن يُغضب المرء.

لـذا، سـأقوم بشـيء مـا حيال ذلـك. هذا ما قررت القيـام به، واقفاً هناك أنظر إلى بُرجُماتي المرضَّضة. هذا ما قررت القيام به. سـأحصل على ما هو لي.

بعد ذلك، بدأت أشـعر بالارتعاش كما لو أنني سـأموت، وأدركت أن تلك الساقطة دسّت لي مادة مخدِّرة. يا الله! لقد دسستُ هذه المادة لامـرأة واحـدة أو اثنتَيـن فقط طيلة حياتـي، إذاً، فالأمر مُنصف، ولكن، تبّاً، لماذا قامت بذلك؟

بـدأتُ أتذكـر قيامهـا بطرح تلك الأسـئلة عليّ، ولكنني لم أسـتطع تذكّر أي واحد منها أو إجاباتي عنها. تبّاً.

ما الذي أخبرتها به؟ اللعنة، ما الذي أخبرتها به؟

www.ibtesama.com

17

مارشيا تولي

رفعت سارة بالارد وسادتها عن وجهها فجأةً وحدّقت إلى الساعة الموجودة على الطاولة بجانب سريرها، مراقبةً مرور الوقت ثانيةً بثانية على شاشة العرض الرقمية، ومُعيدةً إحياء أحداث المساء السابق دقيقةً بدقيقة. لم تكن بحاجة إلى الاستدارة لتعرف أن جانب السرير المخصَّص لزوجها فارغ. إنها الثامنة وثلاث وعشرون دقيقة صباحاً. لو عاد ستان إلى المنزل بعد خروجه إثر شجارهما في اليوم السابق، لكانت محطة السي أن أن التلفزيونية تزعق في غرفة الجلوس، وتدغدغ رائحة القهوة الطازجة مِنخَريها. كان المنزل ساكناً، ويدمّر شبح روزماري توماس زواجاً آخر من زيجاتها.

ولكن، مع من تعبث؟ فزواجها بِستان يتعثّر منذ مدة. زواج لا يُحتمَل نجاحه: هو محامٍ في ميدان العقارات ذو مستقبل واعد، وهي زوجة شرطي. أخذت تفكّر كيف التقيا وما الذي جمعهما. إنها القضية، بالطبع. القضية التي دفعت جون لتبنّيها؛ حتى عندما قال لها إن حدسه يُنبئه بأن الدليل محرَّف. القضية التي دمّرت حياة العديدين، ولكنها جمعتها بِستان. لقد دخل حياتها عندما كانت عُرضة للأذى، وأمطرها بالحب والعناية في أثناء انكسار جون. كان ستان طموحاً، مثيراً، في حين أن جون كان حالماً. ولكنها باتت ترى في تلك المزايا بالذات التي جذبتها لِستان مثالاً لأنانيته المُطلَقة.

إذا كان ستان يريد الذهاب لحضور إحياء ذكرى إعدام روزماري،

www.ibtesama.com

فهي ستذهب أيضاً. إنها تدين بهذا الأمر لنفسها، ولجون، ولحياتها السابقة، تلك التي فقدتها يوم أُعدمت روزماري توماس.

إنه الظهر ويستيقظ نان في العادة قُرابة هذا الوقت؛ فهو لا يستطيع مواجهة توهّج الصباح. نهض من سريره، وقصد المطبخ وتوجّه مباشَرةً إلى قِدر إعداد القهوة.

قُرع جرس الباب، فتثاءب خلال توجّهه لفتحه. كانت سارة، زوجته السابقة، واقفة عند عتبة بابه، وكعبا حذائها كانا مزروعين بثبات في مِمسحة الأَرجُل التي تحمل عبارة اذهب. إنها سارة التي تبدو جميلة كما كانت يوم زفافهما قبل أن يُفسد كل شيء. ولكن كان باستطاعته أن يعرف أنها كانت تبكي من خلال الانتفاخ الموجود حول عينَيها.

فرك عينَيه لطرد النُّعاس منهما، مقتنعاً جزئياً بأنها ستختفي من أمامه بعد أن يفتحهما وكأنه في حلم.

لكن، سارة كانت لا تزال أمامه، تبتسم على نحو اعتذاري قائلة: "هل يمكنني الدخول؟".

هز جون كتفَيه، وتنحّى جانباً في أثناء دخولها غرفة الجلوس التي بدت فجأةً رثّة وصغيرة على نحو مُحرِج. "قهوة؟ كنت أُعِدّ بعضاً منها".

"قهوة؛ حصّتان، ثلاث قِطع سكّر، أليس كذلك؟".

لقد تذكّرت.

وأخذ جون القهوة وشكرها، ومن ثم توجّه إلى الأريكة، سعيداً لأنه نزع عنه الملابس المُعَدّة للغسل في الليلة السابقة. قال: "لا يمكنني القول إنني لست سعيداً برؤيتك. ولكن، ما سبب قدومك يا سارة؟".

تناول رشفة قهوة من كوبه منتظراً الجواب.

"دعوة ما".

رفع جون حاجبه سائلاً: "أتلقّيتِ دعوة أيضاً؟".

"ليس أنا بالتحديد بل ستان".

www.ibtesama.com

سأل جون: "وماذا يقول بالارد؟" عِلماً أنه قال في سرّه إنه لا يأبه برأي بالارد أو بما يفكر فيه.

هزت كتفَيها قائلةً: "لا نتفق بالرأي حول حضور الذكرى. يقول إننا شديدا الانشغال ويُفترض بنا إرسال زهور". سكتت قليلاً، ثمّ أضافت موجّهةً نظرها إلى الأرض: "ولكنها بريئة، أنت تعرف ذلك".

ضحك جون بصوت مرتفع وقال: "أمر مثير للسخرية. ألم تقولي إنها تستحوذ على عقلي؟ وإنه يُفترض سجني في غرفة مطاطية مع حقيبة أوراق لعينة وغالون جيم بيم؟".

قالت بهدوء: "أعرف ما الذي قلتُه، ولكنني فكرت في الأمر طويلاً".

"أحقاً؟".

"أجل".

مكثا للحظات طويلة ناظرَين إلى بعضهما من دون أن يكون نان واثقاً مما يُفترض به قوله أو القيام به.

"منذ وصول دعوة توني أولسن وأنا أفكر في الأمر أكثر فأكثر، و...".

رفع نان حاجبه.

"حسناً، كانت الدعوة لِستان ولا أُبالي إذا لم يشأ الذهاب. كنت آمل الذهاب، وآمل اصطحابي معك".

مرت لحظات طويلة أخرى من النظرات المتبادَلة، بعد ذلك قام جون نان بما كان يريد القيام به، وكان يفكر في القيام به منذ مدة طويلة. فأخذ زوجته السابقة بين ذراعَيه وضمّها إليه.

قالت: "جون، لا"، وضغطَت يدَيها على صدره مضيفةً: "لم آتِ إلى هنا لأجل ذلك".

لم يقُل نان شيئاً، بل أنزل ذراعَيه فحسب واستدار.

www.ibtesama.com

تناولا العشاء لاحقاً في مقهى مجاور حيث قُدّمت أطباق بيتزا مخبوزة في فرن من الآجر على شراشف مائدة بيضاء لائقة، وكانت أوعية نحاسية ومجسّمات مراكب شراعية تتدلى من السقف. فتحدثا وضحكا كما في الأيام السابقة، ولم يتطلب الأمر هذه المرة تناول الشراب.

كانا في السرير عند الحادية عشرة؛ في سريرَين منفصلَين؛ استقلت سارة على السرير المزدوج وشعرها مُسدَل على الوسادة، وقد ظهرت هالات سوداء حول عينيها. وضعت وسادة طويلة تحت ظهرها ودسّت اللحاف تحت ذقنها. أما نان فقد استلقى على الأريكة وجهاز التحكم عن بُعد في يده، لكنّه استغرق في النوم قبل انتهاء فيلم لينو.

إنها السابعة صباحاً وبالكاد تمكنَت من التحرك، فنهض نان، وأحضر حقيبة أوراقه، ثمّ أغلق باب الحمّام وجلس على المِرحاض واضعاً الحقيبة على رُكبتَيه بشكل متوازن. فتح المزلاج بهدوء ومن دون إصدار أي صوت، وشرع بتقليب المحتويات التي باتت مألوفة لديه كالخطوط العميقة على وجهه عندما يُمعن النظر إلى نفسه في المرآة كل صباح.

قُصاصة صحيفة اصفرّت مع مرور الوقت تفصّل رحلة روزماري إلى المكسيك حيث قالت لصديقاتها إنها تعلم أن كريس لن يعود إلى المنزل أبداً. قال نان في سرّه: أمر غبيّ يُقال كتلك الممرضة المجنونة في مريلاند التي حقنت زوجها بكلوريد السكسينيلكولين - في ذكرى العشاق تماماً - بعد إخبار زميلاتها بما تنوي القيام به.

تمعّن نان بالصور الفوتوغرافية السوداء والبيضاء المُرفَقة بالمقالة والتي يظهر فيها ولدا توماس، ليلى وبِن. لديهما شعر والدتهما البنّي نفسه وعيناها الفضوليّتان، ولكن شعر ليلى مقصوص ومجعّد وبطول شعر شقيقها الأكبر سنّاً تقريباً، في حين أن شعر روزماري طويل. تساءل

www.ibtesama.com

ما إذا كانا سيحضران في أثناء إحياء ذكرى إعدام والدتهما.

انتقل من المقالة إلى صور ساحة الجريمة ونسخة عن المحاكمة التي أدلى فيها بشهادته طوال أكثر من ساعتَين، وجاء فيها أنه عثر على الدليل مخبّأً داخل خزانة ملابس روزماري: السترة الملطّخة بدماء كريستوفر والزر المفقود الذي كان داخل المِقصلة الحديدية؛ وخُصل شعر روزماري في قبضة يد كريستوفر.

تبّاً.

أخرج نان نسخة فانيتي فير من المغلف البلاستيكي، تلك التي احتفظ بها طوال أكثر من عقد من الزمن تحتوي على المقابلة التي أُجريت قبل الإعدام في سجن فالي ستايت بريزن للنساء في كاليفورنيا.

قلّب نان الأوراق وصولاً إلى صورة لروزماري تظهر فيها مرتديةً لباساً موحّداً برتقاليّ اللون، ومنتعلةً خُفَّين أبيضَين. تصفّح المقالة بسرعة، وأعاد قراءة ما قصّته روزماري للعالم: كيف طلب منها كريستوفر الطلاق؛ كيف تشاجرا في المتحف؛ كيف خرجت غاضبة وكم كانت حزينة ويائسة. ولكنها لم تقتله.

سُئِلت في المقابلة: "إذاً، كان زوجك... يعاشر بنات الليل؟".

لكنّ روزماري، المحترَمة كالعادة، رفضت الإجابة.

"إذاً، كيف انتهت جثة زوجك داخل المِقصلة الحديدية التي اقترضها ماكفول؟".

لكنّ روزماري ادّعت أنها لا تملك أي فكرة.

"والدليل الذي يُدينك؟".

مرة أخرى، لم تستطع روزماري إعطاء الجواب لعالم ينتظر سماع اعتراف من إحدى النساء القليلات اللواتي حُقِنَّ حتى الموت في ولاية كاليفورنيا.

أغمض نان عينَيه وأسند رأسه على بلاطات الحمّام المائلة إلى

www.ibtesama.com

البرودة متذكّراً لحظة رؤيته المجلّة في منصة للصحف والمجلات. كان قد مر يومان على وفاة روزماري توماس عندما قرأ المقالة.

وضع كل شيء مكانه بترتيب وأغلق الحقيبة. غسل وجهه، وحلق ذَقنه، ثمّ ارتدى القميص والسروال نفسهما اللذين ارتداهما في اليوم السابق، ومن ثم هزّ كتف سارة برِفق.

"إنها التاسعة. هل ستنهضين قريباً؟".

أنّت سارة وسحبت اللحاف فوق رأسها قائلةً: "اذهب".

ابتسم نان، وشعر فجأةً كما لو أنهما ثنائيّ متزوّج منذ مدة طويلة. قال: "سأخرج لتناول الفطور، هناك مقهى في الجانب الآخر للشارع. هل تريدين الانضمام إليّ؟".

اهتزّ اللحاف نحو الأعلى.

"هل أعتبر ذلك إجابةً بالنفي؟".

قالت بصوت مكتوم: "سأنزل قريباً".

حدّق إليها نان للحظات محاولاً تحديد شعوره. لقد بدا الأمر أشبه بمشاركتهما في فيلم سينمائي ذي مستوى وسطي ومنخفض التكلفة حيث تطلب زوجته الجميلة السابقة - وليس زوجها الحالي - مرافقتها إلى حدث هامّ مماثل. ولكن الألم الذي شعر به في قلبه حقيقي ولم يكن جزءاً من السيناريو.

جلس نان على كرسيّه حاملاً كوب قهوة إيطالية بيد ونسخة عن يو أس أيه توداي في اليد الأخرى. كان قد طالع صفحة "الحياة" وشرع بقراءة صفحة "الرياضة"، ولكنه لم يستطع التركيز.

ما الذي كانت تريده سارة حقاً؟ هل يُشرف زواجها ببالارد على نهايته؟

كان نان يفكّر في سارة منذ الليلة السابقة، متخيّلاً اصطحابها بسرعة إلى مكان غير عادي مثل ريو أو بالي عندما تحضر. عندما دخلت إلى

www.ibtesama.com

المقهى بدت نضِرة ومتألّقة، كما بدا شعرها مبلّلاً.

قالت: "سأذهب للتسوق".

"لماذا؟".

قوّمت سارة وقفتها، ومدّت ذراعَيها قائلةً: "لا يمكنني ارتداء هذه الملابس بمناسبة الذكرى. الآن، هل يمكنني الذهاب؟".

برأي نان، تبدو سارة رائعة بجسدها المميَّز، وكنزتها الصوفية البيضاء ذات الياقة العالية، وسروال الجينز الضيّق. رفع حاجبه وقال: "أعتقد لا. قهوة؟"، وأشار إلى الكرسي قُبالته.

ولوّحت بيدها قائلةً: "لا، شكراً. عليّ الذهاب". عارضته بلباقة، ولوّحت بيدها ثمّ غادرت.

لقد راقبها نان تتوارى في الشارع.

تناول كوب آخر من القهوة، ومن ثم غادر المقهى، سالكاً نورث بوينت باتجاه الإمباركاديرو وصولاً إلى غرانت قرب باير 39. قال في سرّه: إن الهدوء سائد على نحو غير اعتيادي في هذا الوقت من اليوم، ولكنه شعر بوَخز في الجهة الخلفية من عُنُقه كما لو أن أحداً ما يتبعه. استدار ورأى... شيئاً ما... ولكن لم يكن هناك أحد، ثمّ واصل السير.

بعد المرور بعدد قليل من المجمعات السكنية، شعر بذاك الوخز مجدّداً. وعندما التفت هذه المرة، كان واثقاً من رؤية ظل رجل، فركض وراءه بأقصى سرعة، ولكن الزُّقاق كان فارغاً عندما انعطف عند الزاوية.

كفى، قال نان في سرّه، وعاد إلى شقته. كان لا يزال بحاجة إلى إنجاز بعض الأمور قبل حلول موعد إحياء الذكرى هذا المساء.

شغّل المحرّك وتبع الزوجة السابقة.

عندما دخلت متجراً تنويعياً، ركن سيارته، وعبر الشارع، وشقّ طريقه بجانب مِنضدات عُرِضَت عليها العطور النسائية ومستحضَرات التجميل، والملابس الداخلية للرجال والعِطر الخفيف، مُبقياً الزوجة السابقة تحت

www.ibtesama.com

ناظريه تفصله عنها ياردات قليلة وعدد قليل من المتسوّقين - معظمهم من النساء - وكان يتعيّن عليه الحذر لأن الوقت ما زال مبكّراً والمتجر كان غير مزدحم عملياً.

أزاح بقوة زجاجة العِطر الخفيف التي تحملها البائعة بيدها بعد أن رشّت عليه منها. كانت الرائحة برأيه مماثلة لرائحة البرتقال المتعفّن، وقد حملتها تعابير وجهه على التراجع إلى الوراء، متمتمةً بالاعتذارات.

تبّاً، أين هي؟ هل فقدها؟ وراح ينظر يساراً ويميناً.

ها هي.

بات يفصلهما الآن عن بعضهما نصف سلّم متحرك.

وفي أثناء قيام الزوجة السابقة بإلقاء نظرة على قسم الملابس، توجّه نحو طاولة يوجد عليها كنزات من الكشمير، رأسه نحو الأسفل، وربّت على الصوف الناعم وداعبه كما لو أنه جسد.

وضعت فوق ذراعها ثلاثة أو أربعة فساتين، وتوارت داخل غرفة القياس. انتظر دقيقة من الزمن، مراقباً محيطه، وعندما تأكد من أن أحداً لا ينظر إليه، اندفع إلى الداخل.

راقب ساقَيها سرّاً تحت منعزَل. لقد كانت بمفردها في غرفة القياس.

وقف في غرفة قياسٍ مقابِلة للغرفة التي تتواجد فيها، وعندما خرجت مرتديةً أحد الفساتين الحريرية ودارت حول نفسها بخفّة أمام المرآة، راقبها حابساً أنفاسه. وبعد عودتها إلى غرفتها، اندفع اتجاهها، ودفعها إلى الأمام، وأقفل الباب وراءهما، ووضع إحدى يدَيه على فمها وضغط بالأخرى حول خصرها بشدة لدرجة أن الهواء بات يخرج من صدرها كاللُّهاث، ثمّ همس في أُذُنها: "لا تُصدري أي صوت وإلا قتلتُك".

أُفلت صوت من حَلقها: لم يكن صراخاً أو لُهاثاً، فقط، صوت

www.ibtesama.com

حاد منخفض جداً كصرخة دمية.

همس: "ألا يُعجبك الفستان؟".

وضع يده تحت القماش الحريري، ثم أنزل حمّالتي الكتفَين وسحب الفستان بقوة نحو الأسفل حتى استقر حول قدمَيها وباتت بسروالها الداخلي القصير. وأحكم قبضته وشعَر بجسدها المشدود، ثمّ همس بهدوء تام حتى بدا الهمس مجرّد تنفّس: "قولي له أن يبقى بعيداً عن إحياء ذكرى روزماري توماس".

لم تقل الزوجة السابقة المرتجفة شيئاً.

مسّت شفتاه أُذُنها: "هل سمعتِني؟".

أومأت عدة مرات، عِلماً أنه كان لا يزال يضغط بيده على فمها بإحكام.

"أخبريه. حياتك تعتمد على ذلك. هل فهمتِ؟". حملها نفَسه في أُذُنها على الشعور بمزيد من البُرودة، وأومأت على نحو تأكيدي.

"ستطلبين من الشرطي السابق التوقف، أليس كذلك؟".

ثمّ أضاف بصوت خشن في أثناء تخفيف قبضته على فمها وذقنها: "أنا بحاجة إلى سماعك تقولين أجل".

قالت: "أجل".

"جيد". أحكم قبضته على فمها، واشتمّت نفَسه وشعرت بلحيته على عُنُقها. وعندما حاولت إدارة رأسها لإلقاء نظرة على وجهه لم تتمكن من التحرك. قال: "ستقولين له".

حينئذٍ، سمعت أصوات نساء وكانت على وشك الصراخ عندما دفعها إلى الأرض وركض بسرعة خارج الغرفة. صاحت النساء، ومرّ بجانب المتسوِّقين وكدسات الملابس، واندفع بجانب الناس على السلّم المتحرك، ودار حول المنضدات التي عُرِضت عليها مستحضرات التجميل والعطور حتى لفح الهواء الساخن والرّطب وجهه، وواصل

www.ibtesama.com

السير مـن دون النظـر إلـى الوراء، ولم يبدأ بالتنفس بشـكل طبيعي مرة أخرى حتى مرّ بسيارته قرب الإمباركاديرو.

www.ibtesama.com

18

توماس كوك

لقد شبه شخصٌ متفلّت من قيود الأخلاق ذات يوم شعرَها بستار من لهَب. كانت هايل تحبّ هذا التشبيه في ذلك الوقت، وخلال تحديقها إلى صورتها المنعكسة على صفحة المرآة اعتبرت أن شعرها لا يزال مناسباً لعمرها، وتوقعت إلى حدٍّ ما أن يُصدر شرَراً خلال تمشيطه. كان جمالها يُلفت الأنظار، وتحب هذا الأمر في معظم الأحيان. ولكن، ليس في هذه الليلة لأنها آثرت عدم قيام النظرات بملاحقتها عندما تصل إلى متحف ماكفول أرت ميوزيوم، وأملت التنقل من غرفة إلى أخرى بطريقة غير مرئية تقريباً كما لو أنها سفينة أشباح صغيرة ترفع رايتها الحمراء. ففي هذه الليلة، عليها أن تكون صيادة، ومن الأفضل والآمن لها ألا يلاحظ أحد وجودها وتكون كأرملة مُسنّة من الأشراف مزيّنة بالحلي، تَقطر ماساً ولآلئ على عُنُق مترهّل وتفوح منها رائحة هي مزيج من زيت الكافور وشانيل فايف. حتى إنها فكرت مليّاً، بإيجاز وسخافة، في ارتداء ملابس تنكرية، ولكنها تخلّت عن الفكرة لأن لائحة الضيوف ستكون صغيرة ولن يحضر أحد الذكرى من دون دعوة. ولكن، من يرغب في التطفّل على إحياءٍ لذكرى امرأة أُعدمت قبل عشر سنوات؟ لا، يجب عليها الذهاب كما هي، هايل باتشيت حمراء الشعر وما شابه.

ولكن عندما تصل إلى ماكفول، ماذا عليها أن تفعل حينذاك؟ راحت تفكر ملياً في الخيارات والطريقة. سيكون عليها الاختلاط بالناس، والتظاهر بأن سبب حضورها مماثل لسبب حضور الآخرين

www.ibtesama.com

بمناسبة إحياء ذكرى إعدام روزماري المسكينة. سيكون عليها الإصغاء إلى روايات حول مدى عظمة روزماري، وبراعتها، وذكائها، وسيحملها كل ذلك بالتأكيد على وضع حد لتجهّمها على نحو مأساوي. تجهّم مماثل لتجهّم أشخاص مجهولي الأسماء، كما تخيّلت، أدخلوا الإبر، ومماثل لتجهّم شخص قرأ حكم الإعدام بصوت منخفض ومُحزن. انقبضت لفكرة إعدام روزماري وقيام أحدهم بالتطرق إلى ذلك، ولكن، سيكون عليها الوقوف هناك والإصغاء.

ومع ذلك، ستعمد في مرحلة ما إلى التنقل من غرفة إلى أخرى من دون أن يجد أي شخص الأمر غير عادي بصفة خاصة. وسيكون عليها التوقف والتظاهر بأنها تهتم لكل من يصادفها، ولكن يمكنها الانسحاب بعد فترة والسماح لعينَيها بالبحث عن الغرفة.

بإيجاز، لقد تأمّلت المعلومات التي حصلت عليها من أرتي روبي. لقد ابتزّها ذلك الشرطي المجنون، نان، لقيامها بعلاقة حميميّة مع روبي، أملاً معرفة شيء ما عن مقتل كريس. لكن بدلاً من ذلك، زوّدها بمعلومة ثبُت أنها مفيدة لها. من الواضح أنها لم تكن عشيقة كريستوفر توماس الوحيدة المتورطة في خُدعة الأعمال الفنية المسروقة. فالقيّمة المحترَمة على متحف ماكفول أرت ميوزيوم، جوستين أوليغار، عشيقة أخرى. كانت هايل مستعدة للمراهنة على أن جوستين لم تتخلَّ عن ذلك الجانب المُربح من المهنة بعد مقتل كريس. قد يتطلب الأمر تسقّطاً لبعض الأخبار، ولكنّ هايل كانت على ثقة بالعثور على أمر ما في مكتب جوستين يُلحق ضرراً ما، على أمرٍ يُعيد حطام قطار حياتها إلى المسار الصحيح.

ألقت نظرة سريعة على الساعة؛ لم يتبقَّ كثير من الوقت. خارج النافذة، لمحت الضباب الكثيف الذي من شأنه أن يُبطئ حركة المرور ويجعلها أشبه بالدّبيب. لذلك كان يتعيّن عليها الإسراع إذا أرادت

www.ibtesama.com

الوصـول باكـراً لإلقـاء نظـرة على المكان قليلاً قبل أن يراها أحد ويقوم بمحادثتها. وضعت آخر لمسةٍ من مستحضرات التجميل بسـرعة على وجنتيهـا، وهـو أمـر كان ذات مـرة مطمئنـاً لها، ولكـن الزمن بدأ يجعله درساً في الأمور التي أخطأت القيام بها ولم يعُد بالإمكان تغييرها؛ وهذه الأفكار تتبادر إلى ذهنها على الدوام عندما تلاحظ تجعيداً جديداً على انعكاس صورتها على المرآة.

فـي متحـف ماكفـول أرت ميوزيـوم، مدّت جوسـتين أوليغار يدها لتناول كأس من الشراب كما تمدّ أخريات أيديهنّ لتناول خاتم نحاسي. نظرت إلى اللوحة الصغيرة التي كانت معلّقة في ناحيةٍ مُظلمة من صالة العـرض منـذ زمـن بعيـد، أي منذ عشر سـنوات على الأقـل. لقد أصرّ تونـي أولسـن علـى تعليقهـا هناك تنفيذاً لوصية روزمـاري الأخيرة. كما تـم وضـع قسـم من المجموعـة الدائمة للمتحـف وراء واجهات عَرض زجاجيـة مُقفَلـة كمـا لو أنها الموناليزا١. كانت تبلى في ظلمة هذه الغرفة الهادئة التي لا يدخلها عدد كبير من الزائرين. هي تعلم أن الفنانة صديقةٌ لروزمـاري تومـاس وأن تعليقهـا في هذا المـكان ليراها كل محبّي الفن مكافأة لصديقتها وتكريم لها.

المتاحـف مسـكونة بلوحـات مماثلـة تكـون بمثابـة أطفـال سـيّئي السلوك لا يتم تعريفهم إلى الضيوف أبداً، وتعتبر جوستين هذه اللوحة هي الأكثر تفاهة بين اللوحات الأخرى. هناك شيء ما فيها يسبّب التوتر ويُطلـق شـحنة صغيـرة مـن القلق. فلـدى النظر إلى الأمواج، تشـعرون بوجود شيء ما تحتها، تشعرون بحضور طَيفي، صامت، يطوف المكان بحثاً عن طرائد مستعدّاً للخروج من الماء متوجّهاً نحو ساقَين بيضاوَين تناضلان. وبعض اللوحات تنطق حقاً بما فيها، وهذه اللوحة إحداها، إذ إنّ موضوعها الأساسـي هو التيار التحتي المُظلم للأمور، والمخلوقات الكامنة هناك. حدّقت إلى اللوحة وتفحّصت التوقيع.

www.ibtesama.com

بي. ماكغواير.

بِل ماكغواير.

صديقة روزماري.

ومع دنوّ هذه الليلة التي تزرع الهلَع في نفس جوستين، فكّرت في الوقت الذي أمضته مع كريستوفر. لقد تذكّرت أموراً عديدة قاما بها معاً: حبل البهلوان الذي سارت عليه بين الحياة الشخصية والحياة المهنية، لا بل بين ما هو قانوني وما هو غير قانوني، وكيفية سقوطها عنه عاجزَة في أوقات معيّنة. ردّدت في سرّها: لا بد من أن يكون كريستوفر قد أحب هذه اللوحة. لا بد من أن يكون قد أُعجب ببراعتها في الخيانة والتوجيه الخاطئ، وبكيفية تحويل البحر إلى زقاق خلفي مليء بالظلال. وماذا عن روزماري؟ روزماري التي صدّقت على الدوام أن الخير لا يُثمِر شراً؟ ربما يقول أحدهم كل هذه الأمور عن روزماري في أثناء إحياء ذكرى إعدامها في هذه الليلة، وكانت جوستين تعلم أنها ستومئ برأسها موافقةً على ما يُقال في أثناء قيامها طوال الوقت بتخيُّل العالم السُّفلي الذي لَم تلمحه هذه المرأة المتوفاة قطّ؛ أو ربما لمحته.

توجهت جوستين إلى النافذة وألقت نظرة على المدينة.

كانت القمة مستدقة الرأس البيضاء المميَّزة لناطحة السحاب الموجودة في وسط مدينة سان فرانسيسكو معلّقة في الضباب، ومُغمَدة فيه كسكّين.

كان متحف ماكفول أرت ميوزيوم على بُعد مجمعات سكَنية قليلة فقط، ويعلم توني أولسن أنه سيرى النوافذ مضاءة عندما ينعطف بسيارته الفخمة عند الزاوية. بدا المتحف مغرياً لَعوباً على نحو غريب بتصميمه ككل، والسلالم اللولبية المتعرّجة وصولاً إلى طوابق العرض ماكرة، والألوان البرّاقة التي تلوّن المدخل أشبه بإصبع وسطى مرفوعة في اتجاه النواحي الداخلية القديمة لأوفيزي واللوفر. لقد أحب على

www.ibtesama.com

الدوام نثر بزور إحسانه مع حس بالمغايَظة. كان يعلم أن الطفل الكامن فيه وغد صغير، وعندما انعطف بسيارته عند الزاوية وارتسم ماكفول أمام ناظرَيه، كان باستطاعته رؤية قسوته تماماً. قال في سرّه: كم من الظلم والوقاحة استخدام متحف فنّي لإحياء ذكرى وفاة امرأة أُعدمت بسبب قتل زوجها! بالطبع، لقد طلبت روزماري ذلك في وصيّتها الأخيرة، ولكنه لم يأبه بما قد يعتبره، وبشكل طبيعي، تلازم أمرَين على نحو غير ملائم. لكن أمراً ما يتعلق بروزماري كان قد أثّر في طبعه الذي لا يمكن التأثير فيه. لقد لعب دور الرجل اللغز طوال حياته، ولعبه بشكل مُقنع في معظم الأحيان. لقد سأله مراسل ذات مرة عن الطريقة التي يرغب في أن يتذكّره الناس بها، فأجاب بدقة، "ليس كشخص مُبهَم". ولكن روزماري تمكنت بطريقة ما من التحقق من شخصيته من خلال الإبهام الذي كان يغلّفه. لقد بدا الأمر كما لو أنها رفعت الغطاء عن إحدى زوايا تحفة فنية رائعة، وفهمت، بحدسها المُذهل، ومن خلال جزء صغير من اللوحة، فكرة العمل ككل.

قال السائق بعد أن أوقف سيارة الليموزين على نحو مفاجئ: "آسف، يا سيدي، لقد مرّ هرّ للتوّ أمامنا".

ألقى أولسن نظرة سريعة خارج النافذة، ورأى عبر الضباب الخفيف الهر يقفز عند طرف الطريق، ومن ثم يتوقف وينظر إلى الوراء اتجاه السيارة السوداء التي كادت تدهسه. كان جسمه أسود وقوائمه بيضاء وكأنه ينتعل حذاءً مخصّصاً للرقص. حدّق بتكبّر إلى عينَي أولسن، كما لو أنه أثبت وجهة نظره وتحدّى الأرجحية مرة أخرى. ولكن، كم يتبقّى له من حالات الفرار، تساءل أولسن، ومن الحيوات، قبل أن يقلب القدَر الطاولة أخيراً؟

ألقى جون نان نظرة سريعة على الجميع في أثناء تجمّعهم في صالة العرض؛ كانوا أشبه بزينة شجرة مخيفة من نوع ما، ويتدلّى كل منهم

www.ibtesama.com

من أحد أغصانها الذابلة.

كانت سارة تقف بصمت بجانبه. تساءل في سرّه: لماذا أتت؟ لم تكن سارة على علاقة بروزماري أو بكريستوفر. وألقى نظرة سريعة على مظهرها المُذهل، وفكّر في المرة الأخيرة التي كانا فيها معاً قبل كل تلك السنوات في أثناء جمع الأموال للمتنزّه العام في وسط المدينة. لقد بدت مشدودة الأعصاب أكثر من العادة، ولكن عندما سألها عن الأمر، هزّت كتفَيها نافيةً. ربما تشعر بحنين غامض إلى الماضي لأن قضية روزماري هي التي أنهت زواجهما. كانت سارة تجيد على الدوام إبقاء الجراح القديمة مفتوحة، وافترض بأنها منشغلة بالتفكير في كل الجراح التي أُصيبت بها بسبب ستان، وليس بسبب روزماري؛ فسارة لم تكن تعرفها. هزّ كتفَيه. ربما كانت بحاجة إلى تمضية ليلة بعيداً عن ستان فحسب. من لا يريد ذلك بالرغم من كل شيء؟

www.ibtesama.com

19

ديانا غابالدون

وضع الضباب يده المتجمّدة على الجهة الخلفية من عُنُق هايل باتشيت. كان اليومُ بشمسه ونسيمه العليل حُلُماً بالنسبة إلى فصل الصيف، ولكن الضباب انتشر بعد غروب الشمس مباشَرةً، وحرّك الهواء البارد سُعُفَ النَّخل ومرّ بخزانة نبتون للإغواء، رطِباً وبارداً، نافثاً الخَدَر وإحساساً بالموت اقشعرّت له ذراعاها العاريتان، ولم يسلم وشاحها الحريري الرقيق من البرد غير المتوقّع الذي يلفّ سان فرانسيسكو في غالب الأحيان.

كان في باحة المتحف صخور مبعثَرة بحجم صناديق كبيرة للتخزين، وبالكاد تمكنت هايل من تجنّب الاصطدام بإحداها في أثناء اندفاعها إلى الداخل، مُطلقةً الشتائم بالرغم من لُهاثها؛ كانت ستقع أرضاً لو لم تنتبه.

كان القلق بادياً على وجهها ويمكنها الشعور بزيادة عدد دورات محرك حماستها كسيارة كورفيت في أثناء توقفها عند إشارة مرور. لقد جاء في الدعوة أن التجمع سيُقام في قاعة المراقبة الكبيرة أعلى البرج، ولكن مكتب القيّم كان في آخر ممر قصير.

فكرت في انتظار الحشد للشروع بتبادل أطراف الحديث، وتناول المشروبات، قبل الانسلال بعيداً عنهم.

كما عادت هايل بالذاكرة إلى الوقت الذي أمضته مع كريستوفر توماس، وما كانت قد توقّعته، وتذكرت كل حديثهما الذي لم يؤدِّ إلى

www.ibtesama.com

أي شيء.

توهّج الضباب أمامها، وخفّ توهّج ضوء مدخل المتحف وانتشر. كان هناك أشخاص آخرون قادمون وراءها، أشكال مُبهَمة تشقّ طريقها عبر الباحة وباستطاعتها سماع تمتمة مقاطع صغيرة من أحاديث تُجرى من دون رؤية المشاركين فيها كما لو أنهم أرواح.

"يا الله! ما الذي قدِمنا لأجله؟"، قال صوت ذُكوري منخفض، ولكن مَن كان يوجّه الحديث إليه لم يُجِب.

كاد البرج أن يكون غير مرئي عبر الضباب، منارة بغيضة أشبه ببرج هرمي مقلوب رأساً على عقِب مكوَّن من كِتل زجاجية وإسمنتية. كان الضباب كثيفاً بما يكفي لحجب الناحية السفلية من المبنى، فبدا السطح الدائري المنخفض كما لو أنه يطفو.

قال ستان بالارد في سرّه: إنه جنون. أنا مجنون. ما الذي كنت أفكر فيه؟

وقف خارج المتحف محاطاً بالضباب، وفكر للحظة من الزمن في المغادرة، ومن ثم فتح الباب.

www.ibtesama.com

20

توماس كوك

دخل المدعوون واحداً تِلوَ الآخر بطريقة متلوّية كالثعابين، ووجد جون نان نفسه ينظر إلى كلٍّ منهم كما لو أنه يحاول التعرّف إلى وجه شخص محدَّد من خلال عرض صور فوتوغرافية أمامه. فهناك جوستين أوليغار، مرتديةً فستاناً أسود، وتضع عقداً من اللؤلؤ الأبيض، وتنتعل حذاءً ذا كعبَين مسماريَّين، ولكن مظهرها بدا كئيباً. كانت تتحدث إلى أشخاص لا تعرفهم. ربما كانت تعرفهم، وربما لا. فلا أهمية لذلك بالنسبة إلى جوستين لأنها اعتادت الترحيب بالغرباء بحرارة، والدفاع عن المتحف، واصطياد هبة ما. لن يكون متفاجئاً إذا بالغت في الترحيب قليلاً في هذه الليلة. هناك أمر ما في جوستين لم يخمد قطّ. إنها كشمعة ثابتة الشعلة، عِلماً أنه لم يتمكن قطّ من اكتشاف ما الذي يوحي به نورها بالتحديد.

فجأةً، ابتعدت جوستين عن شخصين كما لو أنه تمّ استدعاؤها. ربما عرفت أن مداخيلهما محدودة، أم إنهما غير مباليَين بالفن، أم وظّفا أموالهما في أحد أجنحة مستشفى ما يحمل اسمَيهما ولن يُسهما في ماكفول. أيّاً يكن الأمر، فقد حمل جوستين على فقدان اهتمامها بهما فجأةً.

ألقى نان نظرة سريعة في الاتجاه الآخر حيث كان باستطاعته رؤية بيتر هوسن يضع بجانبه، وعلى نحو غير مريح، ابنة وابن شقيقته روزماري. لقد أُدينت روزماري عندما كانا لا يزالان صغيرَين، وتساءل

www.ibtesama.com

نـان عـن كيفيـة تحمّلهمـا عبء إعدام والدتهما بتهمـة قتل والدهما. لم يستطع تخيُّل قيام خالهما بتوفير العزاء لهما. لقد أضاف أمر ما في شأن بيتر هوسـن طعنات سـكين إلى الجوّ. لقد بدا الأمر كما لو أنه أحدث شقاً في كل من التقاه، ويفسّر هذا الأمر بلا شك سبب ظهور بِن وليلى في حالة من عدم الارتياح في ذلك الوقت، محدّقَين في أرجاء المكان بطريقة تُظهر مدى رغبتهما في التخلص من وصاية خالهما بأسرع وقت ممكـن. كان هنـاك جفـاء فـي طريقـة وقوفهما بعيداً عنه فـي أثناء تبادل أطـراف الحديـث مع الآخرين، مسـمَّرَين فـي مكانهما، عِلماً أن بِن كان يشبك ذراعيه معاً دلالة على شعوره بأنه يحمي نفسه من اعتداء ما. أما ليلى فقد بدت لِنان حذِرة، لأنها بدت عالقة في مِلزمة مُحكمة الإغلاق أكثر من كونها مُحاطة بجوّ عائلي.

"مرحباً يا نان".

استدار نان، متفاجئاً برؤية ستان بالارد واقفاً بجانبه.

قال نان: "لم أكن أعتقد أنك ستأتي".

"حسناً، يجب على المرء أن يلتزم جانب الحذَر، ألا تظن ذلك؟".

"التزام الحذَر؟ ممَّ؟".

أجاب سـتان: "ترك زوجته برفقة زوجها السـابق، فالنيران القديمة تتسبب بشرارات جديدة، أليس كذلك؟".

هز نان كتفَيه.

ألقى ستان نظرة سريعة في أرجاء القاعة وأضاف: "لا بد من أنك في بيئتك المناسبة يا نان".

"من أي ناحية؟".

"آه! كمـا تعلـم، الجميـع مجتمعـون في مكانٍ واحد. كل المشـتبه فيهم موجودون في الرَّدهة".

"مشتبَه فيهم؟".

www.ibtesama.com

أجاب: "بمقتل الأكثر إثارة للاشمئزاز"، ابتسم ستان ثمّ تابع: "لا تتوقع مني تصديق أنك لا تفكر في قضية روزماري".

بالطبع، لم يكن نان يفكر في أي شيء سوى عملية القتل منذ وصوله إلى المتحف. لم يتمكن قطّ من إخراجها من تفكيره؛ لقد تمددت في حياته كبقعة، وكان لا يزال يشعر بأن هذه البقعة مستمرة بالتمدد. وفكر في كيفية قيام تلك الأفلام السينمائية التي تتطرق إلى الحرب الباردة بإظهار المَدّ الشيوعي الأحمر يجتاح أوروبا وآسيا. فجريمة روزماري وعقابها مماثلان لذلك المَدّ، وقد اكتنفا حياته.

قال ستان: "لا بد من أنك تحيي الأمر برمّته". ظن نان عند سماعه هذه العبارة أنه يتعرض لسخرية مضمرة، أو لسخرية بحجم اللغز القائم على فكرة مبسَّطة والذي لن يتخطى عتبة الرَّدهة، أو أسوأ من ذلك، للسخرية كونه تحرّياً متجعّد الوجه ينظر في ملفات قديمة بينما تنقضي حياته ببطء ساعياً وراء مراسيم عديمة النفع وتخمينات لا أساس لها. كان يفكر في أنّ أيّاً من هذه الأفكار غيرِ المشرِّفة له غيرُ دقيقة البتّة، وذلك خلال رؤية بِل ودون ماكغواير يصلان. بِل الجميلة كالعادة، المرأة الكاليفورنية التي لا تشوبها أي شائبة، ودون المخادع الميال إلى العنف.

سأل ستان ضاحكاً: "إذاً، ما هو رأيك أيها التحري؟".

"في الواقع، كنت أفكر في الرجل هناك الذي ضرب ذات مرة كريستوفر توماس". كان قد ظهر في أثناء المحاكمة، وفكّر فيه نان لمدة وجيزة عندما تساءل عما إذا كان دون مرتبطاً بطريقة ما بمقتل كريستوفر توماس.

تحوّل نظر ستان إلى الرجل الذي أشار إليه نان وسأل: "مَن المرأة التي برفقته؟".

أجاب نان: "إنها زوجته، بِل، حاولت روزماري بكل ما أُوتيت من قوة مساعدتها للارتقاء في عالم الفن هنا".

www.ibtesama.com

سأل ستان: "أتعتقد أن الزوج شعر بأن علاقة حميميّة إلى حد ما تجمعهما؟".

فهز نان رأسه وأجاب بنفاد صَبر وقد ضاق ذرعاً باللعبة الصغيرة التي يمارسها معه ستان: "من يعلم؟".

أجاب ستان ضاحكاً: "الظل يعرف، ويبقى السؤال".

"أي سؤال؟".

ارتسمت ابتسامة على شفتي ستان وسأل: "من هو الظل؟".

وهكذا، ابتعد ستان، وتوجه نحو سارة، ثمّ أمسك ذراعها شابكاً إياها بذراعه، مومِئاً إيماءة تَمَلُّك عِلِم نان أنها موجَّهة إليه، وأن سارة شعرت بذلك بوضوح. قال في سرّه: يُفترض بها ذلك. لأن الإيماءة غير مُتقَنة بقدر عدم إتقان شخص يراهن على الحصول على حقه الذي يطالب به.

مع ذلك، وجد أن قبول سارة للإيماءة مؤلم بطريقة ما، لذلك أشاح بنظره عن المشهد وصبّ اهتمامه على هايل باتشيت التي التقت نظراتها بنظراته وابتسمت. كان قد تساءل عن مدى حقيقة ما أخبرته به في ذلك اليوم.

كانت تتنقل من مكان إلى آخر في المتحف، وتتوقف أحياناً لتبادل أطراف الحديث من دون أن تكون مهتمة بمحادثة أي شخص لمدة طويلة. قال نان في سرّه: هناك أمر غريب متعمَّد في تحركاتها، كهرّة في غرفة غير مألوفة، متنشّقةً بصوت مسموع هنا وهنالك، وفي كل مكان. لطالما تجوّلت هايل خلسةً؛ لقد كنّت لها روزماري الكره بالتأكيد، وكان باستطاعة نان الشعور للحظات بوجود روزماري بجانبه تقريباً، تراقب بالشُّبهة عينها تجوّل هايل على مَهل في أرجاء المكان. فالشعور المخدِّر بوجود روزماري بجانبه غريب، ولكنها كانت الطريقة الصالحة آنذاك للنظر في قضية تستحوذ على تفكيره: الأمر أشبه بجسم لم يبرد قطّ.

www.ibtesama.com

ولم يبرد جسم روزماري قطّ.

الظل يعرف.

هذه المرة، سمع هذه العبارات بصوت روزماري بدلاً من صوت ستان، وشعر جون برعشة غريبة بسبب سماعه ذلك بوضوح شديد؛ إنها همسة، أو ربما هسهسة، شبح روزماري الغاضب.

راقب للحظات "الظلال" المحيطة به، وصودِف أن ستان، ذلك الوغد المتكبّر، مُحِق. لقد قدِم جون إلى هذه المناسبة لا لتذكّر روزماري المتوفّية بل لإعادتها إلى حياته، ولا لإحياء ذكراها بل لإحيائها. ربما يُطلب منه الآن التكفير من دون هوادة عن كل الآثام التي تسبّب بها لنفسه لأنه لم يدعها ترتاح في مثواها الأخير، ولذلك، فإن الأمر قد يتعدى رغبة شبح روزماري في أن يُسمَع صوتُه فجأةً.

ومن دون أن يدرك ذلك، همس باسمها فجأةً: روزماري.

توقفت كل حركة بشكل مفاجئ في مخيّلته، ووجد نفسه، وببطء شديد كما لو أن خيوطاً غير مرئيّة تتحكم به، وجهاً لوجه مع ستان، وهايل، وجوستين، وسارة، وبِل، ودون، لا بل أيضاً مع ولدَي روزماري أيضاً، وكانوا يحدّقون إليه ببرودة وشفاههم مُحكَمة الإغلاق.

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

21

ديانا غابالدون

فُتح باب مكتب جوستين مُحدِثاً صوتَ طقطقة عالياً، ولكن أحداً لم يكن في الجِوار ليسمعه. كان هناك خادم يحرس الممر المنحدر المؤدي إلى صالات العرض السفلية، وكانت الحبال قد أُزيلت عن جانبه، ولكن هايل تخلصت منه من خلال إخباره بوجود سيارة مُقفَلة في موقف السيارات ومصابيحها مضاءة. لقد أمِلت إنجاز مهمتها والمغادرة في أثناء قيام الخادم بالتحقق من حصول السيارة على إذنٍ بالرَّكن، ودخوله، وتوجهه إلى الدرَج، والعثور على المالك.

فباستطاعتها الاستفادة من عشر دقائق على الأقل، وبمزيد من الحظ قد لا يتطلبها الأمر أقل من نصف هذه المدة.

لقد تركت جوستين، ليتبارك قلبُها، مصباحاً صغيراً مضاءً في مكتبها. عظيم! لا ضرورة لتلمّس الطريق في الظلمة.

تفحّصت هايل المكتب، وفي أصابعها تَوق للاستحواذ، محاولةً اتخاذ قرار حول المكان الذي تبدأ منه. ثبّتت نظرها على طاولة مكتب جوستين؛ مكان جيد على غرار الأماكن الأخرى؛ ثمّ توجهت نحوها من دون إحداث أي ضجة، وفتحت أحد الأدراج الجانبية بحِرص. لا بد من وجود شيء ما هناك، شيء ما يمكنها استخدامه للحصول على ما تريده من جوستين.

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

22

بيتر جيمس

على بعد مسافة من الصخَب الذي طغى على القاعة بسبب تبادل أطراف الحديث، بدا الصمت حاداً، وكانت رائحة مادة الصقل القوية حادة أيضاً. لقد ازدادت حالة هايل العصبية حدة، وشعرت بخفقان ضعيف، على غرار النبض، في أُذُنيها؛ كانت عصبية المزاج، ولكنها هناك، ومستعدة.

بعد ذلك سمعت أصواتاً تقترب، فتسمّرت في مكانها. لقد بدا الأمر كما لو أنهم يقفون عند باب المكتب تماماً.

يا الله! من يكونون؟

حبست أنفاسها محاولة تهدئة نفسها. ربما كانا ضيفَين انسلاّ بعيداً عن غرفة الاستقبال إلى قاعة المراقبة في البرج للقيام بجولة. لا بد من أنهما يحدقان إلى لوحة كانت قد رأتها وظنّت أنها ربما تكون معلَّقة رأساً على عقِب. لقد سمعت مقطعاً قصيراً من حديثهما:

قال أحدهما: "إنها تعديلية تعبيرية في مرحلة ما بعد الحداثة، أسلوب كليمت إلى جانب أسلوب شاغال، تعرف ما أقوله، مع لمسة سوريالية... أم إنها قريبة إلى أسلوب دادا؟ لا تستطيع إدراك ذلك بأي سياق بصري، ولكنها بالنسبة إليّ أشبه بلوحة قام الرسام بمحو رسمتَين أو ثلاث قبل اعتماد الرسمة النهائية".

إنه القيّم القديم على المتحف، أليكس الذي نسيتُ اسمه الأخير. وتذكرت هايل كم كان كريستوفر يكرهه.

www.ibtesama.com

انتظرت حتى ابتعدت أصواتهما في اتجاه الرُّواق، ثمّ وأخذت نفَساً عميقاً محاولةً التركيز على ما تقوم به، ولكن حالتها العصبية كانت تزداد سوءاً، وعينَيها تتجوّلان بغير انتظام في أنحاء الغرفة. إنها احتياطية ومعتدلة: طاولة زجاجية، أثاث وستائر، أرضية خشبية مكشوفة. نظرت إلى الصور المطبوعة على قماش كتاني واللوحات المعلَّقة على الجدران، ومن ثم إلى تحف فنّية صغيرة ذات مظهر قيّم موضوعة على سطوح مستوية.

لا بد من أن تكون هنا في مكان ما.

ولكن أين؟

لاحظت تمثالاً صغيراً برونزياً قرب المصباح الموضوع على الطاولة، فدسّته في حقيبة يدها... تباً! يمكن لكل هذا العالم أن يكون لي: هذه الفكرة تبادرت إلى ذهنها مراراً وتكراراً خلال وقوفها أمام طاولة مكتب جوستين أوليغار.

وُضِعَت على طاولة المكتب زهريةٌ وصورة فوتوغرافية لجوستين تعود إلى عشر سنوات أو أكثر عندما كانت تبدو صغيرة مثل ويتني هيوستن، ولكنها ازدادت وزناً مذاك الحين وامتلأ وجهها الجميل. لقد أسعد هذا الأمر هايل.

كانت هناك نشّافة نظيفة على الطاولة، وفتّاحة مغلفات فضية، وجهاز كمبيوتر قديم العهد لم يكن بالإمكان وضعه مع بقيّة الديكور العصري. فتحت مجدّداً كلاً من أدراج طاولة المكتب، باحثةً فيها بسرعة قبل إقفالها مجدداً وإدارة رأسها في اتجاه الباب كل بضع ثوانٍ. عاد ذلك القيّم اللعين ليتباهى باللوحة، وتذكرت كيفية قيام كريستوفر بمحادثتها عن عالم الفن، شارحاً الصور والموضوعات والمدارس المعتمَدة في اللوحات. النهضة؛ المدرسة الهولندية؛ ومدرسة الطبيعة التي تلتقي في أحضانها أزواج من العشاق؛ المدرسة الانطباعية؛

www.ibtesama.com

المدرسة التكعيبية؛ المدرسة السوريالية؛ مدرسة الأميركيين الأصليين؛ مدرسة الرمزيين والتشكيليين مثل جورجيا أوكيف وتشارلز شيلر اللذَين أحبهما كريستوفر بصفة خاصة. كان يحملها على الشعور بأنها في حالة جيدة، وذكية بالرغم من أميّتها، وأنه قد يكون هناك بُعد جديد ومُترَف في حياتها.

عادت إلى واقعها، هايل باتشيت، مقتفيةً آثار النفايات من بروكسفيل، فلوريدا؛ موطن الليمون! هي التي غدت أكبر سناً بعشر سنوات، وتنزل إلى الحضيض بشكل لولبي، جاعلةً المال رفيقاً لها، ناشلةً زبائنها - إنها خِدَعها - كلما تسنّت لها الفرصة، مموّلةً معركة مستمرة تزداد تكلفة بهدف الحفاظ على مظهرها. ما هي المدة المتبقية لها قبل أن تزداد التجاعيد عمقاً ويصبح من الصعب عليها إخفاؤها؟

واصلت التنقيب في الدُّرج الأوسط للطاولة؛ كان مليئاً بالأوراق. بالنسبة إلى امرأة ناجحة، كانت هايل غير منظَّمة تماماً. ولكنها عثرت على ملف تحت كل تلك الأوراق. فسحبته، ووضعته على الطاولة، وفتحته.

حينئذٍ، سمعت صرير الباب وصوتاً غاضباً وراءها: "ماذا تظنين نفسك فاعلة بحق الله؟".

إنها جوستين أوليغار.

تباً!

أمسكت هايل الملف ووضعته على صدرها.

حملقت بها جوستين غاضبة وقالت: "طرحتُ عليك سؤالاً؛ ماذا تفعلين في مكتبي؟".

قالت هايل: "لا شيء". وهزت كتفَيها.

"لا شيء؟ ماذا تحملين بيدك؟". ثمّ خطت جوستين إلى الأمام ومدّت يدها، فتمسكت هايل بالملف، رافضةً إفلاته. لم يكن باستطاعتها

www.ibtesama.com

السماح لجوستين بالحصول عليه. ليس الآن، ليس بعد كل ما فعلته.

تأرجحت جوستين إلى الأمام محاولةً انتزاعه من يد هايل صارخةً: "أعطيني إياه".

تراجعت هايل إلى الوراء بسرعة وتعثّرت موقِعةً الملف ومحتوياته. وتمكنت من تجنّب السقوط من خلال التمسّك بطرف الطاولة الصغيرة ذات التصميم الحديث، مصطدمةً بالكتب وبمنحوتة صغيرة من السيراميك لرَجل طويل القامة، ونحيل، فسقطت على الأرض وتحطّمت.

تسمرت جوستين في مكانها للحظات، ومن ثم قالت: "إنها منحوتة لجياكومتي جديرة بالدراسة. هي لا تقدَّر بثمن".

جثت على ركبتَيها وشرعت بالتقاط الكِسَر المتحطمة، ذارفةً الدموع صارخةً: "اخرجي من هنا فحسب".

كان هناك عدد كبير من الأشخاص، وكثير من الأغراض، والكثير الكثير من الذكريات المدوّية في رأسها التي لم يكن أيّ منها جيداً. كانت بِل تبذل قُصارى جهدها، ولكنها لم تكن تتحمل الحشود؛ فالتجمعات الكبيرة تثير أعصابها. هي تفضّل السلام والهدوء في الاستوديو الخاص بها، وحياة فنان معزولة. نظرت حولها: هناك وجوه، والعديد منها لأشخاص مألوفين، ولكنهم كانوا في مجموعات صغيرة يتحدثون، ولم تكن تملك القدرة أو الشجاعة في ذلك الحين لمقاطعتهم.

شربت بِل محتوى كأسها ووضعتها من يدها، وألقت نظرة سريعة على الحشد بحثاً عن رجل واحد: توني أولسن. توجهت إليه على الفور وقالت: "يا سيد أولسن، أنا بحاجة إليك لتقوم بأمر ما لأجلي".

ابتسم أولسن وقال: "بالطبع يا بِل. أي شيء تريدينه".

"أريد منك فتح الصالة التي تحتوي على لوحتي... إنها وصيّة روزماري".

"لماذا تريدينني أن أقوم بذلك؟".

www.ibtesama.com

"رجاءً يا سيد أولسن. أعد بأنك ستفهم السبب حالما تفتح صالة العرض". وقف للحظات كما لو أنه يفكر ملياً في ما يتعيّن عليه القيام به، ومن ثم، راقبته بِل يحدد مكان أليكس هالتغرن ويخرج معه من القاعة. وبعد دقائق قليلة، عاد الرجلان وقصدا مع بِل الصالة البيضاوية الصغيرة حيث تُعلَّق لوحة وايفز 27.

عندما فتح أولسن باب صالة العرض قالت بِل: "رجاءً، أنزل اللوحة، يا سيد أولسن".

"ولكنني وعدتُ روزماري بأنها لن تنزل أبداً. هلاّ أطلعتني من فضلك على ما يجري يا بِل؟".

"رجاءً. لقد قطعتُ وعداً لروزماري أيضاً. رجاءً، افعل ما أطلبه منك".

أنزل أولسن اللوحة عن الجدار بحِرص، وسحبت بِل سكيناً سويسرياً صغيراً، وأمسكت اللوحة بإحكام، وقبل أن يتمكن أولسن من الاعتراض، قصّت القماشة السميكة في الناحية الخلفية للإطار. وسقطت مفكرة من الداخل.

سأل أولسن: "ما هذا؟".

لم تُجب بِل، سلّمته اللوحة ثمّ فتحت الصفحة الأولى للمفكرة ويداها ترتجفان بشدّة لدرجة أنها لم تعد قادرة على حملها. قلّبت الصفحات محدّقةً إلى خط صديقتها روزماري توماس، عاصرةً الدموع بأهدابها.

لم تلاحظ انتقال أولسن إلى جانبها، مراقباً إيّاها تُقلّب الصفحات حتى نهاية المفكّرة. 22 آب/ أغسطس، 2000. قبل عشر سنوات. لقد كُتبت هذه المذكّرات قبل يوم واحد من جلوس بِل في غرفة المشاهدة ورؤية صديقتها ممدَّدة استعداداً للموت.

كانت بِل قد قرأت مؤخراً أن أجنحة المحكومين بالإعدام في

www.ibtesama.com

السجون الأميركية تُعتبر مدافن بالنسبة إلى الأحياء؛ الأمر صحيح. كانت روزماري مَيتة طوال تلك الأشهر، وظل حكم الإعدام بحقنة قاتلة ماثلاً أمامها مع إخفاق كل المحاولات في محكمة الاستئناف.

عـاد تونـي أولسـن إلـى المكان الـذي يتجمـع فيه بقيّـة الضيوف؛ وأغلقت بِل المفكرة وتبعته. لم تستطع إيقاف الصور في مخيّلتها: صور معصمي روزماري وكاحليها وصدرها كلّها مربوطة بأحزمة، وكيفية فتح الستائر ليتمكن شهود الإعدام من رؤية تشغيل الحقنة المميتة. لقد عادت كل هذه الصور إلى مخيّلة بِل بتفصيل منفِّر: المحاولة الأولى الفاشلة، فتح تلك الستـائر وإسـدالها، فتحها وإسـدالها، والنظرة المرتسـمة على وجه روزماري.

كان باسـتطاعتها تذكّر كل لحظة من الليلة الطويلة السـابقة: الليلة الأخيرة لروزماري.

كانت روزماري رابطة الجأش باسـتمرار، وملوكيّة بتحمّلها، ولكن الإجهـاد ظهـر علـى صورة تجاعيـد وجهها وترهُّل كتفيهـا. لقد لازمت الزنزانة بلباس السجن الموحد برتقالي اللون وخُفَّيها الأبيضَين من دون وجود أي نافذة، والكاميرا مشغلة لمراقبتها، وبالرغم من كل ذلك، فقد حافظـت علـى كرامتهـا حتى النهاية. كان باسـتطاعة بِـل رؤية روزماري تخطّ مذكّراتها الأخيرة، مواصلةً الكتابة باضطراب.

عندما انتهت، تحدّثتا لبعض الوقت وأمسكت يد بِل، وقالت أخيراً: "بِـل، فلنكـفّ عـن الكلام. اجلسـي معي فحسـب". وبعـد ذلك قالت: "عِدينـي بأمـر أخير. أريد منك الاحتفاظ بالمفكرة. فأولئك الذين كتبتُ عنهم سيعرفون ما يعني ذلك. ولكنني لا أريد الكشـف عن المضمون حتـى تصبـح ليلـى وبِن أكبر سـنّاً. هل تفهمين؟ لقـد طلبتُ في وصيّتي إحياءً للذكرى العاشـرة لوفاتي. عندها، أريد منك قراءتها، في الذكرى، وليس قبل ذلك. هل تعدينني بذلك؟".

www.ibtesama.com

فقطعت بِل وعداً.

وها هي تُلقي نظرة سريعة على المفكرة، وتفرك الغلاف الجِلدي والصفحات بأصابعها للتأكد من أنه أمر واقعي. نظرت مجدّداً إلى الصفحات الأخيرة من تلك المدوَّنة، وتذكرت روزماري وهي تُطلق الشتائم عندما فرغ قلمها من الحبر، وكيفية قيام بِل بالبحث في حقيبة يدها عن قلم آخر. كان باستطاعة بِل رؤية ذلك المكان حيث حدث تبدّل في لون الحبر من الأزرق إلى الأسود.

عندما بلغت منطقة الاستقبال، رأت توني أولسن يتنقل في أرجاء القاعة، هامساً في آذان بعض الضيوف. ساد الصمتُ القاعة بعد توقف الثرثرة شيئاً فشيئاً. لقد بدا الأمر في الواقع كما لو أن أحدهم قام بالضغط على زر تجميد المشهد. لقد توقف الجميع عن الكلام ونظروا إليها، أو بدقة أكبر، إلى الشيء الذي تحمله بيدها.

نظرت بِل إلى زوجها، دون، الذي كان يمضغ الناحية الداخلية لفمه، وهو أمر لا يقوم به إلا عندما يكون منزعجاً من أمر ما ويحتاج إلى التفكير فيه.

بعد ذلك نظرت إلى بيتر هوسن، شقيق روزماري. فوفقاً لروزماري، كان على شفير الإفلاس قبل وفاتها ولكن ممتلكاتها كانت تعود عليه بمبلغ وافر من المال. تساءلت بِل في سرّها: لماذا كان ينظر كما لو أنه قضم شريحة من الليمون الحامض؟

كما بدا وجه ستان بالارد، محامي روزماري ومدير ممتلكاتها، أشبه بوجه رجل لم يتمكن من بلوغ الحمّام في الوقت المناسب. فقد استمرّ بالاتكاء على هذه الساق وتلك، شادّاً أُذُنه، ممرّراً يده على شعره، ومسوّياً ربطة عُنُقه.

كانت هايل باتشيت وجوستين أوليغار جالستَين في مكانَين متقابلَين، وذراعا أوليغار مشبكوتين إلى صدرها، وعلى وجهها صرامة

www.ibtesama.com

تحجب كل تأثر أو انفعال. ولكن وجه باتشيت بدا متّشحاً بالتعَب، وفمها بدا متهدّلاً، وعيناها حزينتين، كما لو أنها أطلقت العنان لشيء ما في داخلها واستسلمت.

نقّلت بِل نظرها من شخص إلى آخر وهي تقول في سرّها: الأمر أشبه بلوحة رسم لمجموعة من الناس.

عندئذٍ، أدركت أنها ستستمتع بذلك، وشعرت بازدياد ثقتها بنفسها بشكل فجائي. وبإيماءة بالرأس وابتسامة تنمّ عن عصبية مزاج، فتحت المفكرة على الصفحات التي كتبتها روزماري في الليلة الأخيرة من حياتها.

www.ibtesama.com

23

تيس غريتسن

كان باستطاعة بِل الشعور بقلبها يخفق بقوة. ما هي الأسرار الكامنة في المفكِّرة؟ أي صندوق باندورا كانت على وشك أن تفتحه؟ بدأت حديثها قائلةً: "يعود تاريخ المدوَّنة الأخيرة إلى الثاني والعشرين من آب/ أغسطس، 2000". سكتت هنيهةً، ثم نظرت إلى الجمع مضيفةً: "اليوم السابق لإعدامها".

قال أولسن: "اقرأيها".

ازدردت بِل بصعوبة، وشرعت بالقراءة:

أصبحتُ المرأة غير المرئية.

لا أعرف متى حدث ذلك بالتحديد، عندما بدأتُ أتوارى عن الأنظار مثل هر شيشاير، ويبهت وجهي شيئاً فشيئاً ويبقى ظل ابتسامتي دون سواه. لا بد من أن يكون الأمر قد بدأ بعد ولادة ليلى بقليل، كما أعتقد. حدث ذلك عندما لاحظتُ للمرة الأولى أن كريستوفر لم يعُد ينظر إليّ كما يبدو، بل ينظر من خلالي كما لو أنني أصبحت شفافة. عندما يتوقف زوجك عن النظر إليك، تبدأين بالشعور بأن بقيّة العالم تتوقف عن النظر إليك أيضاً.

في وقت من الأوقات، كان باستطاعتي لفت أنظار رجل من خلال ارتداء تنورة قصيرة وانتعال حذاء ذي كعبين عاليين، والانضمام إلى تجمّع مؤرِّخين جديّين ورؤية النظرات المُجفلَة على وجوههم عندما يدركون أن القيّمة على قسم الأسلحة والدروع شابّة جذّابة؛ وكنت جذّابة. روزماري التي كانت ذات مرة: واثقة بنفسها ومستبشِرة، مستعدة لأُحِب وأُحَبّ.

www.ibtesama.com

لقد ذهبت تلك المرأة الآن، وحلّت مكانها امرأة لا يراها أحد كما يبدو، امرأة تدخل الغرف من دون أن يلاحظ وجودها أحد، امرأة لا تلفت الانتباه. لست الوحيدة في هذا الأمر. فهذا ما يتسبب به مرور الوقت لكل النساء. هو يعرّض خواصرنا، ويخطّط شعرنا باللون الرمادي، ويجعّد البشرة حول أعيننا.

ولكن للخَفاء فوائده أيضاً.

لقد وجدتُه مفيداً في ذلك الصيف.

في مسائي الأخير هذا على الأرض، لا أعرف ما الذي يدعوني للتركيز على تلك الذكرى بصفة خاصة. ففي الأسابيع الماضية، كنت أستعرض حياتي، متذكرةً كل خياراتي غير الصحيحة، وكل نقاط التحول عندما كان باستطاعتي اتخاذ قرار أكثر حكمة يودي بي إلى مصير مختلف وأكثر سعادة. ولكنه المصير الذي لا يمكنني التخلص منه الآن، ولا أتمالك نفسي عن التفكير في نقاط التحوّل الحاسمة تلك – في ذلك اليوم من حزيران|يونيو عندما دخلتُ ردَهة فندق كورونادو أوتيل.

في ذلك اليوم، قُرِّر مستقبلي نهائياً.

لم تكن زيارتي الأولى لذلك الفندق القديم الفخم. فقبل سنوات، عندما كنتُ متزوّجة حديثاً، تمشّيتُ على مَهل في الردَّهة بفستان يكشف عن ظهري وكتفيّ وذراعَيّ، ورأيتُ موظفاً يرافق الضيوف إلى غرفهم يحدّق إلى ساقَيّ بإعجاب. ولكن هذه المرة، عندما دخلتُ ردَهة الفندق، لم ينظر إليّ أحد. كنت مجردّ امرأة متزوجة، خجولة، بنيّة الشعر، ترتدي قميصاً عديم الشكل وسروالاً فضفاضاً، تكاد لا تستحق إلقاء نظرة سريعة عليها عندما تكون هناك إناث أخريات للتحديق إليهنّ، إناث شابات لا يزلنَ يحتفظنَ بتألّق الشباب ولم يتخلّينَ عن قوامهنّ لأجل الأمومة، ولم تكن أكتافهنّ مترهّلة بسبب إذلالات الزواج من كريستوفر توماس.

وكأنني هناك الآن أراقب أحد تلك النماذج الرائعة تمرّ بجانبي في الردَهة: ذات شعر لمّاع، وبشرة مثالية، ومِشية امرأة تعرف أنها جميلة، فأقول في سرّي: استمتعي بذلك قدر ما تستطيعين يا عزيزتي، لأنك يوماً ما ستجدين نفسك حيث أنا موجودة بالتحديد. فأغرق في الأريكة ولا تراني المرأة خلال مرورها

www.ibtesama.com

بجانبي متوجّهةً إلى قاعة الكوكتيل. ولكن باستطاعتي رؤيتها تماماً. أراها تمرّ بانسياب بجانب المشرب. أراها تربّت على كتف رجل جالس هناك، فيستدير ويبتسم لها، ويضع ذراعه حول خصرها للترييت على مؤخرتها. إنها إيماءة الألفة العفوية، طريقة يمكن للرجل بواسطتها الترحيب بزوجته.

والمشكلة أن زوجة الرجل ذاك هي أنا.

أراقب المرأة ذات الشعر اللماع تغادر وكريستوفر قاعة الكوكتيل ويتمشيان يداً بيد إلى السلّم الكبير. إنهما متدثران جداً بشهوتهما؛ هما لا يلاحظانني أتبعهما على السلّم المكوّن من مجموعتَي درجات إلى القسم التاريخي في الفندق. وبعد ذلك يعبران رواقاً أخّاذاً ولكنه يُحدث صريراً، ويتواريان عن الأنظار داخل غرفة الضيوف، ويقفَل الباب، وأسمع طقّة إغلاق قفل الخلوة.

لا أتمالك نفسي، فأقف خارج الغرفة وأتخيّل ما يجري وراء الباب المقفَل. أتصورّ الملابس مبعثرة على الأرض، والجسدين العاريين على السرير. أتصورّ يدَي زوجي على ذلك الجسد الشاب الناعم، جسد لم يُنجب له طفلَين وكرّس له طوال عقد من الزمن.

لماذا عذّبتُ نفسي بتلك الطريقة؟ لماذا تبعتُه وأنا على علم بهدف رحلته؟ ليست رحلة عمل، كما ادعى. لا، لا علاقة للأمر بالأعمال أبداً. بعد كل النساء اللواتي عانيتُ منهنّ، كنت أعلم بالتحديد ما الذي يخطط له كلما غاب بضعة أيام، أو حتى بضع ساعات.

فجأةً، يطفح بي الكيل وأنا واقفة خارج الغرفة، فأبتعد عن ذلك الباب المقفَل وأخرج من المبنى إلى باحة الحديقة. هناك أتصل بالشخص الوحيد الذي يمكنني الاتصال به لأجل هذه المسألة. أنا أُكنّ له بعض الاحترام، ولكن على الأقل، تلتقي مصالحه مع مصالحي في هذه القضية.

"عليّ العثور على طريقة لأحصل على الطلاق يا بيتر، لا يمكنني تحمّل ذلك بعد الآن".

يتنهّد شقيقي بنفاد صبر، ولم يكن قطّ أهلاً لمنح التعاطف، فيقول لي:

www.ibtesama.com

"مجدّداً؟ تقولين ذلك باستمرار، ولا تنفذّي أبداً ما تقولينه".

"بسبب صغيريّ".

"سيتخطيان الانفصال. الصغار يتأقلمون مع الأوضاع على الدوام".

"لا، لا أعني ذلك، إنه كريس... سيواجهني ليحصل عليهما".

"لماذا؟ لا يُبالي بهما أبداً".

"ولكنه يُبالي بالمال. سيستخدمهما للمساومة على كل سنت يمكنه الحصول عليه مني".

عندها فقط، يُدرك شقيقي خطورة الوضع. فالمال هو أكثر ما يكترث له، فيقول: "لا يمكنه القيام بذلك، المال مال عائلتنا".

"ولكن الطفلَين طفلاه أيضاً. وإذا مُنح حق رعايتهما...".

"باستطاعته وضع يدَيه على أموالهما التي تكون في عُهدته"، يقول بيتر، متمّماً كلامي. فبيتر ذكي عندما يريد ذلك.

"قد يعقّد هذا الأمر حياتك أيضاً. كل الأمور مرتبطة ببعضها، كل استثماراتنا".

"ماذا تقترحين؟".

"لا أعرف! لا أعرف ماذا أفعل! أريد التخلص منه. ولكن في الوقت نفسه...".

"ماذا تريدينني أن أفعل؟".

"لا أعرف. لا قدرة لي على التفكير بوضوح الآن. أريد إنهاء الألم فحسب. أريد وضع حدّ لمشاعري المجروحة".

ضحك بيتر وقال: "حسناً يا روزي، أنت تعرفين كريستوفر، ربما يضيق ذَرع أحد معارفه في عالم الإجرام به ذات يوم ويجعل منك أرملة سعيدة".

لم أقل شيئاً عن هذا الأمر لأنه قد يكون مناسباً في الأوقات العصيبة؛ وكان

www.ibtesama.com

الوقت عصيباً.

"بيتر، كل ما أطلبه هو القليل من الاطمئنان. أريد أن أعرف أنه سيتم الاعتناء ببِن وليلى على الدوام، وأنهما سيكونان آمنَين ومرتاحَين، هذا ما يهمّني".

"حسناً، هذا ما سيكونان عليه بالتأكيد. في حسابهما رصيد مالي وافر".

"ولكن، هل سيبقى وافراً؟ حتى وإن حدث لي أمر ما؟".

"ما الذي يمكن أن يحدث لك؟ حتى وإن حدث لك أمر ما، فأنا خالهم. هل تعتقدين أنني سأسمح بتعرّضهما للسرقة؟".

"هل تعني ما تقوله، يا بيتر؟ هل ستعتني بهما؟"، حتى خلال طرحي هذا السؤال، أدرك أنه نابع من يأسي الكلّي، وأنه لا وجود لشخص آخر أطرحه عليه.

وبالطبع، يخذلني بيتر.

"اسمعي، لماذا لا تذهبين لتناول الشراب أو ما شابه؟ كُفّي عن التفكير في هذا الأمر. أنت تُجهدين نفسك من دون جدوى".

ذلك هو جواب بيتر لكل شيء: تناول الشراب. ولكن، لربما تكون نصيحة جيدة هذه المرة. فها أنا ذا أنهي حديثي وأقصد مقصفاً.

ولكن بعد كأسين من الشراب الحلو اللذيذ، لا يزال عقلي يستعيد صورة زوجي مع تلك المرأة في السرير. فأتساءل عمّن تكون؛ لم يسبق لي أن رأيتها من قبل. متى وأين التقى بها؟ هل تعرف أنه متزوج؟ هل تعرف أي شيء عنه؟

وإذ بي أشعر بالتهوّر خلال توجهي إلى المكتب الأمامي في الفندق، فأقول: "اعذرني، فقدتُ مفتاحي. مفتاح الغرفة رقم 215، الاسم الأخير توماس".

"آسف يا سيدتي، ولكنني بحاجة إلى رؤية بطاقة هويتك".

"بالتأكيد". وها أنا أُريه رخصة سَوقي، مراهِنةً على أن كريس سجّل اسمه الحقيقي.

www.ibtesama.com

وأكسب رهاني. لقد اصطحب امرأة إلى الفندق الذي أمضينا فيه شهر العسل ولم يتكبد عناء إخفاء هويّته.

يقول الموظف: "تفضّلي يا سيدة توماس"، ويسلّمني البطاقة المفتاح.

ها أنا أنتظر خروج كريس وآخر عشيقاته لتناول الغداء في المطعم، لأشقّ طريقي إلى غرفتهما وأدخل. في الداخل، أجد ملاءات سرير مجعّدة، ومناشف مبللة على الأرض. في الحمّام، أجد حقيبة تبرجّ نسائية، فأفتحها، وأخرج علبة أقراص، فأجد اسم المرأة مطبوعاً بوضوح. كل ما أعرفه عنها هو أنها تتناول حبوباً منوّمة وأعرف اسمها.

هايل باتشيت.

توقفت بِل عن القراءة ونظرت إلى هايل مسمرَةً عينيها عليها. ساد الصمت المُطبَق القاعة، والجميع يحدّقون إلى هايل.

وجّهت هايل نظرها نحو الأرض، وتمتمت قائلةً: "أُعذروني". ثمّ غادرت القاعة.

قال نان لبِل: "تابعي".

فتنحنحت بِل وأكملت من حيث توقفت.

في تلك الليلة الشنيعة عندما رأيتها مجدّداً في افتتاح بولوك بعد أن طلب مني كريس الطلاق، كان قد طفح الكيل وانفجرتُ غضباً. يا له من خطأ! في تلك اللحظة كما أتذكر، بدأت حياتي تخرج عن السيطرة.

ولكنّ هايل كانت مجرد نزوة أخرى في سلسلة طويلة من النساء اللواتي استغلّهنّ كريس وهجرهنّ. هناك امرأة واحدة فقط وجدت الشجاعة وتحلت باللياقة والأدب للوقوف في وجهه ورفض تودّداته. وحرِص على أن تعاني بسبب ذلك.

لهذا السبب، سأعتبر على الدوام بِل ماكغواير صديقة لي.

توقّفت بِل عن القراءة مجدّداً، وبدت كما لو أنها تلتقط أنفاسها قبل أن تُتابع:

www.ibtesama.com

ولكنها كانت الاستثناء الوحيد المُشرق، فالأخريات كنّ متلهّفات جداً للتعرض للاستغلال. لقد تعلّمتُ الشعور بالأسف عليهنّ، والتفكير في أنهنّ مجرد ضحيات ضعيفات الإرادة. أكتب عنهنّ الآن لأشرح فقط أي نوع من الرجال تزوّجتُ به. إنه دفاع ضعيف، أعرف ذلك، ولكنه الدفاع الوحيد الذي يمكنني تقديمه لصغيريّ اللذين سيقرآن هذه الكلمات ذات يوم.

وهذه المدوّنة النهائية موجّهة إليهما.

بن وليلى، الأعزّ إلى قلبي، طلبت من صديقتي بل الاحتفاظ بهذه المفكرة حتى يحين الوقت المناسب. وعندما تسمعان هذه الكلمات تكونان قد أصبحتما راشدَين وتديران شؤونكما المالية. لن تكونا بحاجة إلى وصيّ وستكونان مستعدَّين لمعرفة الحقيقة.

بجلوسي بمفردي في السجن ليلة بعد ليلة، تساءلتُ تكراراً عما إذا كانت مكالمتي الهاتفية التي أجريتها مع بيتر بعد ظهر ذلك اليوم الذي كنت فيه في الفندق قررت مصير والدكما نهائياً. لقد تساءلتُ ما إذا كنت مُذنبة بطريقة سلبية. فطالما كان المال الدافع الأساسي لشقيقي في الحياة، وعرفتُ ذلك على الدوام. هل شعر بالذعر عندما سمعني أنفجر غضباً في وجه والدكما بسبب الطلاق؟ لا أستطيع التوصل إلى قرار في شأن ما إذا كان شقيقي قادراً على ارتكاب جريمة مماثلة، فكيف بتركي أموت بدلاً منه؟ إضافةً إلى ذلك، لا أملك أي دليل، ولا يأخذ القانون في الاعتبار سوى الدليل، وكل الأدلة تشير إليّ بطريقة ما.

لقد قيل لكما إنني قاتلة، وإنني قتلت والدكما؛ قد يكون الأمر صحيحاً ربما عندما تمنّيتُ له الموت، ولكنني لم أقتله. لم أوجّه أي ضربات، لم أُرق أي دماء. من المهم لي أن تعرفا ذلك.

الآن، يُشارف اليوم على الانتهاء، وغداً هو يومي الأخير. أحبكما، يا عزيزَيّ، وقبلاتي الحارة لكما.

ودمتما، والدتكما،

روزماري هوسن توماس

www.ibtesama.com

أغلقت بِل المفكرة ببطء، وقالت بهدوء: "تلك كانت الكلمات الأخيرة التي كتبتها".

قال ستان بالارد بغضب: "كيف نعرف أن أيّاً من ذلك صحيح؟".

قال هانك زاكاريوس: "تلك المفكرة هي بمثابة الاعتراف الأخير".

قالت بِل: "ما إن أنهت كتابة ذلك حتى سلّمتني إيّاه، لا سبب يدعوها للكذب".

تنفّس نان بعمق، ونظر إلى بيتر هوسن مباشَرةً قائلاً: "علينا الافتراض أن روزماري قالت الحقيقة حقاً. ما يعني أنها لم تقتل زوجها".

www.ibtesama.com

24

ليزا سكوتولاين

"لا، لم تقتله. ولكنها ماتت بفضلك أيها التحري". إنه بِن توماس، ابن روزماري. فبالرغم من ملاحظة الشبه الخارق بوالده من النظرة الأولى، بدت نظراته التي اخترقت نظرات نان مشابهة جداً لنظرات روزماري. كانت شقيقته واقفة بجانبه تنظر إلى الأرض، وشعرها البنّي يغطي وجهها جزئياً. قلّة هم الضيوف الذين رأوا ابن توماس وابنته منذ المحاكمة. لقد ارتادا المدرسة، ومن ثمّ الكلّية في وقت لاحق.

توجّه بِن نحو نان وقال: "إذاً، أنت تعرف الآن ما كنا نعرفه على الدوام، وهو أن والدتنا لم تقتل والدنا. كم من الوقت تطلّبك الأمر لتدرك ذلك؟".

لزم نان الصمت، وساد الهدوء التام القاعة.

"كم من الوقت تطلّبك الأمر للقيام بواجبك والتحقيق في شأن خالنا العزيز؟"، واستدار بِن وحدّق إلى بيتر هوسن بغضب.

تنهّد بيتر بضيق صدر وقال: "لماذا أرغب في قتل والدكما؟".

نظرت ليلى توماس إليه وقالت: "لماذا؟ قالت والدتي السبب في مدوّنتها الأخيرة: المال. لطالما كان الأمر الوحيد الذي اهتممتَ به. كنت تريد المزيد على الدوام"، ثمّ نظرت إلى شقيقها وأضافت: "لقد اعتاد الإنفاق من أموالنا قبل أن نكبر بما يكفي لنبدأ بطرح الأسئلة".

أفرغ بيتر محتوى كأسه من الشراب وتنحنح قائلاً: "إنها كذبة!"، صرخ بصوتٍ عالٍ ثم أخذ نفَساً عميقاً وأضاف: "اسمعا، لم يكن أحد

www.ibtesama.com

يعرف والدتكما بقدري، ولم يحبّها أحد أكثر مما أحببتها، وأنتما تعرفان ذلك. ولكن روزي جُنّت يوماً بعد يوم في زنزانة السجن تلك وهي تنتظر الموت. لا يمكننا أخذ كتاباتها المفكّكة وغير المترابطة بجدية..."، نظر إلى ستان بالارد وقال: "لقد انهارت، أتذكر؟".

أومأ بالارد فحسب.

كانت ليلى قد عبرت القاعة ووقفت قُبالة خالها، ناظرةً إلى وجهه مباشَرةً صارخةً بوجهه: "ألا تكفّ عن هذا الكلام أبداً يا خالي بيتر؟ والدتنا كانت رائعة ومُحِبّة، لقد لُفّقت لها جريمة لم ترتكبها، وعانت الكثير من فقدان الاحترام في حياتها..." سكتت ليلى موجّهةً نظراتها المحدّقة إلى جوستين التي كانت تنظر إلى الأرض متجنّبةً عينَي المرأة الأصغر سنّاً، ثمّ استدارت ليلى للنظر إلى بيتر مجدّداً متابعةً كلامها: "وها أنت تقلل من احترامها في مماتها أيضاً".

مدّت يدها وصفعته بقوة على خدّه.

التمعت عينا بيتر بسبب شعوره بالمَهانة، وحدّق إلى ابنة شقيقته للحظات، ثمّ استدار بعد ذلك وغادر القاعة.

انتقل بِن توماس إلى جانب شقيقته.

اقترب توني أولسن، وأخذ المفكرة من بِل مسلّماً إيّاها إلى بِن وهو يقول: "هي لك، لكما. إنها إرث حيّ، لَرغبت والدتكما بالاحتفاظ بها. أنتما مالكاها الشرعيان".

وقبِل بِن المفكرة.

طرفت ليلى بعينَيها للتخلص من الدموع وقالت: "شكراً لك".

تقدّم منها توني ووضع يداً مواسية على كتفها قائلاً: "في الواقع، لم أصدّق قطّ أن لوالدتكما علاقة بالأمر".

قالت ليلى: "أعرف".

همس في أُذُنها: "كنت آمل الكشف عن القاتل الليلة، وربما فعلنا".

حدّقت الفتاة إليه وأومأت.

www.ibtesama.com

25

فيليب مارغولين

شعر نان بضرورة الخروج لدقائق قليلة، كان بحاجة إلى الاختلاء بنفسه والتفكير في ما حدث للتوّ، لذلك توجه إلى الممر المنحدِر وصولاً إلى صالة العرض السفلية، ومن ثم إلى المَخرج. كان قد وُضع حارس عند الممر، ولكنه غادر. وعندما وصل نان إلى الطابق الأرضي، جال في الرَّدهات المُظلمة مفكراً في ما سمعه للتوّ، ووجد نفسه في قاعة الأسلحة والدروع.

تجوّل في أنحاء القاعة، ثمّ توقف لدى مروره بإحدى واجهات العرض؛ لقد لاحظ وجود أمر غير مألوف. كانت الواجهة تحتوي على خناجر وسيوف أُرفِق كل منها ببطاقة تحمل معلومات عن المُنتَج، وكُتبت على إحدى البطاقات عبارة **خِنجر رونديل، القرن الرابع عشر**، ولكن المكان حيث يُفترَض أن يكون فيه الخِنجر كان فارغاً.

وفي أثناء اقترابه من الواجهة لتفحّص الأمر عن قُرب، سمع زعيقاً تردّد صداه عبر جدران المتحف الرخامية.

كان باستطاعة هانك زاكاريوس تحسس وجود قصة جديدة في حين غفِل مراسلون آخرون عما يدور من حولهم، ولكنه لم يكن بحاجة إلى أي حَدس مميَّز ليدرك أن زعيقاً منفِّراً هو أمر غير مألوف في متحف.

كان بعيداً عن مصدر الصوت فركض مسرعاً سالكاً الممر وتفاجأ برؤية توني أولسن يعبر الرَّدهة نحوه. كانت كتف أولسن متوازية مع باب الحمامات المخصّصة للنساء، وظن هانك أنه رأى الباب يُغلَق،

www.ibtesama.com

ولكنه لم يكن واثقاً من ذلك.

سألن أولسن: "هل سمعتَ زعيقاً؟".

قال زاكاريوس: "أجل، ظننت أنه صدر من هذه الرَّدهة".

قال أولسن مشيراً إلى الغرف في الجانب الآخر من الرَّدهة حيث توجد الحمامات: "سبق لي أن مررتُ بالمكاتب، ولا يوجد فيها أحد".

"تبقى الحمّامات". فتح هانك باب الحمامات المخصّصة للرجال، ولكنه لم يجد أحداً.

صاح أولسن من داخل الحمامات المخصّصة للنساء: "إلى هنا".

أخرج هانك هاتفه المحمول واندفع إلى الداخل.

كانت هايل باتشيت ممدَّدة على الأرض.

التقط هانك صورة سريعة للمرأة صغيرة السن، وصورة قريبة للدم النازف من جرح بليغ في الجهة الخلفية من رأسها.

صاح أولسن: "ماذا تظن نفسك فاعلاً؟".

تقدّم هانك خطوة إلى الأمام في اتجاه هايل، ولكن أولسن أبعده.

قال أولسن: "اخرُج ولا تدَع أحداً يقترب من هذا المكان، واطلب من شخص ما الاتصال بالشرطة".

كان الجميع محتشدين حول باب الحمامات المخصّصة للنساء.

شقّ نان طريقه إلى الداخل، فوجد توني أولسن وهايل باتشيت المروَّعة جالسة على الأرض، ساندةً ظهرها إلى الجدار. كانت تضع يدها على الجهة الخلفيّة من رأسها والدم يتسرّب من بين الضفائر المتشابكة لشعرها الأحمر.

سأل نان: "ماذا حدث؟".

قالت هايل. "لا، لا أعرف، كنت أضع أحمر الشفاه عندما رأيت انعكاس ظلٍّ على المرآة. الأمر الثاني الذي أتذكره هو أنني عندما فتحت عينيّ رأيته"، وأشارت إلى توني أولسن.

www.ibtesama.com

نظر أولسن إلى نان وقال: "كنت مع زاكاريوس عندما وجدناها".

أومأ نان وقال: "هل تظنين أن المهاجِم كان هنا عندما دخلتِ أم أن هناك من تبعك إلى الداخل؟".

هزت هايل رأسها فحسب.

اندفع شرطيان عبر الممر المنحدِر في اتجاه الحمامات المخصّصة للنساء، وبعد دقائق قليلة، خرجت هايل باتشيت وقد وُضِعت على الجهة الخلفيّة من رأسها ضِمادة.

طمأنت هايل الحشد المُربَك والقلق قائلةً: "أنا بخير. مجرَّد خدش". لقد شعرت بالإحراج بسبب تحديق الجميع إليها.

كان هانك زاكاريوس قد انضم إلى المجموعة ولكنه بقي وراء الجميع، هامساً عبر هاتفه المحمول، ساحباً القصة من التداول.

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

26

جيفري ديفر

قال الشرطي الجنائي الميداني، الذي كان قد وصل للتوّ، للحارس الأمني الجالس إلى الطاولة الكبيرة في الرَّدهة الأمامية للمتحف: "ليلة مجنونة، أليس كذلك؟".

أجاب الحارسُ الشرطيَّ الذي كان يجمع مع شريكه معداتهما: "تُعتبر من الليالي الأكثر غرابة". كان رجلا الشرطة اللذان قدِما إلى المتحف بعد تلقّي الاتصال الهاتفي قد غادرا، ولكن بعد أن طرحا بضعة أسئلة. كما غادرت السيدة المسكينة المصابة بجرح في رأسها المتحف أيضاً، ولكن في سيارة إسعاف. ألقى الحارس نظرة سريعة على الشرطيَّين الجنائيَّين الميدانيَّين مرة أخرى: كانا يرتديان تَينك البذلتَين - بذلتان أحاديّتا القطعة، وجوارب محبوكة، وقبّعتان، وقناعان - اللتين جعلتهما يبدوان أشبه بجرّاحَين أكثر منهما شرطيَّين. لقد حضرا لمعاينة مسرح الأحداث. كان يعرف أنهما سيستخدمان هذا التعبير لأنه يتابع المسلسل التلفزيوني سي آي أس.

ألقى الحارس نظرة إلى الخارج ولاحظ وجود عربة النقل المُقفَلة التابعة للوحدة الجنائية الميدانية مركونة قرب الحاجز الحجري عند طرف الطريق، وبجانبها سيارة إسعاف أخرى استجابت للاتصال.

سأل الحارسُ الشرطيَّ الجنائي الميداني الأطول قامةً: "ماذا يوجد في سيارة الإسعاف الثانية؟".

"تحضر أكثر من سيارة إسعاف واحدة في بعض الأحيان. هل

www.ibtesama.com

يُقيمون حفلة في الداخل؟".

"بل إحياء ذكرى وفاة".

"ما نوع مسدسك؟"، سأل الشرطي الآخر، مومئاً برأسه في اتجاه المسدس المثبّت إلى حزام بذلة الحارس الأمني.

"آه! إنه مجرّد كولت. عيار 38. لا يسمحون لنا بحمل أسلحة أوتوماتيكية هنا. لا أعرف السبب".

قال: "ما رأيك بذلك. أحمل مسدساً احتياطياً من عيار 38"، ثمّ ألقى نظرة سريعة إلى كاحله وتابع: "إنه سلاح جيد".

قال الحارس بفخر مسروراً لأن الشرطي يحمل مسدساً مماثلاً لمسدسه: "يمكن الاعتماد عليه تماماً".

"هل تحمل سلاحاً احتياطياً؟".

أجاب الحارس ضاحكاً: "أنا؟ ولا حتى بشق النفس".

"آه! جيد".

"جيد؟"، سأل الحارس بتشكك، متسائلاً عن سبب كون ذلك أمراً جيداً. بعد ذلك، تبادر إلى ذهنه أن لا معنى لوجود الشرطة الجنائية الميدانية هناك. يصبح الأمر ذا معنى إذا...

قال الشرطيّ الأطول قامة: "سأقول لك أمراً؛ ارفع يديك".

قال الحارس بشقاء في أثناء قيام الشرطي الآخر الواقف وراءه بتصويب مسدس إلى جمجمته: "آه! لا. لقد فهمتُ... تبّاً، إنها مكيدة، أليس كذلك؟ لستما شرطيّين. أنتما تقتحمان المكان، أليس كذلك؟".

كرّر الأول: "يديك".

رفع الحارس يدَيه وهو يشعر برغبة في البكاء قائلاً: "لن تؤذياني، أليس كذلك؟".

أخذ الشرطي الثاني - حسناً، المتنكّر بهيئة شرطي - مسدس الحارس عيار 38، ومحفظة نقوده أيضاً.

www.ibtesama.com

سأل الأول: "ما هو نصف الرمز الذي لديك العائد لصالة العرض الخاصة، تلك الموجودة في البرج؟".

إنها صالة العرض التي تحتوي على لوحات ورسوم صغيرة مطبوعة على قماش كتاني، ولكنها هامة، ويعود تاريخها إلى عصر النهضة الأوروبية، كما إنّها تُستخدَم لإقامة معرض متجوِّل. لقد تطلّب الأمر عاماً كاملاً لحمل الفاتيكان على الموافقة على إقراض المتحف التُّحف الفنية، ولم يقم بذلك إلا لأن المتحف مجهَّز بنظام أمني خاص يمكن لشخصَين اختراقه.

"آه! لا يزوّدوننا بتلك المعلومات".

قال الواقف وراءه: "مَن هذه الفتاة الصغيرة التي تظهر في الصورة؟".

واستدار الحارس بسرعة ورأى الشرطي الثاني الزائف يبحث في محفظته.

"ابنتك، أليس كذلك؟ هل هي في المنزل الآن؟".

شرع الحارس بالصراخ قائلاً: "أعرف نصف الرمز لا غير".

أجاب الرجل بهدوء: "هذا كل ما طلبتُه".

قال الحارس من دون تفكير حابساً أنفاسه: "واحد سبعة سبعة أيه أم كيه علامة استفهام ثمانية ثلاثة واحد؛ والأحرف كبيرة. يتطلب فتحها معالجة متأنّية. رجاءً، سأفعل ما تشاءان...".

دوّن الأول الرمز على عجَل قائلاً: "إذا كان صحيحاً، فلن تكون بحاجة للقيام بأي شيء آخر". وبإيماءة رأس، قُيِّد بشريط لاصق، وسُحب إلى داخل غرفة ملابس في الجوار.

وفي أثناء مغادرتهما، أطفآ الأنوار، تاركَين إيّاه في الظلام للتفكير مليّاً في مدى إهماله لعدم اتّباع البروتوكولات الأمنية الأكثر صرامة، وفي أي نوع من الكوابيس سيصاب بسبب اقتحام صالة العرض القائمة في البرج.

www.ibtesama.com

كانا يدعوان نفسَيهما بوب وفرانك، وهما اسمان قصيران ولكن، والأهم من ذلك، مختلفان حيث لا يحدث أي لَغط بينهما في أثناء استدعائهما من قِبَل شخص ثالث يعملان معه.

بعد إلقاء الحارس في غرفة الملابس، عادا إلى الرَّدهة. كانا لا يزالان في بذلتَي مسرح الجريمة اللتين مكّنتهما من دخول المتحف، وهما يرتديانها أطول فترة ممكنة في أثناء قيامهما بمهمة ما كي لا يخلّفا وراءهما ما يشير إليهما.

توجه بوب إلى الباب الأمامي للمتحف، وألقى نظرة إلى الخارج، وفتح القفل. لوّح لشركائهما - أولئك المتنكّرون بملابس المسعفين في سيارة الإسعاف الوهميّة. نظر أحد هؤلاء المسعفين إلى بوب وقال: "عشر دقائق. سنضمن أمن الصالة ونُعلمكم عندما يكون الجوّ مهيّأً".

"كلنا على استعداد".

صعد فرانك وبوب السلّم في اتجاه صالة العرض الكبيرة أعلى البرج. في الأعلى، توقفا قليلاً للتحقق مجدداً من مسدّسَيهما من طراز بيريتا، والتأكد من تركيب كاتمَي الصوت بالطريقة الصحيحة.

بعد ذلك، نظر أحدهما إلى الآخر نظرة سريعة وأومأ، وانعطفا عند الزاوية، ثمّ دخلا القاعة حيث كان الضيوف لا يزالون مجتمعين ويتبادلون أطراف الحديث حول ما حدث تلك الليلة، متناولين الشراب للتهدئة من رَوعهم.

لم يلاحظ الحاضرون عملية الاقتحام في بادئ الأمر، ولكن أحدهم شهق وآخر صاح، واستدار بقيّة الحشد.

"انتظرا!".

"من أنتما؟".

"ماذا تفعلان هنا؟".

طُرحت أسئلة أخرى، وأُطلقت صيحات لا جدوى منها. قال بوب

www.ibtesama.com

في سرّه: انفعالات... يا له من هدر للوقت والطاقة!

قال بصوت هادئ: "لا أحد يلمس هاتفاً محمولاً، ليركع الجميع، واشبكوا أيديكم على رؤوسكم. إذا لم تمتثلوا للأوامر تعرّضتم لإطلاق النار".

لكن أحداً لم يمتثل لأوامره - وهو أمر معهود - ثمّ تقدّم رجل ضخم البنية، أكبر سناً من الآخرين بخطى واسعة وقال: "لا أعرف ما هذا الذي...".

صوّب بوب طلقتَين إلى رأسه، وتلطخ الجدار وملابس أولئك الواقفين بقربه بالدماء. وحدث مزيد من الزعيق والشهيق.

ركضت مراهقة جميلة ذات شعر قاتم ترتدي فستاناً أزرق داكناً والذُعر بادٍ على وجهها نحو الجثة.

رفع بوب مسدسه ليطلق النار عليها أيضاً، ولكنها سيطرت على نفسها، وجثت على ركبتَيها واضعةً يدَيها وراء رأسها.

حذا الجميع حذوها في البكاء، والشهيق، والتوسل.

بعد ذلك، أجرى بوب حساباً سريعاً في رأسه. تبّاً... هناك ضيفان مفقودان. ولاحظ فرانك الأمر نفسه. فصوّب بوب المسدس إلى الفتاة مجدّداً ثمّ قال موجّهاً الحديث إلى الحشد: "أين الآخران؟ قولوا لي أين هما وإلا أطلقت النار عليها بعد خمس ثوانٍ".

ولكن، لم يكن من الضروري إراقة مزيد من الدماء.

حينئذٍ، خرج رجلان من وراء زاوية ممر مُظلم يؤدي إلى البرج وتسمّرا في مكانهما لدى رؤية المقتحمين. وجّه فرانك، أحد اللصين الأقرب إليهما، مسدسه نحوهما.

ألقى أحد الرجلين نظرة سريعة على الجثة، ومن ثم على فرانك، وبعد ذلك على بوب. لقد ترك ذلك انطباعاً لديهما بأن الرجل يحاول تحليل ما جرى. كان يتعيّن على بوب مراقبته بصفة خاصة.

www.ibtesama.com

عندمـا ركـع الضيفان الجديدان وتمكن بـوب من مراقبتهم جميعاً، قـام فرانـك بتفتيـش ملابس الجميع بحذر. وعندما تعرّف إلى جوسـتين أوليغـار قـال: "أنـا بحاجـة إلـى النصـف الثاني مـن الرمـز العائد لصالة العـرض الخاصـة... لـديّ النصف الأول. ورموز جهـاز الإنذار المثبَّت إلى الجدار أيضاً".

"ولكن...".

قال اللصّ: "لقد أظهرنا لك أننا لا نواجه أي مشـكلة في قتل أي شـخص. أريد الرمز الآن وإلا... قتلتُها"، ثمّ خطا نحو الأمام وصوّب المسدس إلى شقراء جميلة وجذابة في العقد الرابع من عمرها.

صاح الرجل قوي البنية الموجود بجانبها: "لا".

قالت: "دون، لا تقل له أي شيء، لا تُغضبه".

صاح دون لجوستين: "أَعطيه الرمز! أرجوك!".

أومأت جوستين، وأوقفها بوب على قدمَيها وسار بها إلى باب صالة العرض الخاصة، ثمّ جعلها تتوقف أمام لوحة المفاتيح، وأدخل النصف الأول مـن الرمـز، وأدخلـت بعد ذلك بقيّة الرمز. سُـمع أزيز خافت، ثمّ فتحا الباب المزدوج، ودخلا إلى رَدهة صالة العرض، وأضاءت الأنوار. كان المكان مليئاً برسـوم قديمة وأقمشـة كتانية عليها رسـومات مطبوعة علِم بوب أن قيمتها تقدَّر بالملايين.

كانـت الغَلّـة مؤاتيـة للحَصاد؛ لقد حان الوقـت لجَني أُجرته البالغة 500,000 دولار.

سـحب بوب جهاز اللاسـلكي من حزامه، ونقر على زر الإرسـال قائلاً للمتنكرين بأزياء المسعفين: "نحن بأمان".

بعـد لحظـات، وصله جواب مصحـوب بطقطقة: "روجر، نحن في طريقنا".

أعـاد بـوب جوسـتين إلـى الغرفة الرئيسـة جاعلاً إياهـا تجثو على

www.ibtesama.com

ركبتيها ثم ألقى نظرة سريعة على ذلك الرجل الذي كان قد أثار انتباهه: الرجل ذي البنية الضخمة. وتوجّه بوب نحوه سائلاً إياه: "ما اسمك؟".

"جون نان".

حدّق إليه بوب ببرود، لكن نان نظر إليه من دون اكتراث. في الواقع، لقد عاد بأفكاره إلى أمور ماضية كما يبدو، وبطريقة غريبة، متمعّناً به. فمع قبّعة الرّجل، والجورب المحبوك، وقناع الوجه، والبذلة الموحدة، لم يكن يملك أي فرصة لتحديد ملامح وجهه. ولكن شعوراً غريباً اعترى بوب بأن نان يجمع بعض المعلومات عنه والتي يمكن استخدامها في ما بعد خلال تحقيق أو محاكمة: طريقة سَير بوب، طريقة وقوفه، اليد اليسرى إزاء اليد اليمنى، الطول، الوزن.

حان وقت قتل هذا المغفّل.

شهر مسدّسه، وشرع بالضغط على الزّناد.

عندئذٍ، فُتح باب المصعد ودخل المسعفون الغرفة.

قطّب بوب جبينه: تبّاً! ألم يتلقوا التعليمات على النحو الصحيح؟ كان يُفترض بهم إحضار العربات اليدوية لنقل اللوحات الفنية. فالوقت من ذهب، ولا يزال يتعيّن عليهم نقل الأعمال الفنية إلى سيارة الإسعاف وعربة النقل المُقفَلة الوهميّة التابعة للوحدة الجنائية الميدانية.

قال: "نحن بحاجة إلى عربات النقل اليدوية..."، ولكنه كفّ عن الكلام فجأةً.

لم يكن هؤلاء الرجال أولئك الذين استخدمهم! كانوا يرتدون دِروعاً واقيةً تحت بزّاتهم النظامية.

الشرطة! تبّاً!

شاعراً بعصرة الغضب في مِعاه، فهم أنه فقد السيطرة على الوضع. لقد تصوّر أحدهم حدوث عملية سرقة واتصل بالشرطة. كان رجال الشرطة قد وصلوا بصمت، ووجدوا المتنكرين بأزياء المسعفين في

www.ibtesama.com

الخـارج، وتغلّبـوا عليهـم، ثـمّ ارتـدى شـرطيان ثوبَيـن واقيَيـن تابعَيـن للمسعفين ليشكلا رأس حربة لفريق ضارب.

لا بـد مـن أن يكـون عناصـر الفريـق صاعدين على السـلّم بأقصى سرعة.

جثم الشرطيان شاهرَين سلاحيهما.

"أَطلـق النـار، أَطلـق النار، أَطلق النار!"، صاح بوب لشـريكه الذي شـرع بإطـلاق النـار على الشـرطيَّين، وكان رنين النحـاس على الأرض الحجرية مدوّياً بمقدار دَويّ مسدس البيريتا المزوَّد بكاتم للصوت.

تمثلـت اسـتراتيجية بـوب بجـرح أكبـر قـدر ممكـن مـن الرهائن، مُجبِـراً الفريـق التكتيكي على التوقف وتقديم المسـاعدة للجرحى. كان باسـتطاعته الخروج من الخلف عبر ممرّ طوارئ، كما خطط لذلك في السـابق، ويمكن لفرانك سـلوك الممر أيضاً إذا تمكن من ذلك، ولكن الأمر مَنوط به.

اسـتدار الشـرطي الأقرب إليه وصوّب سـلاحه نحو فرانك، فرفع بوب مسدسـه وأطلق النار على الشـرطي مُصيباً عموده الفِقري، ولكنه سمع وقع خطواتٍ خلفه في أثناء قيامه بذلك وقال في سرّه: تبّاً!...

بعد لحظة، سقط أرضاً إثر قيام أحدهم بالإمساك به بشكل مُحكَم عنـد مسـتوى الكِليتَيـن. وانطلقت من عينَيه شـرارات ألـم مبرِّح. فلهث بوب غير قادرٍ على التنفّس.

انتزع نان - بالتأكيد، إنه نان - المسـدس من يده. وفي أثناء قيام بوب بالتلوّي على الأرض محاولاً الوصول إلى المسدس بشكل يائس، سدّد له نان ضربة بمِرفقه على أنفه. فلاحظ فرانك ما يجري واستدار، مُطلقاً النار، ولكنه أخطأ الهدف وأصاب شريكه بوب في الصدر.

احتفظ نان بموقعه، وصوّب سلاحه، وأردى فرانك بثلاث طلقات أصابت الهدف. بعد ذلك، استدار على الفور مصوِّباً مسدسه نحو بوب

www.ibtesama.com

الذي كان قد لقي حتفه.

أن يكون المرء شرطياً يعني أن يبادر إلى الكلام أكثر منه إلى إطلاق النار على المجرمين أو مطاردتهم.

حسناً، ليس مجرد كلام: إنه طرح أسئلة.

في اليوم التالي، حضر نان إلى المتحف مجدّداً. كان النقيب هارفي ماير، الذي ترأس التحقيق في محاولة السرقة التي جرت في الليلة السابقة، قد اتصل به في وقت مبكّر من فترة بعد الظهر. فالاثنان يعرفان بعضهما منذ كان نان في قسم شرطة سان فرانسيسكو. وعندما عرف ماير أن نان كان موجوداً في الليلة السابقة خلال محاولة السرقة، طلب منه أن يكون حاضراً خلال استجواب جوستين أوليغار في مكتبها في المتحف. منذ عمله في قسم الشرطة، يعرف نان أن ماير يشتهر بكونه غير تقليدي.

كانت جوستين قد اتصلت كما يبدو بتوني أولسن، وبستان بالارد أيضاً لحضور اجتماعها بماير، وقد أثار ذلك دهشة نان. شرحت جوستين سبب حضور بالارد، قائلةً إنه المحامي الوحيد الذي تعرفه. لم يكن قد وُجّه إليها أي اتهام بعد، ولكن عدد الجرائم التي وقعت في البرج في اليوم السابق يعني حدوث انتهاكات عديدة لقانون العقوبات قد تطال كل من كان موجوداً. لم يكن نان يعلم أن جوستين وبالارد يعرفان بعضهما، وأدرك أن هذه المعرفة تعود بالتأكيد للفترة التي عملت فيها مع كريستوفر توماس. ومع ذلك، من الغريب أن يكون بالارد، وهو محامٍ في ميدان العقارات، قد وافق على الحضور من دون إحالتها إلى محامٍ آخر. لكن نان اشتبه في أن بالارد حاضر هناك لأجل بالارد ليس إلا.

كانت جوستين متعاونة، ولكن لم يكن لديها، كما يبدو، ما تضيفه إلى المعلومات التي يمتلكها ماير.

www.ibtesama.com

قالت جوستين: "أنا آسفة، لقد أمضيت الليل بأكمله في مراجعة الشرائط الأمنية، كما تعلم، والانكباب على التقارير المتعلقة بالأشخاص الذين ترددوا على المتحف في الأشهر القليلة الماضية. لم أستطع العثور على أي صور أو أوصاف لهم". كان صوتها منخفضاً، ونظراتها باردة، وأدرك نان أن سبب ذلك يعود لاضطرارها إلى استخدام الصور التي التُقطت في الليلة السابقة كمراجع. لقد قُتل رئيسها أليكس هالتغرن أيضاً.

قالت جوستين موجّهة سؤالها إلى ماير: "من اتصل بالشرطة؟".

فأشار ماير إلى نان.

شرح نان كيف كان قريباً إلى مكان إصابة هايل، وقيامه بإلقاء نظرة على الرَّدهة والشعور بغرابة وجود الشرطة الجنائية الميدانية، وبعد ذلك سماعه زعيقاً في الغرفة الموجودة في البرج، وأدراكه أن المتحف يتعرض للاقتحام.

سأل ماير جوستين: "هل أنت واثقة من أنه لم يسبق لك أن رأيت الرجلين من قبل؟".

"لا أعتقد ذلك. لقد نظرت إلى تلك الصور عدة مرات لدرجة أنني لم أعُد واثقة من أي شيء".

نظر ماير إلى نان بطريقة متسائلة، ولكن عقل نان كان في مكان آخر؛ لقد واصل التفكير في الرسالة النصّية التي تلقاها في وقت مبكّر من اليوم، ولم يبدُ الأمر ممكناً.

أصدر هاتفه المحمول طنيناً، فالتقطه نان، ثمّ نظر إلى ماير وقال: "هل يمكنني التحدث إليك في الخارج للحظات؟".

عندما خرجا إلى الرُّواق قال نان: "انظر، في طريقي إلى هنا، تلقيتُ رسالة نصّية من صديق تحتوي على نظرية جديدة حول ما حدث هنا في الليلة الماضية".

www.ibtesama.com

"وماذا بعد؟".

"ستظن أنني مجنون يا هارفي".

"أخبرني".

"صديقي في الرَّدهة. سأطلب منه القدوم إلى هنا ليخبرك بما لديه. إنها مجرد رواية".

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

27

كاثي رايكس

سُمع صوت وَقع خطواتٍ متقطّعة وحادة على الرخام.

وتحوّلت أنظار الجميع في اتجاه شخص يحيط به إطار الباب.

كان الرجل يرتدي بلوزة رياضية من ماركة ديوك وسروال دُسَّ طرفاه السفليّان تحت حذاء عالي الساق، وفي يده اليسرى حقيبة أوراق جلدية تبدو كما لو أنها غادرت إسبانيا قبل الحرب الأهلية.

وتولّى نان مهمة التعريف. "أيها السادة، يا جوستين - أعرّفكم بالطبيب إغناسيوس ماكغي".

فماكغي رجل وسيم بوسامة ممثل رئيسي، مع فكّ أسفل عريض، وعينَين زرقاوَين، وشعرٍ يبدو شعر بروسنان المغطى بالمادة الهلامية تافهاً مقارنةً بشعره، وما يميّزه عن نجم في هوليود عدم مشاركته في مشهد سينمائي. وإذا وقف مستقيماً، وهو كذلك، فإن طول قامته لا يتخطى أربعة أقدام ونصف.

تصافح الجميع، وجلست المجموعة. ووضع ماكغي كاحله الأيسر على الرُّكبة اليمنى.

لقد سحب الجميع كراسيهم ووضعوها على صورة نصف دائرة كما لو أنهم في ندوة، باستثناء ستان بالارد الذي كان متكئاً على الجدار بوجه متجهّم.

ودخل نان في الموضوع مباشَرةً.

"الطبيب ماكغي هو عالِم أنتروبولوجيا في الطب الشرعي. هل

www.ibtesama.com

لديكم فكرة واضحة عن هذا العِلم؟".

قالت جوستين أوليغار: "العظام، ولكن ليس العظام القديمة".

ووجّه نان يده في اتجاه ماكغي، وراحة يده نحو الأسفل. "اشرح لهم الأمر".

قال ماكغي: "الجواب بدقة، أنا متخصص في الهيكل العظمي البشري". كانت لهجته تشير إلى أنه من طبقة العمال في بوسطن، وصوته عميق على نحو مفاجئ مقارنةً مع حجمه. "أُشرّح جثة متوفٍّ منذ مدة طويلة بإحداث شَقّ في صدره على صورة Y – الجثة المحروقة، المحنَّطة، المتحلِّلة، المبتورة الأعضاء، المشوَّهة، التي أُحليت إلى هيكل عظمي. أقوم بتنقيبها لتحديد سبب الوفاة وتاريخه".

واندفع أولسن بسرعة نحو الأمام، ضاغطاً بأصابعه على راحتَي يدَيه. "لقد أخرجتَ جثة كريستوفر توماس من القبر؟".

وأنعم ماكغي النظر به، ومن ثم أشاح بنظره إلى الجهة اليسرى.

شرح نان: "كان من المستحيل إخراج الجثة، نزولاً عند طلبي، حلل الطبيب ماكغي الملف الذي أُعدّ بعد وفاة توماس".

سأل أولسن: "ألم يكن كل شيء مدوَّناً بالألمانية؟".

قال ماكغي: "حصلتُ على التقارير مترجَمة".

قال أولسن: "وعثرتَ على دليل يشير إلى براءة روزماري!".

وأثّر انزعاج ماكغي في صوته الجهير الصادح. "من يعتقد أيضاً أنه يعرف نهاية فيلمي السينمائي؟".

فألقى أولسن نظرة سريعة وغاضبة على نان. من هو هذا الرجل؟

ورفع نان راحتَي يدَيه بطريقة مهدِّئة ومطيِّبة للخواطر. "لندَع الطبيب ماكغي يُطلعنا على نتائج بحثه من دون مقاطعة. بعد ذلك، يمكنكم طرح الأسئلة التي تريدون، اتفقنا؟".

استقرّ أولسن في كرسيّه، وظهرت على وجهه ملامح لا تشير إلى

www.ibtesama.com

أي أحاسيس.

فبدّل ماكغي جلسته الجانبية في اتجاه الجانب الآخر، ووضع حقيبته على الطاولة وسحب إضبارتَين، الأولى بنّية متهالكة، والأخرى جديدة زهرية اللون من ماركة أوفيس ماكس. ووضع الإضبارة الأولى جانباً، وقلّب غلاف الثانية.

"العمل الكتابي الأصلي موجود هنا إذا كان أحدكم يُجيد الألمانية. ستركز تعليقاتي على شرحي للدليل".

ومن دون أن يتوقف لتخمين رد الفعل، سحب ماكغي مستَنَداً متعدد الصفحات من الإضبارة.

"وفقاً للأخصائي بالمَرَضيات" - وقلّب الصفحات حتى النهاية - "شخص يدعى برونو مونتس، كانت الرُّفات مكوَّنة من سائل وعظام مما يجعل المطابَقة البصرية مستحيلة. كانت معظم الأسنان محطَّمة".

وألقى ماكغي نظرة سريعة على وجوه أولئك الجالسين أمامه على صورة مروحة. مقطِّباً جبينه، مرّر يده على فكه المقولَب بطريقة مُتقَنة.

"كان مونتس عاجزاً عن تحديد سبب الوفاة. يمكن فهم ذلك. فالجثة أشبه بالبرغر نظراً للتحلل والضرر الذي ألحقته المِقصلة بها".

واختلجت زاويتا فم ماكغي في ما يمكن أن يكون ابتسامة عريضة. ولم يبادله أحد الابتسامة.

"لقد أخطأ مونتس في عدم الأخذ برأي أخصائيين. وبالعمل بمفرده على ما يشبه الإنسان، وقع على رأسه في مكان مليء بالرَّوث".

أخرج ماكغي من حقيبته مغلّفاً بلون الخردل، وحلّ الرباط، ووضع أكثر من عشر صور فوتوغرافية لعملية التشريح على الطاولة على صورة مروحة.

واندفعت أربعة كراسٍ معاً إلى الأمام.

"لحسن الحظ، كان لمونتس مصور فوتوغرافي بارع. هذه صورة

www.ibtesama.com

عن قُرب تُظهر ما تبقى من اليد اليسرى للضحية. فعظمة الإصبع البعيدة القائمة تحت البَنانة، والتي تُشبه سهماً، مفقودة من كل الأصابع".

وبرم ماكغي صورة مظهَّرة ليراها أولئك الجالسين قُبالته. "هل يُلفت أمر غريب ما انتباهكم؟".

لم يجازف أحد بإبداء رأيه.

ملتقطاً قلماً، أشار ماكغي إلى العظام المسطَّحة التي كانت أصابع ذات مرة. "انظروا إلى المجموعات الأربع لعظام الأصابع".

فامتثل الجميع.

وبرم ماكغي صورة فوتوغرافية أخرى تُظهر عظام إصبع واحدة.

"إنها عظام الإصبع الخامسة اليسرى بعد إزالة النسيج الطريّ. مرةً أخرى، انظروا إلى عظام الأصابع".

قال أولسن: "بَنانة الإصبع موجودة".

"أجل. إنها الإصبع التي وفّرت البصمة الجزئية الوحيدة. ماذا أيضاً؟".

قالت جوستين: "تبدو هذه العظام أكثر نحولاً ونعومة من تلك الموجودة في الأصابع الأخرى، وتتسع تدريجياً عند الأطراف".

"لقد حصلتِ على أعلى علامة، يا سيدتي الصغيرة".

لقد أبدت أوليغار سخطها بسبب عبارة التحبب سيدتي الصغيرة، وهو رد فعل طبيعي. ولم تعلّق على الأمر بسبب مكانة ماكغي.

سأل أولسن، وعيناه مسمَّرتان بالصور الفوتوغرافية: "ماذا يعني ذلك؟".

فتجاهله ماكغي وأخرج عدسة مكبِّرة من الحقيبة، وسلّمها لجوستين مع الصورة الفوتوغرافية الأولى لعملية التشريح التي تُظهر الأصابع بدءاً بالإصبع الأولى وحتى الرابعة.

"لاحظي وجود شقوق صغيرة عند طرف كل من العظام الوسطى

www.ibtesama.com

الأربع الأولى".

منحنياً إلى الأمام، مدّ ماكغي يده ونقل قلمه من الإبهام، إلى السبّابة، إلى الإصبع الوسطى، إلى إصبع الخاتم. وتبعت جوستين القلم بالعدسة المكبِّرة.

سألت: "الخطوط الأفقية؟".

"أجل. تلك هي علامات شقوق أحدثها نَصل غير مسنَّن. العلامات غير موجودة على العظمة الوسطى للخِنصَر ولكنها موجودة على عظمته الأبعد، تلك الموجودة تحت البَنانة. وعلامات الشقوق موجودة أيضاً على عظمة المُشط الخامسة الملاصقة للنقطة التي تشكل مِفصلاً بين الإصبع واليد".

قالت جوستين: "إذاً، فالخِنصر الأيسر هو الإصبع الوحيدة التي تحتفظ ببَنانتها ولا علامات شقوق عند طرفها؟". لم تتوجّه بالسؤال إلى أي شخص محدَّد كما لو أنها تدقّق بالبيانات في عقلها. "والخِنصر الأيسر هو أيضاً الإصبع الوحيدة التي تحتوي على علامات شقوق عند طرفها حيث ترتبط الإصبع باليد".

"مجدداً، لقد أصابت السيدة الصغيرة".

وسلّمت السيدة الصغيرة الصورة الفوتوغرافية والعدسة المكبِّرة لأولسن.

سألت جوستين، مشجَّعةً بابتسامة ماكغي لها: "هل يمكنني وضع فرَضية؟".

وأنزل ماكغي ذقنه.

فاعتبرت جوستين ذلك موافقة. "لقد أُزيلت البَنانات من كل إصبع باستثناء الخِنصر الأيسر. فتلك الإصبع قُطعت وبقيت سليمة".

"برافو".

وقلّب ماير عينه في اتجاه نان. هل تصدّق هذا المجنون؟ "أنت

www.ibtesama.com

تقول إن القاتل بتر تسع بَنانات من أصابع توماس وقطع خِنصره الأيسر وأبقاه سليماً؟".

قال ماكغي: "لا، لا أقول ذلك".

ووصل حاجبا ماير إلى طرف شعره.

"لنُكمل. استند مونتس في تحديد هوية الضحية إلى ثلاثة أمور". ورفع ماكغي يده وحرّك إبهاماً قصيراً وثخيناً من إصبع إلى أخرى. "أولاً، وجود إبزيم حزام يعود لكريستوفر توماس. ثانياً، مطابَقة بصمة جزئية رُفعت من الإصبع الخامسة اليسرى. ثالثاً، التناغم القائم بين الهيكل العظمي الذي تم الحصول عليه من الرُّفات وبين سنّ توماس كريستوفر، وجِنسه، وعِرقه، وطوله".

واستبدل ماكغي صور عظام اليد بمشاهد للجمجمة. وكما في السابق، أشار بقلم إلى المميِّزات في الصورة.

"رأس قصير المدى وكُرَويّ الشكل. وجه عريض، عظامُ وجناتٍ تتّسع تدريجياً نحو الخارج. حَنَك عريض وفجوة أَنفية. عيّنة لخياطة متعرّجة ومعقَّدة لجرح. عظمة إضافية في مؤخرة الجمجمة. بالنسبة إليّ، تصرخ تلك الهوية قائلةً إنها تعود لشخص مُغوليّ المظهر".

وارتسمت نظرات خالية من أي تعبير.

"تشير تلك الميزات إلى نَسَب آسيوي أو أميركي من السكان الأصليين". وببطء، فَتُرت همّة التلاميذ.

"تقول إن توماس آسيوي؟" لم يبذل توني أولسن أي جهد لإخفاء تشككه.

فتجاهل ماكغي المقاطعة. "وارتكب مونتس خطأً آخر. لدى احتساب طول القامة، اعتمد على عظمة واحدة فقط، عظمة الفَخذ. واختار من ثم صيغة غير ملائمة لوضع معادلة حرّفت المعنى الإحصائي للتخمين الناجم من المعادلة. لقد أعدتُ قياس طول عظمة الساق

www.ibtesama.com

مستخدماً المقياس النسبي المتوافر في الصور الفوتوغرافية، وأعدت احتساب الطول مطبِّقاً إحصائيات موافقة للآسيويين. فتخميني لطول المتوفّى يتراوح ما بين 162 و168 سنتمتراً. كان طول كريستوفر توماس 183 سنتمتراً".

"ماذا عن بصمة الإصبع؟" وظهرت أوردة صغيرة في خدَّي توني أولسن. "بصمات الأصابع لا تكذب".

"عليّ الإقرار بأن هذا الأمر أزعجني أيضاً. لقد قلت في سرّي: لا يُضيف على الحقائق أي شيء. أم أنه يُضيف شيئاً؟ ما هو النمط؟ لديك مجموعة كبيرة من النقاط، قُم بربطها ببعضها".

مرةً أخرى، تحرّك إبهام قصير وثخين من إصبع قصيرة وثخينة إلى أخرى، معدِّداً النقاط.

"نقطة: يُفترض بالضحية أن يكون رجلاً أبيض طويل القامة، ولكن جمجمته تفيد أنه آسيوي، وعظام ساقه تفيد أنه قصير جداً.

"نقطة: عظام الإصبع الخامسة اليسرى تبدو مختلفة عن كل عظام الأصابع الأخرى، فهي أكثر نحافة ونحولاً في الوسط وأكثر اتساعاً عند الأطراف.

"نقطة: انتُزعت كل بَنانة باستثناء تلك العائدة للإصبع الخامسة اليسرى.

"نقطة: استحالت تسع أصابع إلى عظام، ولكن الإصبع الخامسة اليسرى احتفظت بنسيجها الطريّ".

وبذل ماكغي قُصارى جهده خلال تكتيف ذراعَيه على صدره. لا تجري الأمور بشكل جيد.

"وتذكرتُ بعد ذلك. الغليسرين".

كانت هناك نظرات حائرة من حوله.

وأنعم ماكغي النظر في النص، وقرأ من ثم بصوت مرتفع تقرير

www.ibtesama.com

تشريح الجثة الذي أعدّه مونتس: "كانت هناك إصبع واحدة في المَفصِل الحِقّي الفَخذي".

لم تصدر أي عبارة تعجّب آه!

منحنياً إلى الأمام ومحرِّكاً خدَّيه بالتناوب على نحوٍ مناوِر، أثار اهتمامهم بصورة اختارها من المجموعة الموضوعة على الطاولة، والتقط العدسة المكبِّرة، وأومأ للجميع بالاقتراب.

"تعود العظمة في هذه الصورة إلى النصف الأيسر للحَوض. ففي ذلك الثقب المستدير العميق تحت الجزء المسطح العريض يستقر رأس عظمة الفَخِذ. ويُدعى المَفصِل الحِقّي الفَخذي. ذلك التجويف محميّ بعضَلة سميكة جداً. وغالباً ما يدوم النسيج الطريّ هناك مدة طويلة بعد انسلاخ اللحم. هل تتابعونني؟".

وأومأ الجميع.

مكتفياً بذلك، وضع ماكغي العدسة فوق صورة الحَوض.

"ما الذي ترونه يحيط بتجويف الوَرِك؟".

قال أولسن: "علامات شقوق".

"تماماً".

ووضع ماكغي العدسة. فالتقطتها جوستين وقرّبت أنفها والعدسة من الصورة المظهَّرة. واتخذ الآخرون وِضعات مُصغية.

"إليكم روايتي. أخفق برونو مونتس في تحديد هوية المتوفّى. فمن كان في المقصلة هو رجل آخر غير كريستوفر توماس. إن الضحية ذكر آسيوي يناهز توماس في العمر والحجم ولكنه أقصر بقليل. لقد دُمرت أسنان الرجل للحؤول دون التعرف إلى هويّته من خلالها. وأُزيلت بَنانات أصابعه لإزالة البصمات. واستُبدلت إصبعه الخامسة اليسرى بإصبع شخص آخر. ويمكنني الإضافة أن الشقوق أُحدثت داخل الكتلة الإِلْيِيّة للضحية الآسيوية، وذلك بدلاً من الكتل التي يصعب تحريكها.

www.ibtesama.com

لقد طُليت إصبع توماس بالغليسرين والشحم لتأخير التحلل، ودُسّت من ثم في عمق العضلة القائمة في تجويف الوَرِك للرجل المتوفّى".

"وتباهى مونتس بمسألة عظمة الإصبع تلك؟" ولوّح توني أولسن بيده فوق الصور. "والبَنانات المفقودة؟".

"عظام الأصابع الأبعد القائمة تحت البَنانات صغيرة وغالباً ما يتم إغفالها خلال جمع الهيكل العظمي. فإذا لاحظ غيابها، وهو أمر أشك فيه، ربما ظن الطبيب الماهر أنها مفقودة. ربما لم يتكبد عناء تدقيق النظر بالمادة اللزجة في المقصلة. لقد وُضع حزام توماس، ويمكن التعرف إلى إبزيمه، على الضحية. وأُحكِم الإغلاق على الجثة، من دون البَنانات ولكن مع خِنصر توماس، داخل المِقصلة الحديدية. ووُضع الجهاز في صندوق وشُحن. وما تلى ذلك معروف".

"العظام التي لا تعود لشخص واحد؟ علامات الشقوق؟" وغدا خدّا توني أولسن بلون شراب توت العلّيق.

"كان مونتس متخصصاً بالمَرَضيات، وليس عالِم أنتروبولوجيا. لقد تجاوز الأمر قدرات الرجل".

"ولكن..." وانحنت جوستين إلى الأمام. "لقد عُثر على أحد أسنان كريستوفر توماس داخل المِقصلة الحديدية، أليس كذلك؟ وقد أُثبت الأمر".

"صحيح مرة أخرى، يا سيدتي الصغيرة". ووجّه لها ماكغي ابتسامة غريبة مائلة. "إنه سنّ كريستوفر توماس. ولم يخرج بالتأكيد من فم الرجل الآسيوي".

وساد الصمت.

وكان أولسن أول من قاطعه. "إذا كنتَ مُحِقاً، فإن أحدهم قام بتدابير وحشية لضمان الاعتقاد بأن الجثة عائدة لكريستوفر توماس".

فأومأ ماكغي.

www.ibtesama.com

سأل توني أولسن: "من؟".

قال ماير: "لماذا؟".

وارتفع كتفا ماكغي وانخفضا. هذا ما يحيّرني.

والتفتت كل الأنظار إلى جون نان.

ولكن نان كان ينظر إلى ستان بالارد.

وطرح أولسن السؤال الذي يتردد في ذهن الجميع: "إذاً، أين هو كريستوفر توماس؟".

www.ibtesama.com

28

أر. أل. ستاين

أعـرف أيـن أجدهـم. أعرف أمـوراً إضافية عن كل شـيء أكثر مما يعرفونه كلهم.

عثـرتُ علـى بيتـر هوسـن بسـهولة. لـم أواجـه أي مشـكلة. لقـد اسـتأجرتُ قاربـاً مطاطيـاً صغيراً أُضيفَ إليـه محرك، وأبحرتُ في اتجاه قاربه الفخم الراسي قرب نادي سان فرانسيس ياخت.

كان يومـاً نموذجيـاً فـي سـان فرانسيسـكو: كثير الضبـاب ورطِب، المياه متموّجة، وينتشـر اللون الأزرق المائل إلى البنّي تحت السُّـحب. كان باستطاعتي رؤية جسر غولدن غايت إلى يميني، ولكنني لم أحضر لأجل السياحة.

بعد اثنَي عشر عام، كنت أعرف مدى سعادة هوسن برؤيتي.

لا بد من أن يكون بيتر في العقد السادس من العمر، كما تصوّرت، وأكثر ثراءً بفضلي جزئياً.

وخـلال اقترابـي أكثـر فأكثر، رأيته جالسـاً بمفرده إلـى طاولة على السـطح الخلفـي للقـارب. كان يحمل كأس شـراب عنـب بيده. فوقف عندما رآني وتقدّم نحو الدرابزين.

"هـل تتذكرنـي؟" صحـتُ. لم يبدُ أكبر سـنّاً بكثير. فالمال يجعلك على هذه الحال. كان يرتدي سترة أميرال بيضاء، ويعتمر قُلنسوّة ركوب يَخت زرقاء أمالها من الأمام نحو الأسفل. ما هذا؟ أمسية هالووين؟

لـم أتمكـن مـن رؤيـة ما إذا كان ما يزال يحتفظ بشـعره. ولكنه بدا

www.ibtesama.com

مسمَرّاً ويتمتع بلياقة بدنية.

لقد عرفني بالتأكيد، وبدأ يلوّح بذراعَيه أمامي كما لو أنه يُخطِرني بأمر ما. "روبي؟ لا أريد رؤيتك!" صاح. "استدر! عُد من حيث أتيت! ليس مرحَّباً بك هنا".

لم يكن راغباً في رؤيتي، بالطبع. فتسلّقتُ بصعوبة إلى سطح القارب، وربطتُ قاربي المطاطي الصغير بجانب القارب الكبير. وأشرقت الشمس من وراء السُّحُب للحظات، وبدأ كل شيء يبرق كما لو أن ضوءاً كاشفاً يسطع عليّ. حان وقت إظهار تفاصيلي الدقيقة.

لقد اعتقدتُ أن بعض الخدام قد يأتون لدفعي إلى خارج القارب. ولكنه كان بمفرده كما يبدو.

قال خلال توجهي إلى طاولته: "لا شيء لديّ أقوله لك، ليس مرحَّباً بك هنا. لماذا جئت؟".

"يا بيتر، دعكَ من هذا الكلام. ظننتُ أنك ستكون أكثر ودّاً". ولم أستطع إزالة البسمة عن وجهي. "أعني، لقد أسديتُك معروفاً كبيراً".

فتجعّد جبينه تحت القُلنسوّة، وضاقت عيناه الشاحبتان. "أسديتَ لي معروفاً؟ لا أعرف ما الذي تتحدث عنه. أعرف من تكون، ولكنك لم تقُم بأي شيء لأجلي".

"في أحد الأيام، استوقفني رجل ما وشرع بطرح أسئلة عليّ حول المعروف الذي أسديتُه لك".

زعق بيتر: "ماذا؟".

"لا تقلق، لقد اهتممتُ بأمره".

وبدا القلق على بيتر.

"هل كنتَ تعتقد حقاً أن العشرة آلاف دولار تلك ستكفيني إلى الأبد؟". وجلستُ إلى الطاولة، والتقطتُ كأسه التي تحتوي على شراب عنب وتناولتُ رشفة.

www.ibtesama.com

"باستطاعتي الاتصال بشرطة الميناء. لقد دخل لصوص إلى قاربي من قَبل".

والتقطتُ قطعة خبز محمصة من سلة الخبز الفضية. كانت لا تزال ساخنة. وتناولتُ قضمة. "هل ستتظاهر حقاً بأنك لا تعرف أي شيء؟".

ووقف فوقي، وبدأت شفتاه بالاختلاج. "ليس عليّ التظاهر. لم تكن لي أي علاقة بالأمر".

"فقدان ذاكرة؟ دَعني أساعدك". وقررتُ المواصلة. "الجثة في المِقصلة الحديدية؟".

فازدرد بيتر، ولكن عينَيه لم ترفّا. "عُذراً؟ هل أنت مجنون؟".

"يا الله! إلى متى ستستمر بتظاهرك الفارغ هذا؟".

"سأتصل بالدورية الآن".

"آه! أعرف بمن ستتصل - ولن يكون هناك أي شرطة".

قام بخطوة في اتجاه حجرة السائق، ولكنني أمسكت ذراعه. "اجلِس فحسب. لنكن متحضّرَين، يا بيتر. سأروي لك قصة، واجلس أنت هناك متظاهراً أنك لم تكن تعرفها". كان يتعيّن عليّ سحبه ووضعه في الكرسي.

قال، مستمراً بالتظاهر، ولكنه كان يتصبب عرَقاً: "سأمنحك خمس دقائق، ما هي قصتك؟".

قلت: "أجل، لِنَقُل إنها قصة، لنتظاهر بأنها ليست الحقيقة كاملةً".

حدّق إلى كأس شراب العنب في يدي. فرفعتها إلى فمي وشربتُ الكمية المتبقية.

"يا بيتر، لِنَقُل إنه كانت هناك ذات مرة مِقصلة حديدية في متحف في سان فرانسيسكو. لِنَقُل إنها صُنعت منذ مئات السنين، ولكنها استُخدمت مؤخراً...".

قاطعه هوسن، هازّاً رأسه: "لستُ هاوي تاريخ، أنت تضيّع وقتك".

www.ibtesama.com

"حسناً، لقد قمتُ بفرضي المنزلي - بعد الحادثة". ومرّرتُ إصبعي حول حافة كأس شراب العنب الفارغة.

فوقف هوسن. "غادر المكان".

دفعتُه ليجلس. كان عليّ أن أكون فظاً بعض الشيء، ورأيتُ ومضة ذُعر على وجهه أخفَت سُمرته.

"لِنَقُل إنه كان هناك رجل مَيت وضع داخل ذلك الشيء؟".

تمتم هوسن: "إنه خبر قديم جداً، لماذا جئتَ إلى هنا؟".

وقرّبتُ وجهي من وجهه. "إنه خبر قديم، يا بيتر؟ ماذا لو أخبرتُك القصة - القصة الكاملة؟ ماذا لو اتصلتُ بالشرطة؟".

لقد أثّر ذلك فيه، ورأيت دائرتَين حمراوَين تظهران على خدَّيه. "لماذا تقوم بذلك، يا أرتي؟" وشرع بالنظر في مختلف الاتجاهات كما لو أنه يبحث عن وسيلة للفرار. "لقد، لقد حدث ذلك منذ سنوات عدة. لماذا تلجأ إلى الشرطة الآن؟".

سألتُ، وانحنيتُ في اتجاهه مرة أخرى: "هل أبدو لك متلهّفاً للقيام بذلك؟ حسناً، أنا كذلك. أنا متلهّف لذلك. أعرف ما الذي تفكر فيه. تفكر في أنني حُثالة المجتمع وزحفتُ إلى يَختك الكبير كصرصور. ولكنني أعرف بعض الكلمات الكبيرة والجميلة التي يُنعَت بها الصرصور، مثل مساعد. وكما تعلم، مثل مساعد على ارتكاب جريمة قتل؟".

كان هوسن يتنفس بصعوبة، وصدره يتحرك صعوداً ونزولاً تحت سترة الأميرال. "لن تجرؤ"، همس. "ستسلّم نفسك؟ تُقرّ بالجريمة؟ وتجرّني معك إلى الأسفل؟".

فأومأتُ. كنت أستمتع بذلك. "لقد قلت لك. أنا متلهّف لذلك".

وهبط كتفا هوسن، وضيّق عينَيه حتى أصبحتا على صورة شِقَّين رفيعَين. "ماذا تريد، يا أرتي؟ مالاً؟".

www.ibtesama.com

"أجل. تخمين جيد. أريد مالاً. الكثير منه".

"حسناً. حسناً. مال. وحينذاك تبتعد عني؟".

جرى الأمر بشكل ممتاز.

كان عليّ إجراء اتصال واحد إضافي. اتصال واحد إضافي قبل أن أغادر المدينة نهائياً. كنت قد حصلتُ على مبلغ ضخم من المال من هوسن، ولكنني أردت المزيد. المزيد المزيد.

كنت بحاجة إلى إجراء اتصال. ادعوه اتصالاً ختامياً، أو ادعوه مظهراً من مظاهر طَبعي الساديّ، أو ربما مرحلة من مراحل الانتصار. ها - ها. ومزيد من المال.

كنت قد حصلت على الرقم من ذلك الحقير الجبان بيتر.

وطلبتُه بتَوق شديد.

"آلو؟" وعرفتُ الصوت على الفور.

"أملك معلومات عن كريستوفر توماس".

وساد الصمت. ومن ثم: "من المتكلم؟".

"ألا تعرف صوتي؟".

"لقد - لقد طلبتَ رقماً خاطئاً".

قلت: "لا أظن ذلك".

"آسف. طلبتَ رقماً خاطئاً". وأنهى المكالمة.

فضحكتُ. وشعرتُ بأن الضحك ممتع.

قلتُ بعد أن أنهى المكالمة: "أتصل بك في وقت لاحق".

وارتديت سترتي وخرجتُ.

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

29

جيفري ديفر

بيده التي تحتوي على أربع أصابع، سكب كريستوفر توماس شرابه المعتق في كأس تم شراؤه كما يبدو من وال - مارت. كان فندق ترومسب لوي أوتيل، وهو فندق جيد، قد اشترى هذا الشراب بمبلغ أقل من سواه. ومع ذلك، فالأمر معقول. إنه منطقي. مشروب جيد، تسليم منخفض التكلفة.

وألقى نظرة سريعة عبر النافذة الواسعة على انعكاس صورته. فبعد عشر سنوات تقريباً من اعتماده المظهر الجديد، لم يكن قد اعتاد كليّاً بعد على هذه النسخة من ذاته. فكرهه لما يرى لا يتعلق بهذه النسخة؛ كان جرّاح التجميل فنّاناً.

الطبيب 90210...

رمز بريدي، قال في نفسه، تشكل أرقامه ثلث فاتورة الطبيب تقريباً.

ونظر من خلال صورته وحدّق عبر غَسَق الصباح الباكر.

كان غاضباً ومضطرباً. لقد بلغته بعض الأنباء، بالطبع، عن سرقة فاشلة تعرّض لها المتحف في الليلة السابقة وتلقّى رسائل نصّية موجَزة من بيتر هوسن عن الكارثة. لقد أوحت الكلمات المكتوبة بأحرف غير صحيحة التي تمّ إدخالها على لوحة مفاتيح الهاتف المحمول بأن هوسن مخمور.

تنهد توماس. كان التخطيط للسرقة مُتقَناً جداً، والغنيمة مذهلة جداً... فعندما علِم هوسن بأن توني أولسن يُعِدّ إحياءً لذكرى روزماري،

www.ibtesama.com

وضع كريستوفر وهوسن على الفور خطة تسمح لهما بالحصول على أكبر مجموعة نفيسة في تاريخ الفن: معظمها تعود لدافنتشي ومايكل أنجلو بالإضافة إلى أعمال تخص كل من رامبرنت، وواتو، وروبنز، وتيبولو، ودو لاتور. كان كريستوفر قد تدبّر شارين لكل اللوحات في الواقع، على أن تبلغ أرباحه الصافية، بعد النفقات، الملايين.

ولكن شيئاً لم يتحقق.

ولتكتمل المأساة، تلقّى قبل يومَين اتصالاً هاتفياً.

"أملك معلومات عن كريستوفر توماس...".

معلومات؟ لقد قُتل كريستوفر توماس على يد زوجته ووُضع داخل مِقصلة حديدية. لقد مات كريستوفر توماس ودُفن. فكريستوفر توماس ذكرى طواها الزمن - ذكرى مُزدراة أو ممقوتة. هذا ما بقي له، كما يعتقد، من حياته السابقة.

ولكنه عرف المتصل.

وسمع ضجيجاً وراءه. فدار على الكرسي الدوّار ليرى تانيا - لا، اسمها تايلور، صحيح؟ - تجرّ وراءها فستانها الصغير. فعندما رفع عنها فستان الليكرا الصغير بقوة قبل ساعة وطرحه على الأرض، كان يركّز على جسدها الطريّ ويحاول نسيان عملية السرقة الفاشلة. كان يُفترض بما قام به أن يصرف انتباهه عن الخسارة اللاحقة به، ولكن ذلك لم يحدث، ولامها على ذلك.

قالت وهي تنظر إلى الشراب: "أوووه، أريد بعضاً منه".

"لا. غادري".

فطرفت عينَيها. قالت بصوت فتاة صغيرة رتيب: "حسناً، لستَ لطيفاً جداً".

وابتعد، متجاهلاً إيّاها، وسمعها تجمع أغراضها وتغادر، متنهّدةً بصوت مرتفع.

www.ibtesama.com

من يُبالي؟ لا بد من وجود تانيات أخريات. انتظروا... تايلورات.

اتصل مجدداً بهوسن، مستخدماً الهواتف المحمولة التي تُدفَع رسومها مُسبَقاً ولا يمكن تتبّع المكالمات التي تُجرى بواسطتها.

أخيراً، سُمعت تكّة إجابة.

قال صوت مشوَّه: "آلو؟".

قال توماس بغضب: "لم تُجِب على اتصالاتي".

"كانت الشرطة تأخذ إفادات الجميع".

"أنتَ تشرب. ليس وقت الشرب. ماذا يجري؟ هلى يشتبهون بأي شيء؟".

"بنا؟ لا أعرف. لم أقصد المتحف لاكتشاف ما يجري".

"أين أنت؟ ماذا تفعل الآن؟".

"جالس على القارب وبحالة يرثى لها".

قال توماس ببطء: "حسناً، أعتقد أننا سنكون بخير. ألم تتلقَّ أي اتصال مباشَر؟".

"لم يجرِ أي اتصال".

"كيف سيعرفون ما حدث؟".

"لا أعرف".

كان هوسن ثعباناً وشخصاً في حالة يرثى لها، ولكن الغباء لم يكن من صفاته الأساسية. فبالرغم من كل شيء، دأب الرجلان طوال العقد السابق على سرقة أعمال فنّية، وتمكّنا من تجنّب رجال الشرطة الأكثر ذكاءً ومحققي شركات التأمين. وقال توماس: "أعتقد أن كل شيء سيكون على ما يرام. سندَع الأمور تهدأ. ابتعد عن الأنظار لمدة قصيرة من الزمن".

"أجل، سأبتعد عن الأنظار".

أنهى توماس الاتصال الهاتفي، مقاوماً رغبته في قذف نظاراته على

www.ibtesama.com

الجدار. فجلس وحدّق خارج النافذة.

وعـاد بالذاكـرة إلـى الأيام التي كان فيها كريسـتوفر توماس بحاجة متزايدة إلى المال والخليلات، ويزداد نفاد صبر روزماري منه وتَحجب مالَ عائلتها عنه أكثر فأكثر.

هكذا، بدأ توماس بالتفكير مليّاً في مستقبله. لقد أقام علاقات وثيقة مع رجال أعمال سيّئي السُّمعة ومجرمين في مختلف أنحاء العالم بصفته قيّمـاً، وباتـت لديـه معلومات عن السـوق الضخمة التـي تتناول طلبات شراء الأعمال الفنية الخاصة.

عبارة ملطَّفة، هذا كل ما في الأمر.

فالنـاس يظنـون أن بعـض اللوحات شـهيرة جـداً لدرجة أنها تكون آمنـة مـن السـرقة. أه، ولكـن لا معلومـات لديهـم عن الرجـال - دائماً الرجـال، كمـا يبـدو - فـي إيران، الصين، اليابـان، ماليزيا، والهند، ذوي المـوارد الماليـة غير المحدودة والمتحرِّقين لامتلاك أعمال العباقرة. لم يُظهروا الأعمال الفنّية علانيةً أبداً؛ لـم يُظهروها البتة أحياناً. كانوا مولَعين بامتلاك ما يعجز الآخرون عن امتلاكه.

هكـذا تبـادرت الفكـرة إلـى ذهـن تومـاس بإيحـاء مـن المِقصلـة الحديدية. سـيقوم هو وهوسـن، بمسـاعدة أرتي روبي الذي كان يعمل لدى كريستوفر، بتزييف وفاة الأخير ووضع جثة أخرى داخل المقصلة، ويتدبـر روبـي أمر شـحن المِقصلـة إلى ألمانيا. وباسـتخدام خدعة طبّية صغيرة، كسـر كريسـتوفر أحد أسـنانه وقطع إحدى أصابعه، ووضعهما بشـكل اسـتراتيجي مع جثة الرجل الميت ليتم التعرف إلى الجثة على أنها جثته. فلتذهـب إصبعه وسـنّه إلى الجحيم إذا كانتا تجعلانه يفرّ من مَدينيـه والبلاييـن التـي يتوجّب عليه تسـديدها. إضافـةً إلى ذلك، لو لم يتخـذ هـذه الإجـراءات المُتقَنـة لضمان سـلامته لَقَتله منذ سـنوات أحد الذين تربطه به صِلات.

www.ibtesama.com

لكن تلفيق التهمة ضد روزماري كانت فكرة بيتر، وقام توماس بتنفيذها بتردّد لأنه مضطر لذلك. كان بحاجة إلى بيتر. فبعد اثنَي عشر عام، لا تزال ذكرى كيفية قيامه بتلطيخ بلوزتها بدمه واقتلاع أحد الأزرار ووضعه مع الجثة تكدّره من حين لآخر. مع ذلك، من الأفضل أن تموت روزماري بدلاً منه. ربما دفعته تصرفاتها لاتخاذ هذا الموقف؛ كلما أعطته المزيد احتقرها أكثر فأكثر. لم تفهم ذلك أبداً. يا لروزماري المسكينة.

وهكذا، شكّلا فريقاً مثالياً: بيتر هوسن، رجل المجتمع الذي يبقى بحالة يرثى لها بتأثير الشراب، وكريستوفر توماس، القيّم السابق الذي يركز اهتمامه على سوق الأعمال الفنية وصِلاته في هذا المجال. كانا يكرهان أحدهما الآخر، بالطبع، ولكن تلك كانت حال نصف قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية (أحب توماس تاريخه). لقد سرقا في العقد السابق أعمالاً فنية ونِتاجاً من صنع الإنسان تُقدَّر قيمتها بملايين الدولارات، ونقلاها سرّاً إلى ما وراء البحار - قطعة فنية واحدة أو اثنتان في كل مرة: لوحة لرينوار من متحف جامعة نيويورك القائمة في شمال غرب المدينة، كأس كبيرة مرصَّعة بالجواهر تعود للعصور الوسطى ويمتلكها قطب تجاري، لوحة لبيكاسو من مؤسسة ما في برشلونة، لوحة لماني من مسكن سرّي مؤقت يحتفظ به أحد المُحسِنين ما لعشيقته (لا توجد تقارير للشرطة حول هذا المسكن، وهو أمر غير مثير للدهشة).

وهناك المزيد.

لكن أمراً واحداً يشغل باله الآن: الفرار بأسرع وقت ممكن. لم يعُد جون نان شرطياً، ولكنه لا يزال يتسقّط الأخبار. فبعد السرقة الفاشلة، تُعتبر المسألة مسألة وقت قبل أن يكتشف نان تورّط هوسن ويقوده الأمر إلى توماس نفسه، هذا إذا لم يكن نان قد اكتشف كل ذلك بعد.

www.ibtesama.com

وتلقّى بعد ذلك الاتصال الهاتفي.

لـم يكـن الفـرار السـريع والبارع صعبـاً، أو أن توقّعـه غير ممكن، كمـا بـدا لـه. لقد أدرك كريسـتوفر توماس على الـدوام أن أمره معرَّض للافتضاح ويتعيّن عليه إنقاذ نفسه في أي لحظة. كان لديه مخطط فرار، ويمتلـك ملاييـن مـن الدولارات نَقداً، وذهباً في مصارف دولية، ومنزله الآمن في البرازيل.

وأجرى اتصالاً بشركة تأجير الطائرات وأعدّ العدة للسفر.

فدخل غرفة نومه بخطى واسعة، وسحب حقيبة أمريكان توريسترز من تحت السرير. (فويتون؟ لم يسبق له أن اقتنى حقيبة من هذه الماركة. ماذا يسرق المرء، حقيبة ملابس من مايسيز أو حقيبة بقيمة 1000 دولار؟ لماذا يكون الناس على هذه الدرجة من الغباء؟).

ووضّب كل ملابسـه في غضون خمس دقائق. سـيقود سـيارته إلى مطار أوكلاند، ويترك السيارة المستأجَرة في موقف يمكن رَكن العربات فيه لمدة طويلة من الزمن من دون أن يكون بالإمكان ملاحظة وجودها طوال شهرين أو ثلاثة.

وألقـى تومـاس نظرة على أرجاء غرفة الفندق. أين حقيبة الملابس الأخرى؟

قُرع جرس الباب.

فنظر عبر المنظار، وفتح الباب مقطَّب الوجه.

كان أرتي روبي واقفاً هناك، ويبدو... مبتهجاً ويرتدي بذلة متغضّنة يمتلكهـا ربمـا منـذ لقائهمـا الأول قبـل عقـد من الزمن. وطـرف عينَيه، متشـكّكاً، خـلال التحديـق إلى توماس، ولاحظت عيناه اليد المشـوَّهة.

"يا كريس! هذا أنت!".

وتنهّد. "وأنت الذي أجرى الاتصال، يا أرتي".

"مبروك. لم يسبق لي أن رأيتُ الوجه الجديد. تبدو... يا الله! ماذا

www.ibtesama.com

فعلوا، نقلوا العظام من مكان إلى آخر أو ما شابه؟".

فنظر توماس من فوق كتف الرجل.

"لا تقلق. لم يتبعني أحد. تطلّبني الأمر ساعات لأنني سلكتُ طريقاً التفافياً ثلاث مرات".

راضياً عن الأمر، تمتم توماس، "كيف عثرتَ عليّ؟".

"أخبرني عصفور صغير".

"ماذا يعني ذلك؟".

"قصدتُ بيتر لرؤيته. كان في حالة يرثى لها بتأثير الشراب وأطلعني بزلّة لسان عن مكان وجودك. استرخِ! أعرف تلك النظرة. لم أُخبر أحداً! لقد أبقيتُ على سرّية كل شيء طوال هذه السنوات". وضحك أرتي بمَكر. "بيتر ذاك لا يستطيع إبقاء فمه مُطبَقاً".

"لا، لا يستطيع. هذا صحيح".

ونظر أرتي من حَوله، مندهشاً. كانت غرفة الفندق تفوق حجم شقة أرتي بأكملها بمقدار الضعف. وترك حذاؤه الرّث بقع وحل على السجادة.

سأل توماس لأن الأمر استلزم ذلك: "إذاً؟".

"نحن راشدان، صحيح، يا كريس؟ رجلا أعمال؟".

"لا. أنا كذلك، ولكنك نكرة. الآن، ادخل في صلب الموضوع".

"هذا. مُضحك. حسناً، أعرف أن بعض الهراء سينتشر قريباً. أريد الخروج من البلد".

"وأنت تريد معرفة الطريق الأقصر إلى المطار".

وظهرت القسوة على وجه أرتي. "تعرف سبب قدومي إلى هنا".

"المال، بالطبع. إذاً أنت تبتزّني".

وتوقف أرتي قليلاً كما لو أن مشاعره جُرحت. "أريد تعويضاً على غرار أي شخص آخر".

www.ibtesama.com

"لقد تمّ التعويض عليك".

وأطلق أرتي ابتسامة عريضة ومتبجحة: "ولكنه ليس كافياً".

"كم تريد؟".

"ما يكفي ليُقيتني بقية حياتي".

"مصروفُ الجَيب قد يكون كافياً لك".

فاتسعت عينا أرتي وصاح: "إذا ألحقت بي الأذى، هناك رسالة كتبتُها وأعطيتها... لشخص ما. إذا حدث لي أي شيء، يتم تسليمها. يوجد فيها كل شيء، يا كريس - تزييف موتك، وضع الجثة داخل مِقصلة حديدية، شحنها إلى ألمانيا".

"حسناً، لستُ في مِزاج للدخول في جدال معك. كم تريد؟".

الناس يعرضون على الدوام سعراً أدنى مما يستحقونه.

"خمسة ملايين".

فهز توماس رأسه بطريقة متشددة: "أنت مجنون. ربما أستطيع تأمين مليون لك".

"ثلاثة".

"مليونان".

وتأفف أرتي: "حسناً، ولكن نَقداً".

"يمكنني الحصول عليه".

"مُحال، يا خوسيه. أعني \الآن".

"لماذا تستخدم كل هذه العبارات المبتذَلة؟ خوسيه؟".

"هَه؟".

"لا تُبالي. يا أرتي، أعني، يمكنني إحضار المال من الغرفة الأخرى. الآن".

وطرف الرجل عينَيه.

وأضاف توماس، "ولكن المشكلة تكمن في هذه الرسالة التي

www.ibtesama.com

ذكرتَها. تُنفق مليونان وتعود من ثم طلَباً للمزيد".

"لا، لن أطلب المزيد".

"تقول ذلك ولكنك لن تلتزم بكلامك بالتأكيد". وقطّب جبينه. "انتظر. إليك هذه الفكرة. أدفع لك مليونان الآن. وعندما تصبح آمناً في مكان ما، ألتقي هذا الرجل الذي يحتفظ بالرسالة - صهرك أو محامٍ ما أو... أيّاً كان هذا الشخص -".

"أجل، أجل، إنه... محام أعرفه".

"سألتقيه، وإذا أعطاني الرسالة غير مفتوحة، أعطيك مليوناً آخر. كيف تبدو لك الفكرة؟".

"حقاً؟" وفرك أرتي وجهه، ونظر كفتى قيل له للتوّ إنه لن تكون هناك مدرسة اليوم. "اتفقنا". ومدّ يداً متّسخة.

فتجاهل توماس البادرة. وخلال دخوله إلى غرفة النوم، سمع أرتي يقول: "يا رجل، إنه بار متذلّل يريد إسداء صنيع له. هل تمانع حصولي على كأس صغيرة بنفسي؟".

"تفضّل".

كان يملك توماس بالفعل عدة ملايين من الدولارات في غرفة النوم - مبلغ ربما لا يمكن لأرتي الهزيل حمله، فكيف له أن يحمله وهو ميت. وتوجه توماس إلى خزانة المطبخ وسحب مسدس ماغنوم كولت بايتون عيار 357. وبالرغم من أن قِطر الرصاصة هو أصغر من عيار 38، 44، أو 54، فالشّحنة كبيرة، والرصاصة المجوَّفة المتفجِّرة تتحوّل إلى شظايا على الفور بعد اصطدامها بلحم بشري وتدفع الضحية بقوة وترميها أرضاً كما لو أنها تعرّضت لصدمة سيارة.

واضعاً يده على جَنبه، عاد إلى غرفة الجلوس حيث وجد أرتي حاملاً كأساً مليئة حتى الشفة بشراب يبلغ سعر زجاجته الواحدة 800 دولار. كان لعابه يسيل ككلب إسباني.

www.ibtesama.com

شهق أرتي عندما رأى المسدس. وتحطمت الكأس على الأرض.

"لا! لا تطلق النار عليّ!".

"غالباً ما كنت أقول إنه يُفترض بالناس أن يموتوا لأنهم أغبياء... ولأنهم يبتزونني، يا أرتي؟".

وضحك توماس. فقبل دقيقة، أخبره أرتي كيف يمكنه العثور على الرسالة - إذا كانت هناك رسالة. ففي وقت لاحق من الليل، وقبل أن يلاحظ أحد فقدان أرتي، وبعد مغادرة توماس بمدة طويلة، يقوم بعض أعوانه بتفتيش شقة أرتي بدقة للحصول على اسم كل محامٍ كان على اتصال به، ويحرصون على تسليمه الرسالة، إذا وُجدت، غير مفتوحة.

أم يقتلون المحتال فحسب.

لا فَرق...

وأعاد توماس الزُّنبَرَك إلى الوراء، وصوَّب المسدس.

"لا! أرجوك!".

وشرع بالضغط على الزِّناد.

www.ibtesama.com

30

جيف أبوت

كانت مجموعة الأشخاص قد شعرت في الليلة السابقة بمطاردة شبحَي روزماري وكريستوفر توماس اللذين لم يجدا الراحة بعد. ولكنّ شرح عالِم الأنتروبولوجيا أخرج أحد هذَين الشبحَين من الظل إلى الضوء، وتلاشى. ربما لا يزال كريستوفر توماس يسير على الأرض.

شعر جون نان بنفَسه يتدفق مجدداً إلى داخل صدره، وتراجعت حدة الخدَر الذي اعتراه منذ إدراكه بأن روزماري ربما تكون بريئة.

ولكن إذا كان كريستوفر توماس على قَيد الحياة، فأين هو؟

انتهى الاجتماع، وبدأ الجميع بالابتعاد، وعلِم نان بأنهم يحملون معهم الكثير من التساؤلات والشكوك. وراقبهم يغادرون، غير راغبين في التحدث إلى أحد. فلم يكلّمه أحد أو ينظر إليه. يا له من تحرٍّ يمكن خداعه! ولكن ماذا عن الدليل؟ لقد ارتاب على الدوام بقرار المحكمة اعتبار روزماري مُذنِبة، ولكنه تجاهل شكوكه. رقم قياسي في إدانة متّهم ليكون الجميع، باستثنائه - وروزماري، وهو أمر مُحزن - راضين وواثقين من تحقيق العدالة.

واعتراه غضب عارم وفجائي، واتكأ على الجدار. فأغمض عينَيه وفتحهما مجدداً.

كانت هناك لوحة معلَّقة إلى يساره: أسلوب الحداثة في رقصة تانغو جامحة تؤديها لطخات عشوائية زرقاء وبرتقالية وبيضاء. لوحة أم إبداع، ومعنى وشكل نمَطي لم يفهمه.

www.ibtesama.com

إبداع. شكل نمَطي. موت. وفاة روزماري، وانتهاء زواجه ومهنته، تلك الكذبة غير العادية التي ابتكرها أحدهم وحاك تفاصيلها بلمسة فنّان مُتقَنَة عجز هو عن رؤيتها.

لماذا؟

هذا النوع من الأُطُر يقتضي حسابات باردة، وليس عواطف. ولهذا النوع من الجرائم تُعتمَد قاعدة واحدة ويتم الانصياع لها بشكل لا يلين: الهدف هو المال.

في هذه القضية، اتخذ المال شكل بيتر هوسن المعاقِر للشراب والفاسد.

أشاح نان بنظره عن اللوحة الجامحة التي تعتمد أسلوب الحداثة، ونظر من حوله ووجد أن الجميع قد غادروا: أحياء وأشباح الماضي المشوَّه والكاذب. ربما فرّ منه الجميع؛ هو الشرطي الذي بنى القضية ضد روزماري، الشرطي الذي كان مخطئاً جداً. لا بد من أن رائحة الإخفاق والندم وعدم الكفاءة تفوح منه. واعترته موجة من الغثيان وقال في نفسه، سأكتشف الحقيقة. وفجأةً، تأججت جمرةٌ مُطلِقةً شعلة في قلبه. سأكتشف الحقيقة.

ربما كانت روزماري بريئة. ربما قتلت روزماري الشخص الذي افترض العالم أنه توماس.

أراد أن يعلم.

عليه تتبّع المال. وأراد التحدث إلى بيتر.

وتردد وقع خُطاه في الفراغ. كانت اللوحة تراقبه كما لو أنها تقيس مدى عزمه. فأومأ للحارس الأمني الذي كان ينتظر مغادرته. وخرج من ماكفول إلى الليل الرَّطِب والضبابي، ولفحه البَرْد القارس. كانت هناك نجوم متوهّجة على صورة لطخات وراء السُّحُب.

ورأى صورة شخص في ظلال متحف الفن يسير على الرصيف

www.ibtesama.com

المُقفِر بعدم ثباتٍ آنيّ: بيتر؟

واندفع نان إلى الأمام، سائراً على ضَرّتَي قدمَيه بسكون.

وتفرّق الضباب بعد أن قطعه مصباح إنارة الشارع، وتحقق من أنه لم يكن بيتر، بل ستان بالارد يمدّ يده إلى جَيبه لإخراج هاتف محمول، ويضعه على وجهه.

ربما سارة تتصل به، قال نان في نفسه. لقد فضّلت سارة كاذباً وحقيراً مثل ستان بالارد عليه. ماذا بي؟ قال نان في نفسه. ما خَطْبها؟ لقد بدا زواجهما كإحدى اللوحات العصرية تلك التي فقدت شكلها النمَطي في خضمّ جموح عشوائي. هل أحبته سارة يوماً؟

سلك بالارد زقاقاً، متجنّباً أجواء مكان يبعث على الارتياح، ومقصف بالقرب من مجمّع سكني آخر في الشارع المغطى بالضباب.

أراد بالارد الاختلاء بنفسه إثر المعلومات الصادمة للمشاعر التي تمّ الكشف عنها. أمر مثير للاهتمام.

وتوقف نان عند الزاوية، وألقى نظرة خاطفة على الزقاق. كانت هناك حاويات للقُمامة وصناديق قنانٍ، عائدة للمقهى، موضوعة بموازاة بعضها على الرصيف. وتمكّن من رؤية بالارد يتوارى وراء حاوية للقُمامة، فاندفع إلى الأمام واضعاً يده على مسدسه، وهي عادة اكتسبها عندما كان شرطياً. لقد لفتته غرابة شعوره برغبة شديدة في وضع مسدس على جَنبه واصطحاب الأصفاد معه إلى المتحف: إنه دليل واضح على أنه لا يزال يظن نفسه شرطياً، عِلماً أنه ليس كذلك. ولكنه كان ممتنّاً لمبادرته الفردية.

أحدث صوت بالارد هسيساً منخفضاً في الهاتف: "سينتشر خبر ما قمنا به لجني المال من العقارات". لقد أثّر الذُّعر في الكلمات وأفسدها. وشعر بوجود شخص ما وراءه فاستدار، وضغط نان بمسدّسه على خدّ بالارد.

www.ibtesama.com

فتسمّر بالارد، شاحباً ومصدوماً.

وضع نان إصبعه على شفتَيه، ولزم بالارد الصمت. وأومأ نان في اتجاه الهاتف، فسلّمه إيّاه بالارد.

ووضع نان الهاتف على أُذُنه، وسمع الحديث الغاضب. قال بيتر هوسن بتشدّق: "أَقفل فمك، تكتّم عن الأمر".

وأصدر نان صوتاً يشير إلى الموافقة.

"لا أُبالي، يا ستان. نحن بأمان، نحن بخير، نحن هادئا الطبع، وهذا أفضل من أي شيء آخر. نحن أكثر من كوننا هادئَي الطبع. نحن باردان تماماً. لا يمكن للاحتباس الحراري العالمي أن يؤثّر ببرودتنا". وتحوّل صوت بيتر إلى ضحكة غامضة وهشة. "لا أهمية لما قلتَ إن رجل السي أس آي قاله. لا أهمية لذلك، لأن أحداً لا يستطيع الإمساك بنا. فالمال لك، ولي، ولنا".

همهم نان، وخلال قيام بيتر بإطلاق تطمينات أخرى، غطى نان الهاتف بيده وهمس لبالارد. "اطلُب منه ملازمة مكانه. قُل له إنك تريد القدوم لرؤيته. الآن. أَلحّ على مقابلته إذا رفض".

"لن..." وحدّق بالارد بالمسدس الموضوع على خدّه.

همس نان: "سأفعل، لا شيء أخسره، يا رجل. لقد حرصتَ على أن أكون على هذه الحال. أنت من يجازف بفقدان كل شيء، يا ستان. افعل ما آمرك به". ووضع نان الهاتف على وجه بالارد.

"أجل، يا بيتر، أنا هنا". كان صوت بالارد جدّياً. لقد ساعده في ذلك المحامي الكامن فيه. لم يشأ أن يبدو لبيتر، أو لأي مُشاهد أو متآمر، أنه منزعج. "أريد أن أراك. الآن".. وتوقف قليلاً. "الرفض غير مقبول. ابقَ على قاربك. لستَ في وضع يسمح لك بالظهور علانيةً الليلة. سأكون هناك بعد قليل... اتفقنا... أجل، يا بيتر. إلى اللقاء".

ضغط نان على زر إنهاء المكالمة. "ليتني كنت أملك مسجِّلة

www.ibtesama.com

شريطية لأثبت للعالم كم أنت خسيس لا نفع منك".

جازف بالارد بإطلاق ابتسامة جزئية. "لقد تهجّمتَ عليّ للتوّ، وتنصّتَ إلى محادثة خاصة. سأقاضيك وأضعك في مأزق مالي مُحرِج ما لم تستدر وتبتعد. هل تظن أنك لا تزال قادراً على تحقيق أي شيء بعد أن تخلّت عنك سارة؟ ما زلتَ بعيداً جداً عن تحقيق أي شيء، ولكنني سأسحقك، يا نان".

قال نان: "السحق هو هوايتي، أُعِدّ العدة للمشاركة في الألعاب الأولمبية للقدرة على الاحتمال، يا ستان. بجدّية، أنا مندهش بمستوى الغباوة الذي بلغتَه. لقد ساعدتَ بيتر على اختلاس ملايين الدولارات من ابن وابنة توماس بعد إعدام والدتهما، شقيقته الوحيدة. لَيتهم يمنحون ميداليات للأناقة والاستقامة".

وتحرك فم بالارد المقطَّب الجبين. "أنت تفترض افتراضاً كبيراً".

"لا، هذا ما اعتدتُ القيام به. الافتراض. لا أكثر. أَرِني محفظة جَيبك ومفاتيح سيارتك، يا ستان".

فأخرج بالارد محفظة جَيبه والمفاتيح. والتمع شعار المرسيدس على المفاتيح. وقلّب نان بإبهامه محتويات المحفظة السميكة. "تعيش ببحبوحة أكبر مما كان عليه حالك عندما دخلت روزماري غرفة الإعدام. أنت وبيتر تُغِيران على أموال العائلة؟ من الصعب على امرأة متوفاة أن تطلب تدقيقاً بالحسابات".

فلم يتحرك بالارد، ولم يُجب.

قال نان: "بيتر شخص مغفَّل، ولكنه في حالة يرثى لها أيضاً وليس شخصاً تَعهد إليه بوضع خطة". كانت رغبة نان في بَرم السكين داخل بالارد تجتاح كيانه. لقد أراد جزء منه ضغط الزِّناد وإزالة وجه بالارد المتهكم كالعادة؛ ولكنه حينئذٍ فكّر في سارة. هل تحب هذا الرجل حقاً؟ هل عرفتْه يوماً حق معرفة؟

www.ibtesama.com

قال بالارد بحدّته المعهودة: "ماذا؟"، غير مدركٍ ما الذي يعنيه نان.

"تآمر أحدهم لوضع جثة في مِقصلة حديدية وتلفيق تهمة ضد روزماري. إنها جريمة تتطلب قدْراً كبيراً من التبصّر والتخطيط".

"تبدو كما لو أنك كتاب مدرسي".

"أنتَ تقيم علاقة حميميّة مع زوجتي، ولديّ مسدس، لذلك لن يكون الاستهزاء بي استراتيجية ذكية".

فقال بالارد: "زوجتك السابقة...".

وقاطعه نان: "المرشَّح للحصول على جزء من الثروة يعاني من ضائقة مالية، يا ستان. أنت أكثر ذكاء من بيتر، ودافعك ليس واضحاً بمقدار وضوح دافع بيتر. فإذا استفاد بيتر تستفيد أنت".

اختلج فم بالارد، وتحرك، وقطّب جبينه غير مصدِّق. "تقول ذلك فقط بسبب سارة. لأنك تريد أن تصدّق أنني سيّئ".

"لا أريد ذلك. أنا أصدّق بالفعل أنك سيّئ. أخبرني بما فعلتَه وبيتر".

"لم تكن خطتي".

ضغط نان بمسدسه على خدّ بالارد بقوة أكبر، واحمرّ اللحم تحت الضوء الخافت. "خطة مَن إذاً؟".

فلم يُجب بالارد.

"تظن أنني لن أقتلك؟".

"لن تقتلني. أنت تحب سارة كثيراً، وهذا يردعك".

لقد عذّبت تلك الحقيقة المؤلمة نان، الحقيقة الجليّة الصادرة عن رجل يعرف أنه كاذب. وتخيّل سارة بين ذراعَي بالارد. لم يكن يعرف ما إذا كان يحبها أم يكرهها. ولكنه أبقى صوته رزيناً وهادئاً: "لن أكون الشخص الذي يؤذي سارة. لقد ساعدتَ على تلفيق تهمة بالقتل ضد امرأة بريئة. أنا على ثقة تامة بأن هذا الأمر سيُنهي زواجك بسارة".

www.ibtesama.com

وضيّق بالارد نظرته المحدّقة: "ماذا تريد؟ مالاً؟ باستطاعتي رفع مستوى معيشتك".

"ذلك المال هو مال روزماري. مال ابنها وابنتها".

"روزماري ماتت وأنت من ارتكب الخطأ، يا نان".

ضغط نان بإصبعه على الزّناد ببطء. فرأى بالارد انثناء الوريد على ظهر يد نان وصدر أنين فجائي ومنخفض من حَلقه. "آسف، آسف، آسف، لا...".

"ماذا كان يعني بيتر عندما قال إنهم لن يعرفوا؟".

"بيتر بحالة يرثى لها بتأثير الشراب. إنه يتكلم بحماقة ليس إلا".

"هل كريستوفر توماس حيّ؟".

"لا أعرف".

"هل حصل على أي أموال منذ وفاة روزماري؟ هل هو جزء من مخططك؟".

"لقد أخبرتُك، لا أعلم إذا كان حياً أو ميتاً. تعرف قَدْر ما أعرف".

"كنتَ تعتقد أنه ميت؟".

"حتى ما قبل عشرين دقيقة".

"أنت تكذب. لقد خططتَ لكل ذلك مع بيتر".

"لا".

"إذا قتلتُك في الحال، يا ستان، تتعادل كفّتَي الميزان". أراد نان ترويع بالارد وإزالة ابتسامة الرضى عن النفس عن وجهه. "لقد سرقتَ حياة روزماري، ودمّرتَ حياتي".

"لن تطلق النار عليّ".

"سأفعل. سأطلق النار عليك، يا ستان. أكثر من مرة. أولاً على الأُذنَين. ومن ثم على الأنف. وبعد ذلك على الركبتَين. وعندما لا يعود بإمكانك تحمّل الألم، سأطلق النار على دماغك وأُنهي مأساتك".

www.ibtesama.com

"أنت تخدعني".

ووضع نان المسدس بجانب أُذُن بالارد وأطلق النار. وتردد صدى دويّ الطلقة النارية في الزقاق. وصاح بالارد وسقط، ممسكاً بإحكام رأسه غير المصاب كما لو أن الدماء تتدفق من جرح ما. وصرخ كرجل يحاول أن يكتشف ما إذا كان حياً أو ميتاً.

وأمسكه نان، وقذف به على الجدار. هل سمع أحد الدويّ؟ تساءل نان. ربما لديه دقائق قليلة قبل وصول الشرطة إذا أبلغ أحدهم عن إطلاق نار.

قال نان: "أنت بخير، أيها البكّاء".

"المال... كانت فكرة بيتر... إنها فكرته...".

"ولكنك ساعدتَه، أليس كذلك؟".

أصدر بالارد صوتاً شبيهاً بالنشيج والنخير. فاعتبر نان ذلك موافَقة. "تعرف أن بيتر سيعترف بكل تفصيل، يا ستان. تريد أن تتكلم أولاً، ثِق بي؛ تريد أن تكون الآن الشخص المحبوب لدى الشرطة. أَخبر الشرطة بكل ما تعرفه، يا ستان. كل شيء".

لم ينظر بالارد المنقبض خوفاً في وجه نان.

أعاد نان المسدس إلى قِرابه في القِسم المتقوِّس من الظَّهر عند الخصر. وحمل بالارد على الوقوف ودفعه خارج الزقاق. وأمام المتحف، كان الحارس الأمني نفسه الذي أومأ لنان خلال مغادرته يراقب ويصغي. من الواضح أن صوت الطلق الناري أخرج الرجل من المبنى. كان الحارس ضخماً، وبدا كما لو أنه يريد الإمساك ببالارد.

قال الحارس: "سمعتُ طلَقاً نارياً".

قال نان: "صوت اشتعال للوقود قبل الأوان في محرك سيارة، كما أعتقد، لدى هذا السيد معلومات للشرطة تتعلق بالمرأة التي أُحيي ذكراها في المتحف الليلة الماضية".

www.ibtesama.com

فحدّق الحارس ببالارد: "لا يمكنني احتجازه أو إلقاء القبض عليه".

"ولا يمكنني ذلك أيضاً. ولكن السيد بالارد سيكون شخصاً صالحاً. اتصل بالشرطة فخسب، وسيقوم السيد بالارد باعتقال نفسه حتى وصولهم". وأفلت نان ذراع بالارد. "انظر إليّ، يا ستان".

أخيراً، نظر بالارد إليه طارفاً عينَيه، كما لو أنه دخل عالماً جديداً لا تتمتع فيه الاستراتيجيات القانونية، والإضبارات، بأهميتها العادية. إنه واقع مختلف بالنسبة إليه.

"سأذهب للتحدث إلى بيتر. لذلك، إذا كنتَ تريد عقد صفقة جيدة مع الشرطة قبل أن يقوم بيتر بذلك، أقترح عليك الشروع بالتكلم حالما يصلون".

بدأ بالارد، ومن ثم توقف: "بيتر...". ولم يقُل المزيد خلال اندفاع نان في الليل الذي يكتنفه الضباب.

كان نادي سان فرانسيس ياخت كلوب لليخوت قائماً في مرفأ اليخوت، والضباب منخفض فوق الماء على غرار سحابة قادمة للاستراحة. لقد وصل نان بسيارة بالارد من طراز مرسيدس وأخبر الحارس الأمني في موقف السيارات بأنه ستان بالارد الذي ينتظر بيتر هوسن قدومه. فتحدّث الحارس إلى هوسن على الهاتف، وأومأ برأسه، ولوّح لِنان بدخول الموقف.

ركن نان السيارة واندفع عبر حَوض اليخوت. فبالرغم من وجوده في مرفأ أُطلق عليه اسم سان فرانسيس الذي اعتنق الفقر، كانت المراكب الشراعية واليخوت في سان فرانسيس فخمة وجميلة. ويخت هوسن يدعى ديزيريه ويبلغ طوله اثنَين وسبعين قدماً. ورأى نان وراء القارب جسرَ غولدن غايت المنتصب بصلابة تحت وشاح من ضباب. كان الحوض هادئاً؛ لم يكن معظم الناس يعيشون في مراكبهم بخلاف بيتر هوسن. وسمع نان صوت تحطم كأس في ديزيريه.

www.ibtesama.com

وانتقل إلى سطح القارب، وتوجه إلى المطبخ.

كان بيتر هوسن راكعاً على الأرض، ويتلألأ على البلاط كأسُ كوكتيل محطَّم وسط بركة من الشراب. فالتقط بيتر أكبر كِسرة من الزجاج وألقى نظرة سريعة على نان.

وضحك بيتر. "انتهى إحياء الذكرى، أيها الت - ح - رّي نان. ولكنك لم تَعُد ت - ح - رّياً، أليس كذلك؟".

"بلا، في الواقع، أنا تحرٍّ، يا بيتر. لديّ سبب وجيه لأكون كذلك الآن".

"انظر، ذلك المتأنّق العِلمي، وفقاً لما سمعتُه منه، يقول إن الجثة لم تكن جثة كريستوفر، إنه أمر مثير للسخرية. ليس سوى أحمق يسعى للفت الانتباه. سنكتشف ذلك غداً" - عندئذٍ، وقف بيتر على نحوٍ مُربَك، مُسقطاً كِسرة الزجاج على الأرض - "وأن أحد مواقع الصحف الشعبية على شبكة الإنترنت قامت باستخدامه، وأنه مُخطئ". وأسند بيتر ظهره إلى المِنضدة ورسم بإصبعه دائرةً حول نان. "الآن. أنت تدخل مِلكية خاصة عن طريق الكذب على الحارس، وسأقوم باستدعائه، وستدخل السجن بسبب انتهاك حُرمة مِلكية خاصة".

مدّ بيتر يده في اتجاه الهاتف، وسار نان بين زجاج الكأس المحطَّمة وقذف به على الأرض.

قال بيتر بجعجعة: "آه! لا يمكنك القيام بذلك". كان في حالة يرثى لها بتأثير الشراب، وعندما حاول الوقوف مجدداً بسرعة، دفعه نان على الأرض. "اخرج من قاربي. الآن".

"لماذا؟".

"لِمَ لماذا؟".

"حتى إنني لا أعرف من أين أبدأ معك، يا بيتر. لماذا تكون كل خَيرات العالم متوافرة لك فتقوم بتبديدها على الشراب؟ لماذا تدَع

www.ibtesama.com

شقيقتك تموت؟ لماذا تسرق تلك التي تحمل دمك؟".

قال بيتر وضحك: "لماذا... لا تخرج من قاربي؟".

"أنت وأنا نعلم أن عالم الأنتروبولوجيا يقول الحقيقة". وكتّف نان ذراعَيه. "بالارد يتحدث إلى الشرطة الآن بالذات".

"إذا كان بالارد يتحدث إلى الشرطة فلكي يوجّه اتهامات إليك بانتهاك الحُرُمات وعدم الكفاءة. إذا ماتت شقيقتي، فبسبب خطأ ارتكبتَه أنت، وليس أنا". وهزّ بيتر إصبعه في اتجاه نان، ومرّر من ثم يده فوق فمه.

"بالارد يتحدث لأنه سيقوم بما يلزم لإنقاذ مهنته. هو يعقد صفقة. الآن، مَن برأيك يلجأ إلى التفاوض لعقد صفقة ذكية، يا بيتر؟ محامي عقارات متمرّس أم شخص في حالة يرثى لها يسطو على أموال القاصرين؟". وألقى نان نظرة سريعة على ساعته. "لقد سرقتما أنت وبالارد أموال روزماري من ابنها وابنتها. سيُمنَع من ممارسة المحاماة. وستدخل السجن. ربما يمكنك تزويد زملائك النزلاء بنصائح مفيدة حول الملاحة البحرية لتنقضي السنوات الطويلة بسرعة".

ارتفع صوت بيتر: "أنت تكذب.. لا يمكنك لمسي. لا يمكنك القدوم إلى هنا وتهديدي. أنا أعتني جيداً بالولدين. أنت غير كفؤ. هل تعتقد بصدق أن أحداً سيصدّقك؟".

"بصدق، يا بيتر؟ أجل لأن بالارد يتكلم. إنه مع الشرطة الآن. إن الطريقة الوحيدة ليتمّ النظر إلى قضيتك بعين الرأفة هي الاعتراف بأنك تحتال على ابن وابنة شقيقتك، أم الولدين وفقاً للَقب التحُّب الذي تدعوهما به".

"لا يمكنك أن تثبت أي شيء".

"الجثة ليست جثة كريس. سيُعاد فتح القضية. تمّ إعدام والدة. الصحافة، الرأي العام، سيُجنّون".

www.ibtesama.com

"لن يعود ذلك بأي فائدة على شقيقتي".

"كما لو أنك تُبالي".

ووقف بيتر وحدّق إلى نان، وتناول من ثم كأس كوكتيل أخرى. وسكب مِقدار بوصة من الشراب فيه. ونظر إلى الكأس، وأضاف بوصة ثانية، وتناول جرعة كبيرة. "تعتقد أنني كنت أكره شقيقتي الوحيدة؟ ربما. ولكنني كنت أحبها أيضاً". وظنّ بيتر للحظة من الزمن بأن بيتر سيبكي خلال تناول الشراب. لقد هزّته شهقة عنيفة.

وتناول بيتر جرعة تقدر بسماكة بوصة من الشراب، وابتلعها بصعوبة. "إنه ميت. قتلته روزماري".

"ليست جثة كريس".

"لقد مات. لقد مات". وأسند بيتر ظهره على امتداد مِنضدة المطبخ. "لقد مات، وأُقفل عليه في المِقصلة".

"يا بيتر. أين. هو. كريستوفر؟".

رمى بيتر الكأس على وجه نان. فأخفض نان رأسه وأحرقته عيناه بسبب تطاير رذاذ الشراب، واصطدمت الكأس بجبينه. وحاول بيتر الفرار بجانب نان، فأمسكه هذا الأخير بياقته. ربما كان بيتر لاعباً رياضياً ذات مرة، ولكن الشراب قضى على جزء كبير من قوّته البدنية وإرادته.

مُمسكاً بياقة بيتر، طرَفَ نان عينَيه للتخلص من اللسعة الحادة. ورمى بيتر على الأرض، وجرّه في اتجاه كِسرات كأس الكوكتيل المحطّمة والمتلألئة. وأمسك بيتر بشعره الضئيل، ودفع بوجهه فوق الكِسَر الحادة الأطراف.

"أخبرني. أخبرني أين كريستوفر".

"لا، لا. لا!".

"يا بيتر. فكّر هكذا. إذا سرقتَ أموال الفتى والفتاة وبإمكانك إعادة والدهما، سيحب القاضي أسلوبك أكثر من أسلوب بالارد. ربما سمح

www.ibtesama.com

لك بالاحتفاظ بقاربك".

كرر بيتر: "القارب".

"القارب. أخبرني وإلا استخدمتُ وجهك كمكنسة لالتقاط الزجاج المحطَّم. سيؤلمك ذلك".

تنفّس بيتر هوسن ثلاث مرات بشكل غير منتظم في أثناء قيام نان بالعدّ إلى عشرة بصمت. وعندما بقي بيتر ملتزماً الصمت، دفع نان وجهه في اتجاه الزجاج.

صاح بيتر، وتوقف نان: "فندق ترومب لوي! إنه في فندق ترومب لوي. أعني، أعتقد أنه هناك".

كان نان يعرف الفندق، وهو فندق من الدرجة الثانية غير بعيد عن ساحة يونيون سكوير. "لا تكذب عليّ، يا بيتر".

"لا أكذب عليك ولكن...".

"ولكن ماذا؟".

"لن تعرفه. وجهه...".

"خضع لجراحة تجميل، أليس كذلك؟".

فأومأ بيتر. "هذا ما يقوله. من الواضح أنه لا يستخدم اسمه الحقيقي هناك. ولا أعرف كيف يبدو الآن، لم أره منذ عقد من الزمن. كان هذا اتفاقنا".

"ولكنك تحدثت إليه".

"أجل. واتصل بي يوم أمس. ظننتُ أنه غادر سان فرانسيسكو ولكنه كان موجوداً". وبدا بيتر خائفاً تقريباً.

"كيف تعرف أنه في ترومب لوي؟ هل أخبرك بذلك؟".

"لا. ولكن عندما اتصل بي... كان باستطاعتي سماع ضجيج في خلفية الصوت. موسيقى. مغنّي جاز. بدا كما لو أنه المغنّي الذي عمل في قاعة ترومب العامة طوال سنوات، مُغنٍّ بطبقة صوت ألتو أجشّ.

www.ibtesama.com

كنت أتناول المشروبات هناك. لذلك، أعتقد أنه المكان الذي ينزل فيه...".

وقال نان في نفسه إن بيتر تحرٍّ جيد بما أن كل الإلماعات تشير إلى ترومب لوي.

"لماذا يتصل بك؟". واتضح له الأمر. "لقد ساعدتَه على الاختباء. لقد ساعدتَه على الفرار". وابتعد نان عن بيتر خطوة إلى الوراء.

قال بيتر، ناشجاً: "تعتقد أنني سيّئ إلى هذه الدرجة؟".

انهار بعد ذلك بسبب تأثير الشراب أو الشعور بالذَّنب، واعترف بصوت منخفض كيف ساعد كريستوفر على تزييف موته وتواريه عن الأنظار.

قال: "وضع كريستوفر الخطة، جثة بديلة. فقتل ساعياً يحمل السلع إلى الزبائن، رجل صيني كان يوصل له أطباقاً من اللحم المفروم المطبوخ مع مشروبات غازية، رجل نكرة. ووضع جثته داخل المِقصلة".

"ما اسمه؟".

وفكر في بيتر. "كان يحمل لقَباً ملائماً لشخصية جيمس بوند... أُود جُوب، أو ما شابه".

أُود بادي.

"قطع كريستوفر إصبعه، ووضعه مكان إصبع الرجل الميت. قام بذلك هنا في القارب. كان عليّ كَيّ الجرح، وتضميده". وأصدر بيتر صوتاً كما لو أنه يَهمّ بالتقيّؤ. "وكسر بعد ذلك جزءاً من سنّه، ووضعه في جَيب قميص الرجل".

فشعر نان بالغثيان، متذكراً الجثة التي لم يكن بالإمكان التعرف إليها تقريباً. وتذكّر السنّ وما قاله ماكغي، عن الإصبع الوحيدة السليمة.

"إذاً، ساعدتَ في تلفيق التُّهمة ضد شقيقتك الوحيدة".

صاح بيتر: "إنها فكرة كريستوفر - بكافة تفاصيلها!".

www.ibtesama.com

"تابع".

"كانت لديه إحدى بلوزاتها - فلطّخها بدمائه بعد قطع إصبعه. بدا الأمر كما لو أنه يرسم، وأذكر ذلك تماماً. بعد ذلك، أخذ شعرة من فرشاتها ووضعها مع الجثة...".

كان نان يُصغي إلى الكلمات المهمهَمة والمدمَّجة بعضها ببعض بصمت متّسم بعدم الصفح.

بعد ذلك، أفلت نان بيتر الذي ابتعد عنه متمايلاً، وانهار بجانب حوض غسل الأطباق، متفحّصاً بأصابعه وجود كِسر زجاج في وجهه. كان هناك مجرد خدش صغير على خدّه، فعبّر عن ارتياحه مُهمهِماً.

وسحب نان الأصفاد ووضع أحد القَيدَين في مِعصم بيتر والآخر في مِقبض الفرن.

صاح بيتر: "لم تعُد شرطياً، لا يمكنك تكبيلي!".

"لدى بالارد سبب لعدم الفرار. أنت على متن قارب قد يدخل المياه الدولية بعد فترة وجيزة. لا أثق بك".

"يا نان، أرجوك. دعني أذهب. لقد قلت لك. سأدفع لك".

قال نان: "إنها الرشوة الثانية التي تعرضها عليّ في ساعة واحدة". وحمل قنّينة الشراب ووضعها بين ساقَي بيتر. "سأتصل بالشرطة لأجلك، يا بيتر".

أصدر بيتر صوتاً هو مزيج من السعال والنخير.

وقفز نان عن متن ديزيريه وعبَر حَوض المرفأ، راكضاً.

كريستوفر توماس حيّ وقريب من متناول اليد. بإمكانه أخيراً حلّ لُغز القضية. ربما تمكّن من حمل العدالة على إنصاف روزماري. ربما استعاد وظيفته.

وربما استعاد نفسه، فكّر نان.

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

31

ماركوس ساكي

"أخشى أنني لا أفهمك". ووضع كريستوفر الشريط اللاصق على المشرب بجانب الكولت. "يُفترض بك حقاً العمل على لفظك. فاللفظ هو ما يميّز المرء عن نظرائه في الطبقات الأدنى". والتقط كأس أرتي عن الأرض المكسوّة بسجاد سميك، وغسلها ونشّفها، ومن ثم سكب لنفسه مقدار ارتفاع إصبعَين من شراب المَلت. "المشروبات والمال، بالطبع".

أصدر أرتي أنيناً خافتاً. كان وجهه شاحباً، والعرَق يتقطّر على ذَقنه في أثناء محاولته الزحف. إنه مشهد مؤثّر في الواقع. وبينما كان كريستوفر يراقب، ناضل الرجل لرفع إحدى ذراعَيه وتحريكها بشكل مُتراخٍ بضع بوصات إلى الأمام. لقد بدا كما لو أنه رجل ممسوس غرس الشرير مخالبه في بشرته.

كان الدم المتدفق من معِاه داكناً مقارنة بالنسيج الأبيض للسجادة. كان أسود اللون تقريباً.

وتناول كريستوفر جرعة أخرى، واستمتع بالحريق المرافق لابتلاعها.

لكن أرتي لم يستسلم بعد، وقد حمل هذا الأمر كريستوفر على الشعور بحلاوة الإخضاع.

راقب كريستوفر للحظات أخرى، واستدار بعد ذلك، ودخل غرفة النوم. فأنار النور ونظر من حوله. إن طلقاً نارياً واحداً، حتى وإن كان من مسدس عيار 0,357، قد يُعتبر ضجيجاً في الشارع، أو سَهماً نارياً

www.ibtesama.com

أُطلق من قنّينة، أو صوت اشتعال للوقود قبل الأوان في محرك شاحنة، أو ربما طلقة مدفعية. لن يصدّق أحد أن الصوت صادر من داخل جناح في الفندق تبلغ تكلفته في الليلة الواحدة 4000 دولار.

مع ذلك، من الأفضل له مواصلة التحرك، سيّما وأنه حصل على كل التسلية التي يمكن لسان فرانسيسكو أن توفّرها له. فتعقّب بالارد، ووضع سكين على عُنُق بِل الشاحب، ومطاردة بالارد وزوجته الجميلة خِلسة، والانسلال وراءها كما حدث في غرفة ارتداء الملابس، ورؤيتها ترتعد بسروالها الداخلي القصير، كانت مُتعة بالنسبة إليه. ويتمثل أسفه الوحيد بعدم إتاحة الفرصة له لرؤية ابنه وابنته، ليلى وبِن - ولو عن بُعد. لقد أفشل أرتي هذا الأمر بمكيدته غير المُتقَنة. أه، حسناً. هكذا يدعوها ريو.

وأنزل حقيبة ملابس من الخزانة، وفتح السحّاب. وفتح الخزنة الفولاذية الموجودة في الغرفة وبدأ بإخراج رُزَم المال. وعندما ملأ الحقيبة الأولى، أنزل الثانية، وملأها أيضاً. وأخرج من إحدى حقائب الأمريكان توريسترز قميصاً فرنسية جديدة ذات طرفَي أكمام من القطن، وارتداها بدلاً من تلك المتغضّنة التي يرتديها. ووقف أمام المرآة. رسمية... قليلاً. فطوى الكمَّين وهزّ مِعصمَيه لإرخاء القماش. أرأيتَ! أنيق وفاجر.

وحمل حقيبتَيه - من المذهل كم يزن المال الحقيقي حتى ولو كان من فئات كبيرة - وعاد إلى غرفة الجلوس.

كان أرتي قد تمكّن من الزحف ستة أقدام تقريباً، مخلِّفاً وراءه بقعة دم قاتمة، ويداه مغطاتان بالدماء.

"عليّ أن أقول، يا آرثر، إنك أكثر ذكاءً مما تبدو". وأنزل كريستوفر الحقيبتَين، وسار نحوه على مَهل. "التوجه إلى الهاتف هو أمر شديد الذكاء. كان يفترض بي تخمين أنك ستحاول الوصول إلى الباب".

www.ibtesama.com

ورفع أحد قدمَيه، ووضع باطن حذائه على كتف الرَّجل، ودفع.

فسقط أرتي كمصباح. كان صراخه حاداً بالرغم من كمّ فمه.

"ولكنك لو بلغتَ الهاتف ما الذي كنت لِتقوله؟" وتوجّه كريستوفر إلى المشرب، والتقط المسدس الثقيل. وجثم على ركبة واحدة بجانب مَن كان حارساً أمنياً ذات مرة، وحرص على عدم تلطيخ سرواله بالدماء. "هل يمكنك سماعي؟".

كانت عينا أرتي ضخمتَين، والبؤبؤان ثابتَين كما لو أنهما يحدّقان إلى شيءٍ برّاقٍ وقريب. فلم يُجب. وانحنى كريستوفر ووكز مِعدة الرجل فوق المكان الذي اخترقته الرصاصة.

فاستجاب أرتي.

"قلتُ، هل يمكنك سماعي؟".

أومأ الرجل باضطراب.

"ربما حزرتَ بأنك ستموت. تخلّص من هذا الاضطراب المميت، ولكن يعود لي تحديد سرعة تخلصك منه. تذكّر ذلك عندما أرفع الكِمامة. اتفقنا؟".

فأومأ مجدّداً.

"ممتاز". وفكّ كريستوفر الشريط اللاصق، وسحب سروال تايلور من فم أرتي، ورماهما جانباً، ثم مسح يدَيه بمكان نظيف على قميص أرتي. "الآن". ووضع ماسورة المسدس على مَشعب الرجل، وأعاد الزُّنبرك إلى الوراء. "بشأن تلك الرسالة".

مُتعَب. مُتعَب جداً

كان جون نان يشعر بتشنّج في كتفَيه، وجفاف في عينَيه. وعندما يرفع يده لفركهما، ترتجف أصابعه. بدا الأمر كما لو أنه يركض منذ أيام.

ليس أياماً. سنوات. اثنتا عشرة سنة.

اثنتا عشرة سنة من الألم وشعور بالذَّنب بسبب زواجه - بسبب

www.ibtesama.com

سارة.

اثنتا عشرة سنة من الاعتقاد بأن كريستوفر توماس غادِر وانتهازي، ولكن أيضاً ضحية عملية قتل.

اثنتا عشرة سنة منذ الإدلاء بشهادته وإرسال روزماري توماس لملاقاة حَتفها بسبب جريمة لم تحدث أبداً.

اثنتا عشرة سنة من تركه الأمور تحدث حوله، من معاقرة للشراب ويأس وضعف، من تحرّز وتضييع للوقت، مراقباً باستسلام ما يدور في العالم ومتمنّياً لو كان الأمر مختلفاً.

سنوات على عيش كريستوفر توماس حلمه في حين كان يعاني جون نان من أسوأ كوابيسه.

الآن، يُفترض بكل شيء أن ينتهي هنا، في هذا الفندق دون سواه، فندق ترومب لوي كما كُتب على اللافتة، وهي عبارة فرنسية تعني "يخدع العين"؛ هذا ما تعلّمه في المدرسة الثانوية.

الاسم ملائم تماماً.

ركن نان المرسيدس عشوائياً، وخرج منها. فتوجه نحوه مُستخدَم الفندق، ولكنه هز رأسه. "لن أتأخر".

فُتحت أبواب الرَّدهة من دون إحداث أي صوت، كاشفةً عن مساحة واسعة من الرخام والإضاءة الرائعة. كان الجوّ عابقاً برائحة إجّاص عذبة، وكعبا حذائه يطقطقان خلال مروره عبر وسطاء ومحامين وأطباء جالسين في كراسٍ تكاد لا تتسع لهم. كانت هناك أشجار على امتداد الجدار وراء بَهو الاستقبال. ولم يدرك أنها مجرّد رسومات إلا بعد وقوفه أمام المِنضدة، وكان المشهد المنظوري للأشجار مرسوماً بعناية لدرجة أنه ظن أن باستطاعته مدّ يده ولمسها.

"أهلاً وسهلاً في ترومب لوي، يا سيدي. كيف يمكنني أن أخدمك؟".

www.ibtesama.com

"أبحث عن شخص. ضيف".

وبالكاد رفعت المرأة - واسمها وفقاً لبطاقة التعريف كلير - نظرها عن لوحة المفاتيح. "ما اسم الشخص، رجاءً".

وقطّب حاجبيه، وسحب الصورة القديمة من جَيبه. "هذا هو. هل عرفتِه؟".

"آسفة، ما هذا...".

"أنا شرطي". لا سبب يدعوه لإخفاء هويّته.

"مع ذلك، آسفة، ولكن لا يمكنني... يمكنني الاتصال بمديري، ربما...".

وانحنى نان فوق المِنضدة: "أصغي إليّ. هذا الرجل قاتل. هل فهمتِني؟ إنه شديد الخطورة. رجاءً. فكري. هل سبق لك أن رأيتِه؟".

فمرّرت كلير لسانها على شفتَيها بعصبية مزاج: "لا أعرف".

وسُمع دَويّ مكتوم في مكان ما غير محدَّد. لم يكن عالياً. لكن جون نان عرف الصوت ولو عبر عدة أرضيات مغطاة بمواد عازلة.

قالت المرأة وراء المِنضدة: "ما ذاك الصوت؟ لقد سمعتُه منذ دقائق قليلة".

واستدار نحوها: "فكري. هل سبق لك أن رأيته؟".

"أ...".

"أجل أم لا".

"لا". وضعُف صوتها شيئاً فشيئاً.

"هل من شخص آخر؟".

"ماذا تعني؟".

"هل يمكن لشخص آخر أن يكون قد رآه؟".

هزت رأسها. "في العادة هناك اثنان منا..." **وهزت كلير كتفَيها.**

www.ibtesama.com

"هل تريدني أن أتصل بمديري في المنزل؟".

كان نان قد شرع بالابتعاد. إنه صوت طلق ناري من مسدس عيار 0,45 أو 0,357. ما الذي كان توماس يُطلق النار عليه؟

ليس ما، بل مَن.

أطبق نان أصابعه وفتحها. فكل فِطرة طوّرها في حياةٍ أمضاها في حماية الناس تخبره بوجود كريستوفر توماس هنا، وبأنه مسلّح، وأطلق النار على شخص ما.

لكن هذه الفِطرة لم تُحدث أي فَرق. ما الذي سيقوم به، يقرع الأبواب؟ الاتصال بسْوات وتطويق المبنى؟ لم يعُد شرطياً. لا يستطيع طلب المساعدة. لا يمكنه شرح ما يفعله هناك أو كيف حصل على المعلومات. ولا يمكنه إشهار الشارة التي لا يملكها.

إضافةً إلى ذلك، قال له بيتر هوسن إن كريستوفر خضع لجراحة. لقد بات له وجه جديد، ولا توجد أي وسيلة بالتأكيد تُمكّن نان من معرفته حتى ولو مرّا بجانب بعضهما في الرَّدهة.

بلا، سيعرفه. لا يمكنه تغيير العينَين. فعيناه المتعجرفتان والواثقتان لا تتبدلان حتى وإن كانتا ظاهرتَين في عشر صور فوتوغرافية لقضية جنائية ما.

عبر نان الرَّدهة بخُطى سريعة، قصيرة، وغاضبة، شاعراً بتكتكة الوقت. لا وقت لديه للإرجاء، ولكن لا وقت لديه أيضاً لدخول الغرفة الخاطئة.

بالتأكيد. تردّدْ مرة أخرى. دَع الأمر يتكرر من حولك كما فعلتَ في السنوات الاثنتَي عشرة الماضية.

كان هناك رجل أشقر يرتدي ملابس فاخرة يعبر الرَّدهة ويجرّ وراءه حقيبتَي ملابس. كان نحيلاً ومِشيته مغرورة وسريعة وتكاد تكون متمايلة. فركض نان بأقصى سرعة، واندفع بين كرسيَّين جلديَّين، وقفز فوق

www.ibtesama.com

ساقَين ممدودَين لرجل يقرأ ذي وول ستريت جورنال. وصاح شخص ما في الخَلف بعد اصطدامه بكأس أحدهم. وبعد ثانيتَين، أصبح نان وراء الرجل الأشقر الذي شرع بالاستدارة. فأمسك نان بكتفه، وجذبه بقوة، وثبّت ذراعه اليمنى وراء ظهره.

وأدارت المرأة ذات الشعر الصبياني القصير رأسها إلى الوراء وحدّقت إليه بعينَين واسعتَين ومذعورتَين، وفم مفتوح. "ماذا...".

أوقف نان اللكمة التي كان على وشك توجيهها. "آسف، ظننتُ...".

"النجدة!".

تبّاً!

استدار. كان الناس مسمَّرين في أماكنهم في الرَّدهة، محدّقين. ونقل نان نظره من شخص إلى آخر. ووراء المِنضدة، كانت كلير تحمل هاتفاً بيد وتنظر إليه خلال تحدّثها. تتصل بالشرطة؟

شعر بألم فجائي حادّ وقام بأسرع استدارة في العالم. لقد سمع الصفعة بعد أن شعر بها. إنها المرأة الشقراء. كانت توجّه لكمة أخرى، ولكنه أمسك ذراعها. "يا سيدتي، اسمعي...".

"هِيه. يا صديقي، تراجع". إنه البوّاب. نظر نان من حوله، ووجد أن الحركة عادت إلى الرَّدهة، واتجه معظمهم نحوه. كان المِصعد القائم في الجدار القريب قد فُتح، وتردد الرجل الموجود في داخله بالخروج لأنه لم يكن يتوقع أن يرى ذلك المشهد.

ألقى نان نظرة سريعة على كل شخص، وكان الكل يحدّق إليه. لقد شعر بأن أنظار الجميع موجَّهة إليه. "أنا شرطي"، قال، بصوت شرطي. "ليهدأ الجميع".

كان ذلك كافياً ليتسمّر الجميع في أماكنهم. وفي ذلك الصمت، وعبْر الرخام والثراء المؤطَّرة بأبواب معدنية مذهَّبة، رآهم نان. لقد بدا الأمر كما لو أن الزمن توقف.

www.ibtesama.com

ومن ثم، وما إن شرع نان بالتحرك، حدث أمران.
بدأت أبواب المِصعد بالانغلاق.
ووراءها، غضّ رجل غريب يحمل عينَي كريستوفر توماس الطَّرف عنه.
حسناً. إنه أمر مشجِّع. لا بد من أن بيتر قد أعلمه. هو أمر يتعيّن التعاطي معه لاحقاً.
حالما فُتحت أبواب المِصعد على مِرآب موقف السيارات، انطلق كريستوفر بصعوبة، جارّاً وراءه حقيبتَيه، والدواليب تنزلق بسرعة وتثب. كان الضوء أصفر لا يوحي بالنشاط، ومسدس الكولت ثقيلاً في جَيبه.
لم يكن كريستوفر يعرف الكثير عن السيارات بل عن الجميل منها، وسيارته أستون مارتن دي بي9 المستأجَرة جميلة. كانت المرأة التي أرَته إيّاها قد تحدّثت بحماسة عن القدرة الحصانية للسيارة، ومحركها في - 12، ومِقودها، فابتسم وأومأ.
فتح السيارة عن بُعد، ورمى الحقيبتَين في داخلها. بسرعة، بسرعة. فجون نان المسكين ومحطَّم الفؤاد في طريقه إليه. شغل المحرك، وانتقل إلى السرعة الأولى، واندفع في اتجاه المخرج. والتصقت الإطارات بالأرض، مُحدِثةً صريراً. كانت السيارة تئزّ بقوة. واستدار كريستوفر عند الزاوية، وسلك المنحدَر. فكل ما عليه القيام به هو مغادرة الفندق. فليُحاول الشرطي السابق الإمساك به في هذا...
كان جون نان واقفاً في أعلى المنحدَر، مؤطَّراً بالضباب الأرجواني لليل سان فرانسيسكو، حاملاً مسدساً بيده.
كانت السيارة فضيّة اللون وباهظة الثمن وتندفع نحوه بسرعة.
تحرّكت ذراعه بمفردها وبدا المسدس كما لو أنه محصَّن ضد قوة الجاذبية. فعقود من الخبرة حملته على تصويب مسدسه إلى السيارة، مستعيناً بيده اليسرى لتثبيت الارتداد التلقائي، وواضعاً إصبعه على الزُّناد

www.ibtesama.com

خلال انقضاض السيارة.

يمكنك القيام بذلك. سدّد فقط واضغط وسدّد واضغط. ستُصيبه، وبعد ذلك تصدمك السيارة، وكلاكما تفارقان الحياة، وربما هذا ما يجب أن يحدث.

وثبّت نظره على نظر الرجل وراء المِقوَد، رجل يظن أنه فوق كل شيء ويحطّم حياة أولئك المحيطين به بتخلٍّ أناني.

لا. التعادل ليس جيداً بما يكفي. يجب أن تهزمه. لأجل سارة، لأجل روزماري.

لأجل نفْسك.

وهوى على الأرض جانباً. فالسيارة ضخمة وقد تركت وراءها هواء حارّاً في أثناء اندافعها بقربه. واصطدم كتفه بالأرض وتمكن من الاحتفاظ بالمسدس. وأحدثتِ المكابح أزيزاً في أثناء كفاح توماس للتحكم بحركته. فانزلقت الأستون مارتن مُجانَبةً، وتزحلقت، وصدمت حاويات القُمامة كأحجار الدومينو، وبلغت المنطقة الانتقالية، مُحدثةً صوتاً مروِّعاً، وتأرجحت السيارة واندفعت إلى الأمام.

وقف نان على قدمَيه وركض في اتجاه المرسيدس.

قذف بنفسه إلى داخلها، ورمى المسدس على المقعد، وشغّل المحرك، وضغط بقدمه على دوّاسة الوقود، بحيث لامست أرضية السيارة. ووقف مستخدِم الفندق مشدوهاً في أثناء اصطدام المرسيدس بعربة نحاسية صغيرة لنقل الأغراض، وتطايُر الأكياس. وزعق بوق سيارة خلفه، فتجاهله نان، وانطلق بأقصى سرعة. أمامه، كان توماس ينطلق بسرعة فائقة بين سيارتَين.

ماذا الآن؟

ربما كانت الأستون مارتن أسرع من المرسيدس التي سرقها نان.

إذاً، جِد طريقة أخرى.

www.ibtesama.com

كانت اليونيون سكوير منطقة تسوّق، والمسارب عريضة، وتقاطعات الطرق معلَّمة بطلاء واضح ومرصوفة بحجارة ملساء، وشعارات أوربن آوتفيترز وأبل وديزل مُبهَمة خارج نوافذ سيارته، والأرصفة عريضة تقريباً بعرض...

مَهلاً، فكّر في هذا الأمر قبل أن...

تخطى نان الحاجز الحجري، وصعد بسيارته على الرصيف، وأطلق بوقاً تحذيرياً من دون رفع قدمه عن دواسة الوقود. حدّق إليه المتسوّقون بعيون محملِقة، وأحكمت نساء ثريات الإمساك بحقائبهن. وقفز شخص طويل الشعر جانباً، مُطلِقاً اللعْنات. فصرف نان أسنانه، وتابع طريقه بأقصى سرعة، وبلغ الزاوية، ونزل عن الرصيف، وتمايلت السيارة على الجانبَين خلال توجهه جنوباً على المسلك الرابع. كانت الأستون مارتن تتجاوز السيارات أمامه، وحركة المرور تُبطئها. لم يكن من المتوقع للعبة كريستوفر توماس الباهظة الثمن أن تساعده كثيراً حتى الوصول إلى طريق خالٍ من العوائق.

إذاً، سيسلك طريقاً خالياً من العوائق. يجب عليك أن تهزمه هناك.

ولكن كيف؟

في أثناء عبور ميشن، رأى الجواب.

عندما رأى كريستوفر الشرطي السابق في أعلى منحدَر مرآب الفندق، ظنّ للحظة من الزمن بأن كل شيء انتهى. فجثة أرتي على أرض غرفة الفندق وبصمات أصابعه عليها - البصمات لا تُخطئ. ولكن جون نان القديم والغريب لا يزال بالإمكان التوقع بتصرفاته كما كان حاله خلال نظره في القضية. فبدلاً من القدوم مع مجموعة كبيرة من رجال الشرطة، كان هناك بمفرده في مهمة ثأرية من نوع ما. فهو لا يزال يستهين بكريستوفر ويجهل من الذي يواجهه. لا، لا يُهِمّ إذا كان قد ترك نان يعيش. فالرجل لن يكون مصدر قلق بالنسبة إليه. كل

www.ibtesama.com

ما يحتاج إليه كريستوفر هو قليل من الوقت وحرّية التحرك، وبعد ذلك إلى مطار أوكلاند حيث تكون طائرة نفاثة خاصة في انتظاره، مع أثاث جِلدي قِشديّ اللون، وشراب، وهاتف للشروع بالعمل على تحقيق اختفائه النهائي.

توقفت سيارة فولكسفاغن بيتل أمامه مباشَرةً لسبب مجهول. فأدار كريستوفر المِقود، وتمكن من دسّ الأستون مارتن بين البيتل وشاحنة تُستعمَل لأغراض مختلفة متوقفة عند الحاجز الحجري. بُلْهٌ أغبياء مع سيارات صغيرة غبيّة. سيارة مثيرة للسخرية. وكان عليه تخطي حركة المرور من مكان ما. ولكن أين؟ كان شارع هوارد بجانبه، وهو مؤلَّف من خمسة أو ستة مسارب تتخذ اتجاهاً واحداً معاكساً لاتجاه الشارع الذي يسلك، وبعد ذلك يتعيّن التمهّل...

فأي رسّام يتوقف عن التفكير في مرحلة ما من عمله، ويبدأ بالعمل وفقاً لفِطرته، ويتفاعل مع نزواته. هو ما يحوّل فناناً جيداً إلى فنان عظيم.

استدار كريستوفر إلى اليسار إلى شارع هاورد ووجد نفسه يحدّق إلى المصابيح الأمامية المترنّحة للسيارات كما لو أنها أعين متّهِمة. كان قلبه يخفق بقوة أكبر، ويشعر بملمس المِقود بين راحتَي يدَيه وببرودة الهواء المكيَّف. ومرت صالة لعرض الأفلام السينمائية بسرعة أمام نافذته الجانبية، وانحرف لتجاوز شاحنة تسليم. لنرَ ما إذا كان بإمكان ذلك المغفَّل اللحاق بي. وابتسم، متنقّلاً بشكل متلوٍّ من جانب إلى آخر، وزعيق أبواق السيارات أشبه بموسيقى سيمفونية. ومرّ بحدائق بييربا بوينا غاردنز إلى يساره، مع أشجار وسيّاح، و...

لا. غير ممكن.

تلك الأضواء في المتنزه العام التي تشق طريقها بين الأشجار تقترب شيئاً فشيئاً. لا يمكن أن تكون...

نظر نان شزَراً خارج النافذة، وقد جعل التركيزُ بُرجماتِه بيضاء.

www.ibtesama.com

فبقيادته السيارة عبر حدائق ييربا بوينا، شعر بأنه يفقد السيطرة على نفسه مع إمكانية إلحاق الأذى بشخص...

كيف يمكن للمرء أن يدَعَ الأمور تجري من حَوله دون تحريك أي ساكن؟

وصرخ أحدهم. وأضاءت المصابيح الأمامية للسيارة على مشاهد ذُعر، وعشاق صغار السن يقفزون جانباً، ولاعب بارع يحدّق خلال سقوط كُراته، وعائلة تمشي الهُوَينا، تبّاً، وانحرف نان بسيارته إلى اتجاه آخر، وانتصبت شجرة سنديان بطول أربعين قدَماً أمامه. فحاول تفاديها ولكن جانب المرسيدس اصطدم بجِذع الشجرة وتحطّمت المرآة الجانبية، ووجد نان نفسه على الرصيف بعد الضغط على المكابح - ماذا الآن، يا جون؟ - وارتسم الدَّرَج أمامه كإجابة لعينة؛ فصرف أسنانه، وأطلق العنان لبوق سيارته، واندفع على الدَّرَجات ورأى الأستون مارتن تمر بجانبه بسرعة، وعينَي كريستوفر توماس غير متعجرفتَين وغير واثقتَين.

فهتف نان فَرَحاً، واستدار شمالاً ليتبعه. كانت تفصله عنه مسافة سيارة واحدة أو ربما سيارتَين. وقاد توماس بشكل متلوٍّ على المسارب، وقد حالت حركة المرور دون انطلاقه بأقصى سرعة، وتمكن نان من إدراكه مقلِّصاً المسافة بوصةً واحدة في كل مرة. فتوجه توماس إلى اليمين، رافعاً المسافة التي تفصله عن نان إلى عشرين قدَماً. ولكن نان تمكن من اللحاق به بعد الاستدارة عند الزاوية، وشعر بأن شفتيَه تتغضّنان في ابتسامة لم يعهدها منذ عشر سنوات.

وعندما قامت الأستون مارتن باستدارة أخرى، أدرك نان وُجهة توماس.

لا، لا، لا!

انطلق نان بأقصى سرعة، متأرجحاً إلى الأمام والخلف في كرسيّه، راغباً في زيادة سرعة السيارة. كان يتعيّن عليه اللحاق بالرجل في وقت

www.ibtesama.com

قريب.

كان باي بريدج منتصباً وعريضاً ويمتد مسافة أربعة أميال ونصف. لا بد من أن تعبره سيارة توماس الجميلة بسرعة فائقة.

هيا، هيا.

بلغ توماس إيسكس، واستدار بالسيارة بقوة، وانطلق على الجسر. وشرع بتوسيع المسافة على الفور، وطغى هدير محرك سيارته على صوت خفقان قلب نان.

لا. غير ممكن، ليس الآن. ليس بعد كل ذلك. الأمر غير مُنصف.

مُنصف؟ اسأل روزماري عن الإنصاف.

لأنه كان على وشك الخسارة على غرارها.

شعر كريستوفر بالإثارة بسبب الصوت الذي يُصدره المحرك، وهي طريقة استجابة الأستون مارتن لقيادته. وراوغ بين السيارات خلال اتجاهه إلى اليمين. وعندما دخلت إبرة مؤشّر سرعة الدورات/ الدقيقة المنطقة الحمراء، شعر بأن السيارة تقفز إلى الأمام.

كان هناك أمر ممتع في عيش اللحظة. فطوال سنوات، كان ونان متعاونَين إلى حدٍّ ما. صحيح أن الشرطة لم تكن تعرف أنه حيّ، ولكنهم قاما معاً بعمل فني. فقماشة الرسم غزلتها حياة البشر، والطلاء هو مزيج من الدم والدموع والسائل المنويّ، والموضوع هو الصحة والرغبة الجنسية والخيانة. وقد انتهى العمل الفني الآن.

التعاونات لا تدوم، يا جون. الفنان الذي يعمل بمفرده هو الأعظم.

شعر كريستوفر بشيء ما يضغط بقوة في معِدته، وهو شعور ذكّره بذلك الشعور الذي انتابه عندما زحف أرتي على سجادته. شعور بالانتصار التام الجميل والممتد ذاك. وابتسم ابتسامة عريضة، ورفع شعره عن عينَيه، معيداً إياه إلى الوراء، ونظر في مرآة الرؤية الخلفية، مستمتعاً برؤية سيارة نان تبتعد عنه شيئاً فشيئاً. يا لهذا الشعور! ربما

www.ibtesama.com

كانت تحفة كريستوفر هذه أفضل من تحفته المتمثلة بروزماري. حرمان رجل ما ليس من زواجه فحسب، بل من مهنته وثقته بالعدالة أيضاً، لا بل من أمله كذلك، وترْكه من ثم عاجزاً عن القيام بأي شيء باستثناء المشاهدة...

توهّجت نار برّاقة في الأستون مارتن أمام كريستوفر كما لو أنه يُشعل ولاّعة.

صدر صوت معدني أجوَف، قويّ وصافٍ.

انطلقت ومضة أخرى من الوراء، وتشقق الزجاج الخلفي على غرار نسيج عنكبوت.

ما هذا - إنه - هل هو...

دفع شيء ما كتفه. لقد بدا الأمر كما لو أنها لكمة من نوع الإيماءات الفظة التي يتبادلها الرجال في المقاصف. نظر كريستوفر إلى الأسفل، ورأى ثُقباً في القطن المصري لقميصه، ومن ثم لوناً أحمر، أحمر - ماذا؟ لا.

لم يستطع تصديق ذلك.

ركب الألم موجة الفهم، اشتعال فجائي، وازدرد. وحاول تحريك ذراعه، وانتشرت النار تحتها. ورفع نظره بسرعة إلى الطريق بعد أن أُجفل بسَيل من الزمامير. كان على بُعد أقدام من الناحية الخلفية لعربة شحن مقطورة. وفاق ذُعره ألمه وبرم المِقود إلى اليمين، ولكن السيارة لم تستجب بسهولة، وزعقت الإطارات عالياً وعلى نحوٍ مُحرِج. فتجنّبت السيارة الاصطدام بمؤخرة العربة المقطورة، ولكنها شرعت بالدَّوران وعمّت الفوضى. وظن للحظات رهيبة بأنها ستنقلب وتتدحرج، ولكنها استمرت بالدَّوران، وتسارعت أمامه صورة الحواجز المعدنية القائمة على جانبَي الجسر، وصورة السماء ومقدمة السيارة في مواجهة الاتجاه المعاكس للسير، والسيارات تناضل للتوقف، ورأى من ثم المرسيدس

www.ibtesama.com

التي تبدو على هيكلها آثار الاصطدامات تتجه نحوه مباشَرةً، واعتقد أنه رأى وجه جون نان من خلال زجاج سيارته الأمامي المحطَّم.

اصطدمت السيارة بالأستون مارتن، وتبادلت الأرض والسماء مكانَيهما.

شعر نان بأنه تعرّض للكمة من قَبضة عملاقة.

لقد دفعته قوة الصَّدمة نحو الأمام، ولكن حِزام الأمان خفّف من أثرها، وبدأ جسمه يتأرجح إلى الأمام. ولكن قبل أن يصطدم رأسه بالمِقود وينفتح كيس الهواء، رأى مزيجاً من اللونَين الأبيض والرمادي، واشتمّ رائحة بارود، ووُجّهت ضربة قوية إلى صدره ووجهه.

للحظات، لم يشعر سوى بكيس الهواء على خدّه، وبألم.

وببطء، سمع صوت بوق السيارة. كان العالم مُظلِماً، وأدرك من ثم أن عينَيه مُغمضتان.

عندما فتحهما، حدّق بالكيس الذي يخرج منه الهواء، وبالخط الرشيق الممتد لأحد أسلاك الجسر البالغ سماكته قدمَين. كان الحاجز المعدني متغضّناً وممزّقاً.

وفوق الحاجز، تتأرجح سيارة رأساً على عقِب كانت ذات مرة جميلة.

فهز نان رأسه، وندم على الفَور على قيامه بذلك. لقد شعر بألم في جمجمته.

وتلمّس حزام الأمان، ودفع الكيس جانباً، وفتح الباب. وخرج، مستنِداً إلى إطار النافذة.

كان الليل بارداً ويلمع تحت غطاء الضباب، وتنبعث أنوار الجسر المتوهّجة من مصابيح للزينة. وبدأت سيارة مارّة بالإبطاء. فأومأ جون لراكبيها، ولم يدرك أن المسدس كان لا يزال في يده حتى انطلق السائق بأقصى سرعة.

www.ibtesama.com

علت أصوات صفارات الإنذار في مكان ما في البعيد.

قام جون بخطوة مترددة، ومن ثم بأخرى. كل شيء في جسمه يؤلمه، ولكن يبدو أنه لم يتعرض لكسور.

كان محرك الأستون مارتن يُصدر تكتكة. إنه صوت صريف قطعة معدنية. كان سقف السيارة مهشّماً جرّاء اصطدامه بالحاجز الإسمنتي. وفي أثناء قيامه بإلقاء نظرة، انزلقت السيارة بوصةً في اتجاه الهوّة.

"ساعدوني".

كان الصوت ضعيفاً. فتبعه نان حتى تمكن من رؤية كريستوفر توماس. كان وجهه مختلفاً ليس لأنه متدلٍّ رأساً على عقِب، والدماء تسيل من أنفه، وعضلات ونسيج كتفه ممزَّقة، بل بسبب عينَيه؛ لقد زالت ثقته العمياء بنفسه وحلّ مكانها ذُعر حيوانيّ صِرف.

حدّق نان إلى تَينك العينَين للحظات. بعد ذلك، أعاد المسدس إلى قِرابه ببطء.

كانت يد توماس اليمنى لا تزال ممسكة بالمِقود، ولكن أصابعه ترتجف. "لا يمكنك القيام بذلك".

"ماذا؟".

وبدت الريح الخفيفة مُفعَمة بالنشاط والحياة. وصرفت السيارة في أثناء صفير الريح فوقها.

"لا يمكنك قتلي".

فهز جون كتفَيه. "أنا لن أقتلك".

"إذاً ساعدني".

"ساعد نفسك".

حدّق توماس بكره بنسبة 100 بالمئة. ورفع يده عن المِقود ببطء وتلمّس الباب. كان الرجل شاحباً ومرتعداً. فأمسك بالمِقبض وسحبه. وتسببت زاوية انحدار السيارة بفتح الباب واسعاً، مما أدى إلى تأرجح

www.ibtesama.com

السيارة. وسُمع صوت احتكاك مثير للغثيان، وانحنى غطاء محرك السيارة إلى الأسفل. فرمى كريستوفر بنفسه إلى مقعده وتسمّر في مكانه.

فكر جون نان في روزماري بعد حَقنها، وبطريقة شحوب بشرتها على الفَور. ودنت صفارات الإنذار؛ كان هناك أكثر من سيارة قادمة بسرعة.

"لم تعُد شرطياً". كان كريستوفر يغطي ارتعاشة الذُّعر بتمويه كاذب من المنطق. "لا يمكنك القيام بتلك الأمور. إطلاق النار على الناس. مطاردتهم".

لقد قمتُ بذلك على كل حال".

"أخرجني من هنا". ولفحت الريح، وانزلقت السيارة مجدّداً. "أَخرجني وسأقول لهم إنه مجرد حادث".

فلم يحرّك نان ساكناً.

"لديّ مال. في الصندوق. الملايين".

لم يحرّك نان ساكناً.

"لن يبدّل الأمر شيئاً، فقتلي لن يعيد روزماري". كان صوت الرجل ينطوي على تفكير منطقي، وليس على التوسل فحسب. "الميت يبقى ميتاً. ستحظى بشبح آخر. هل يمكنك تحمّل ذلك، يا نان؟ شبح آخر؟".

"لا أعرف"، قال نان، متفاجئاً لإدراكه بأنه يعني ذلك. كان مُرهَقاً، مُرهَقاً للغاية، وتوماس مُحِقاً. ليس عليكم أن تعملوا في قسم جرائم القتل لمدة طويلة لتدركوا أن الانتقام لا يؤدي إلى تخفيض المجموع الكلّي للألم في العالم. ليس هذا فقط، بل ستكون هناك عواقب لأعماله الليلة. فكل ما قام به منذ مغادرته المتحف غير قانوني. فلو كان باستطاعته تسليم قاتل محطَّم ولكن حيّ، لكن الأمر أسهل عليه.

فكريستوفر يحاول إنقاذ حياته المهدَّدة فحسب؛ ونان يعلم ذلك، ولكن ذلك لم يجعله على خطأ. فإذا ترك نان هذا الأمر يحدث، تعرّض

www.ibtesama.com

لعقوبات - وربما كانت أكثر مما يمكنه تحمّلها. لقد أدرك ذلك، وتطلّبه الأمر قليلاً من الوقت للتسليم بذلك، وقال بعد ذلك، "لا أعرف إذا كان باستطاعتي تحمّل شبح آخر، يا كريستوفر. ولكن هل تعرف أمراً؟" وابتسم جون نان. "لا أُبالي".

وتبدّد قناع المنطق عند الرجل. "تبّاً، أَخرجني من هنا! هل تعرف من أكون؟ هل تعرف؟".

"أجل". وفكّر نان للحظات قليلة في روزماري، وتمنى أن تسامحه. "كنتَ كريستوفر توماس".

من ثم، استدار نان، وعاد إلى المرسيدس. كانت مجموعة من السيارات قد توقفت، وبقي قسم من الركاب في الداخل في حين خرج الآخرون. وتسمّروا في أماكنهم لدى رؤيته. فتجاهلهم نان، وأخرج مسدسه من قِرابه بحذر، وأقفل صمام الأمان، وانحنى ووضعه على الأرض. وتمكن من رؤية سيارتَي شرطة تومض أضواؤهما بتوهّج في جُنح الليل، وتوجد وراءهما سيارة إسعاف. فوضع نان يدَيه على رأسه، وشبك أصابعه ببعضها. وتوقفت سيارة الشرطة الأولى على نحوٍ مفاجئ ومتقطّع، وخرج شرطيان مهتاجان. فركع ببطء وألم.

خلال ملامسة الأرض الباردة، واندفاع رجال الشرطة نحوه، وهبوب الريح الخفيفة بنعومة، وتلألؤ أضواء سان فرانسيسكو عبر الضباب، سمع صوتاً؛ صرير معدني بطيء مماثل لتثاؤب وحش كبير، وتسارعُ الهواء، وكانا ممتزجَين بما يمكن أن يكون صرخة.

ولكنه لم يبتسم حتى سمع صوت سقوطٍ أحدث رزازاً.

www.ibtesama.com

يوميات جون نان
المدوَّنة الأخيرة

جوناثان سانتلوفر وأندرو أف. غولي

اعتُقلتُ لمدة يومَين. لقد طرح عليّ رجال الشرطة مئة سؤال. ومن ثم طرحوا عليّ مئة سؤال آخر. لم أكن أملك كل الإجابات، ولكن كان لديّ ما يكفي. كنت أعرف أن كريستوفر توماس زيّف موته، وأن بيتر هوسن ساعده، وأرتي روبي قدّم المساعدة من خلال شحن المِقصلة الحديدية إلى ألمانيا، وتعاون ستان بالارد مع بيتر ليكونا من أصحاب الملايين من خلال النَّصب على الابنَين توماس.

وكنت أعرف أمراً آخر؛ أيّاً من هذه الأمور لم يكن ذات أهمية. فروزماري لا تزال ميتة.

لقد أدلى توني أولسن بإفادة لصالحي. كان يتمتع بأكثر من مجرد نفوذ محدود في مركز شرطة سان فرانسيسكو، وساندني عدد قليل من زملائي القدماء. وبعد ذلك، جمع توني الجميع مرة أخرى وحملهم على إطلاع الشرطة على كل ما يعرفون وما يظنون أنهم يعرفونه.

فوصفت بِل ماكغواير كيف أن رجلاً مجهولاً، وباتت تعتقد بأنه كريستوفر توماس، تهجّم عليها في الاستوديو الخاص بها وتسبب لها بعلامة حمراء ما زالت موجودة على عُنُقها حيث مرّر سكين لوحة الألوان. وأيّد زوجها، دون، روايتها لا بل شهد لصالحي أيضاً. لست واثقاً من السبب. ربما لأنه كان راغباً في مطاردة كريستوفر بنفسه، وما

www.ibtesama.com

قمتُ به هو ثاني أفضل عمل.

اعترف بيتر أنه وكريستوفر باعا أعمالاً فنية مسروقة في أوروبا وآسيا خلال العقد الماضي، بينما كان الكل يعتقد أن كريستوفر ميت. فلا حدود للجشع. واعترف أيضاً بأنه وكريستوفر خططا لاقتحام المتحف، وأنه من هاجم هايل باتشيت في مناسبة إحياء الذكرى في تلك الليلة لتحويل الانتباه وإدخال رجال الشرطة المزيَّفين. بالطبع، لقد ألقى باللائمة على كريستوفر في كل ما جرى وقال إنه أُرغم على ذلك. ولكنني لم أُضفي شرَفاً على ادعاءاته وأتكبّد عناء سؤاله كيف يمكنك إرغام أحدهم على ارتكاب أعمال شنيعة مماثلة. وقال أيضاً إنني صعدتُ على متن قاربه وهددته بمسدس، معتقداً أن ذلك سيوقعني في مشاكل. فلم يحدث ذلك - لدقيقة من الزمن - ولكن ما قاله لا يتعارض مع قيامه بإطلاعي على مكان إقامة كريستوفر ومطاردتي له.

لقد أُرجئت محاكمة بيتر لأكثر من عام. ويجادل محاميه بأن الدليل المقدَّم ضد موكِّله تم الحصول عليه بالقوة - بواسطتي، أنا الشرطي السابق الحقود. وأنا على ثقة تامة بأنه سيتم استدعائي كشاهد، ولن أُنكر ما قمتُ به، ولكنني واثق من أن محامي الدفاع حازم بما يكفي لإلصاق ادعاءات بيتر بي.

وحصل هانك زاكاريوس على قصة جديدة.

إعدام امرأة بريئة

ظهر هذا العنوان الرئيسي في الصحف في مختلف أنحاء البلاد، ومع تبرئة روزماري وارتفاع نسبة المؤيّدين لقضيّتها، لم تشعر ولاية كاليفورنيا بالخِزي فحسب بل أُرغمت على دفع ملايين من الدولارات للابنَين توماس تعويضاً عن الأضرار التي لحقت بهما. كانت تبرئةَ

www.ibtesama.com

لهانـك أيضـاً، ووفقـاً لما بلغني، لقد وقّـع عقداً لكتابة كل القصة مقابل مبلـغ مؤلـف من سـبعة أعـداد، ولكنني خذلته عندمـا اتصل بي لإجراء مقابلة معي. وفهم موقفي.

ومُنـع سـتان بـالارد من ممارسـة مهنة المحامـاة وينتظر المحاكمة، وأدى ذلك إلى انفصاله عن سارة.

سارة.

لقـد أخبـرتِ الشـرطة كيف أنهـا تعرّضت لهجوم فـي غرفة ارتداء الملابـس التابعـة لمتجر تنويعي، وكيف أنها أدركت، بعد فوات الأوان، بأن مهاجمها هو كريستوفر توماس. كنت غاضباً لأنها لم تخبرني أبداً.

فـي النهايـة، أطلقـت الشـرطة سـراحي. لـم يكـن هنـاك مـا يدعو لاحتجازي مدة أطول مما تقتضي قيادتي المتهوّرة، وشهر مسدسي في كل مكان كراعي بقر، واعتُبر سقوط كريستوفر توماس في الخليج حادثاً.

ربمـا كان موتـه المؤلـم ضرباً من ضـروب العدالة، وربما لا. ربما كان مـن الأفضـل لـو شـاخ فـي السـجن وعاش مع ما قام بـه، عِلماً أنه سـيكون بحاجـة إلـى ضمير لأجل ذلك، ومـن الواضح أنـه يفتقر إليه. ومـع ذلـك، يشـعر جـزء منـي بأن أكثر من عقد من الزمن قد سُـرق من حياتي بسـبب عيشـي الألم وفرار كريسـتوفر توماس بسهولة. إنه خطأي مرة أخرى. ربما أنقذتُه لو كنت أفكر في شكل سليم حينذاك. ولكنني لسـت نادماً على ذلك. بإمكانكم القول إن جون نان المتقدم في السـن مـات فـي تلـك الليلة أيضاً، وحللتُ مكانه. كنت مخطئاً - طائر الفينيق ينهض حقاً من تحت الرماد.

بعد اسـتقرار الأمور، غادرتُ سـان فرانسيسـكو واشـتريت مزرعة صغيرة للماشـية في وايومينغ كانت قَيد الرَّهن، وتبلغ مسـاحتها عشـرة أكـرات، وفيهـا حصانـان هرِمـان. كان المنـزل فـي حالـة مـن الفوضى العارمـة، والأرضيـات متعفّنة، والنوافـذ محطَّمة، ولكنني أقوم بإصلاحه

www.ibtesama.com

ببطء ولا يبدو سيّئاً. أتحدّث إلى توني أولسن من حين لآخر، ويطلب مني على الدوام العودة إلى سان فرانسيسكو. ولكنني لن أعود. لقد بذلتُ قُصارى جهدي للخروج من كل ذلك ونسيان ما جرى. ولكنكم لا تنسون أبداً، بل تضعون ضِمادة شفافة على الجراح وتواصلون الحياة.

في ذلك اليوم، تلقيتُ لوحة صغيرة بالبريد، مشهداً لمحيط، من بِل ماكغواير. لم تكن مُرفَقة بأي رسالة قصيرة؛ فقط الصورة. فحدّقتُ إليها مطوّلاً وأعادت إلى ذاكرتي كل شيء - القضية، المحاكمة، سنوات الأسى والإحباط العشر، ويوم تصفية الحساب الذي حلّ أخيراً. لقد علّقتُ اللوحة في غرفة الجلوس كتذكار لكل ما حدث، ولأتذكر روزماري بصفة خاصة.

بعد ذلك، اتصلتُ بسارة.

لقد فاجأها اتصالي. وأخبرتُها أنني متفاجئ أكثر منها. فضحكت وأسرتني ضحكتها. وسألت عن أحوالي، فسألتها عن أحوالها وقالت إنها بخير، ولكنني أظن أنها تكذب. فطلبتُ منها القدوم إلى وايومينغ من حين لآخر لزيارتي وقالت ربما، فمن يعلم...

في هذه الأيام، أدفع فواتيري من الأجر الذي أتلقاه مقابل بعض الخدمات الاستشارية لمؤسسة أمنية، وأُلقي محاضرات عن عِلم الجريمة في كلّية تربوية لأُشغل نفسي بدلاً من عدم القيام بأي شيء. ولكنني اليوم في المنزل. وبجانب اللوحة التي أرسلتها لي بِل نافذةٌ والمسافةُ التي يمكنني أن أقطعها إلى قمم كاتيدرال ريدج المستدقة الرأس والمثلّمة، وهي جزء من سلسلة جبال روكي ماونتن التي ادّعيتُ بأنها لي وحدي. فوقها توجد السماء الزرقاء الساطعة بسُحُبها البيضاء المتموّجة، وتبدو لي كمنظر طبيعي لفان غوغ - زاخر بالنشاط، بسيط وبريء ببساطة الطفل وبراءته، جامح.

www.ibtesama.com

مُلحَق: تقارير إضافية للشرطة

كاثي رايكس

1- تقرير عِلم الحشرات الشرعي

قسم عِلم الحشرات الشرعي
لعناية الطبيب بيتر أم. غربر
أوستندرستراس 129-162
13353 برلين
43 77 532 030
أف إي أس بي # 0236 — 31 آب/ أغسطس 1998
أن أم بي 03-79
الاتصال بـ: الطبيب غربر

الموضوع: سُلّمت عيّنات بالأيدي، من قِبَل معهد الطب الشرعي، لقسم الطب الشرعي في برلين بتاريخ 27 آب/ أغسطس 1998 عند الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر. كانت العيّنات في ثلاثة مراطبين، لا مواد حافظة. يحتوي أحد المراطبين على عدة قِرابات لخَوادر ذات جناحَين. ويحتوي مرطبان ثانٍ على عدة عينات للمتوفّى. تشير لصاقة إلى عيّنات جُمعت بتاريخ 26 آب/ أغسطس 1998. ويحتوي المرطبان الثالث على ديدان مزوَّدة بمواد حافظة محفوظة في إيثانول مركَّز بنسبة 70٪. ويحتوي مرطبان رابع على عيّنة واحدة للمتوفّى. لقد أُضيف

www.ibtesama.com

إيثانول مركّز بنسبة 70٪ إلى المرطبان الذي يحتوي على عدة عيّنات للمتوفّى عند الساعة الثانية بعد الظهر، بتاريخ 27 آب/ أغسطس 1998.

دليل مقدَّم

1- مرطبان للعيّنات يحتوي على عدة قِرابات لخَوادر ذات جناحَين. لا وجود لبيانات على الناحية الخارجية أو الداخلية للمرطبان.

2- مرطبان للعيّنات يحتوي على عدة حشرات. لصاقة كُتب عليها مِثيلين أزرق جديد أيه 03-73؛ جُمعت بتاريخ: 26-8-98.

3- مرطبان للعيّنات يحتوي على ديدان مزوَّدة بمواد حافظة. لُصاقة كُتب عليها مِثيلين أزرق جديد 03-73 بي؛ جُمعت بتاريخ: 26-8-98.

4- مرطبان للعيّنات يحتوي على حشرة واحدة. لا وجود لبيانات على الناحية الخارجية أو الداخلية للمرطبان.

مطابقات

1- ذوات الجناحَين: ذباب أخضر وأزرق: 23 غلافاً فارغاً تعود لذبابات ذهَبية في طور الركود.

2- ذوات الجناحَين: ذباب أخضر وأزرق 23 ذبابة ذهبية بالغة.

3- ذوات الجناحَين: بيوفيليداو: 23 يرَقة بيوفيلا كاساي بالغة.

4- حشرات مغلَّفة الأجنحة: خُنفساء طويلة القرون: في الفترة الدنيا لنشاطها بين 18 و30 يوماً.

الفترة الدنيا المقدَّرة لنشاط الحشرات

ما بين 18 و30 يوماً قبل عملية الجمع بتاريخ 26 آب/ أغسطس 1998. يستند هذا التقدير على وجود يرقانات بيوفيلا كاساي في

www.ibtesama.com

مرحلة الطَّور. وصلت هذه الديدان كما هو معهود قُرابة اليوم الخامس عشر وهي في حالة من التحلل وأكملت نموّها في اليوم السادس والثلاثين. والديدان في المجموعات هنا متوافقة مع تطوّرٍ لمدة 30 يوماً تقريباً. وغلافات الحشرات الفارغة التي هي في طور الركود متطابقة مع ذباب ذهبي، في حين أنها متوافقة، وإن بشكل غير نهائي، مع هذا الإطار الزمني. في أثناء الدراسات التي أُجريت على التحلل في حرارة 26 درجة مئوية، أُبلغ عن غلافات فارغة تابعة لذباب ذهبي في طور الركود، وللمرة الأولى، في اليوم الرابع عشر. يوحي وجود الذباب الذهبي بوضع الجثة خارج أو قرب نافذة قبل أو خلال شحنها. فوفقاً لمواد الطعام المتوافرة، ومقدار تعرّضها للعوامل الطبيعية قرب النافذة، ودرجات الحرارة، يجب اعتبار المدة المقدَّرة التي تتراوح ما بين 18 و30 يوماً حداً أدنى، مع إمكانية وجود فاصل زمني أطول بعد الوفاة.

2- تقرير عِلم الأشعة

رقم المستند: سي 1998073042

الاسم: مجهول الهوية (المُفترَض أنه توماس، كريستوفر، تاريخ الولادة 19 09 52)

التحليل: مراقبة إشعاعية، الجمجمة، جِذع الجسم، الأطراف العُلوية والسفلية

مطلوب من قِبَل: الطبيب برونو مونتس، معهد الطب الشرعي

تمّ استلامه من قِبل: بالأيدي، ميت برينكمان

تاريخ إجراء الفحص: 20/ 07/ 1998

وقت إجراء الفحص: الساعة 11

مكان إجراء الفحص: معهد الطب الشرعي، برلين

www.ibtesama.com

المتوفّى

بالغ بشري متحلل عُثر عليه في المتحف التاريخي الألماني بتاريخ 18-7-1998

ما يتعلق بالجمجمة

الجمجمة كاملة وتعود لبالغ. نوعية العظام جيدة. لا وجود لكسور حدثت قبل الوفاة وشُفيت أم كانت على الطريق الشفاء.

ما يتعلق بالجمجمة خلف الرأس

الهيكل العظمي كامل ويعود لبالغ. نوعية العظام جيدة. هناك إعادة تشكيل معتدلة في التَّرقوة الأخرمية اليسرى والمَفصل القصَبيّ الفَخذي الأيسر. لا وجود لكسور حدثت قبل الوفاة وشُفيت أم كانت على طريق الشفاء. لا وجود لحالات خِلقية غير مألوفة أو شذوذ.

يوجد ما مجموعه خمسة وعشرون كسراً وثقباً في المواقع التالية:

2- في عظمة العضُد اليمنى

3- في الكُعبُرة اليمنى

2- في عظمة الزَّنْد اليمنى

2- في الكُعبُرة اليسرى

1- في عظمة التُّرقُوة اليمنى

1- في عظمة التُّرقُوة اليسرى

1- في عَظم الصدر

5- في الأضلاع في الفِقرات (4 في التجويف الصدري، 2 في أسفل الظهر)

1- في العظمة اللاإسمية الحوضية اليمنى

1- في عظمة الفخذ اليمنى

www.ibtesama.com

ما يتعلق بالأسنان

الأسـنان الدائمة كلها موجودة عند حدوث الوفاة. كل الجذور في الفك الأعلى والفك الأسفل متشكلة بالكامل. وجود بقايا مكسَّرة لتيجان الأسنان فقط، مما يجعل المراقبة مستحيلة (انظروا تقرير عِلم الأسنان)

خلاصة

المتوفّى بالغ ذكر لا تُظهر عظامه أي شـذوذ أو تشـوّهات خِلقية، لا دليل للوفاة، ولا كسور تمّ شفاؤها أو تعديلات جراحية. لقد تسببت رضّة قوية واضحة حدثت قُبَيل الوفاة أو بُعَيدها بضرر كبير في اصطفاف الأسنان، والجمجمة، وجِذع الصدر، والعظام الطويلة للأطراف السفلية والعُلوية.

هان أل. ويندمان، القسم الطبي
20 تموز/يوليو 1998

3- تقرير عِلم الأسنان الشرعي

عِلم الأسنان:
تكييف وإعادة تركيب بعد الوفاة

تشريح الجثة: 20-07-1998

المتوفّى: توماس، كريستوفر (المفترَض)،
تاريخ الولادة 1952-09-19

التحليل المرتبط بعِلم الأسنان: 20-07-1998

معهد الطب الشرعي: 2000-43271 - سي أو 01

المشرحة: 32885

www.ibtesama.com

تقرير عن الحادث صادر عن الشرطة: قسم شرطة برلين 8443.

أنا: الطبيب برونو مونتس

نزولاً عند طلب الطبيب مونتس، عاينتُ، في معهد الطب الشرعي في برلين، صوراً إشعاعية لفكّي وأسنان الرُّفات البشرية التي عُثر عليها في متحف التاريخي الألماني في جهاز يدعى مِقصلة حديدية. وتُعرَف الجثة بمعهد الطب الشرعي 2000-43271 - سي أو 01. انظروا الملحق 2.

- كان لدى الضحية عند الوفاة 32 سنّاً دائماً على الأقل في الفكّين؛
- كان لدى الضحية 32 سنّاً عندما التقطت صور إشعاعية بعد الوفاة؛
- دُمّرت كل تيجان الأسنان بضربة قوية واضحة جعلت الأسنان تنغرس في الأسناخ.
- الضرس الطاحن السفلي الثاني إلى اليسار مكسور ووُجد في جَيب قميص الضحية (أُرسل إلى مختبر في الولايات المتحدة لإجراء مزيد من الاختبارات)

عوامل تشخيصية

يُقدَّر العمر بما بين 35 و50 عاماً استناداً إلى الملاحظات التالية: التشكل الكامل لجذور أضراس العقل، تجويفات لُبّية كبيرة جداً، ارتشاف حول الأسنان بحده الأدنى.

ختام

الرُّفات المدعوّة 2000-43271 - سي أو 01 تعود لبالغ يتراوح

www.ibtesama.com

عمره ما بين 35 و50 عاماً عند الوفاة. لم يلاحَظ وجود تيجان. يبدو أن كل التيجان دُمِّرت بسبب الضربة القوية الواضحة. لا وجود لسجلات أسنان قبل الوفاة لإجراء المقارنة.

هرمين كتغن، طبيب في جراحة الأسنان
20 تموز/يوليو 1998
هرمين كتغن، طبيب في جراحة الأسنان
عالِم شرعي في الأسنان

4- تقرير مقارنة بصمات الأصابع

التقرير: 01-32432
فاحص بصمات الأصابع: ليزل شويده # 2766
نوع الحالة: بي أن أم
تاريخ المقارَنة: 20 تموز/ يوليو 1998
الضحية: مجهول الهوية
المكان: متحف التاريخ الألماني
طبعات معلَّمة بالحبر
بصمة (بصمات) عائدة لـ: مجهول الهوية
بصمة (بصمات) رفعها: برونو مونتس، القسم الطبي
تاريخ رفع البصمة (البصمات): 20 تموز/ يوليو 1998
العدد الإجمالي للبصمة (البصمات): 1
موقع البصمة (البصمات): الإصبع اليسرى الخامسة، اليد
حالة البصمة (البصمات): جزئية
طالب المقارَنة: برونو مونتس، القسم الطبي، معهد الطب الشرعي، برلين
مقدِّم الإضبارة: مركز شرطة سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة الأميركية)، عبر برونو مونتس، القسم الطبي

www.ibtesama.com

نتائج الفحص

البصمة المرفوعة 1: مطابَقة إيجابية مع الإصبع الخامسة اليسرى لتوماس، كريستوفر، تاريخ الولادة 09/ 19/ 52

أشياء أخرى تمّت مقارنتها

من دون أن يتم تحديد هوية صاحبها

غير موجودة

www.ibtesama.com

www.ibtesama.com

التحويل لصفحات فردية
فريق العمل بقسم
تحميل كتب مجانية

www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

شكرا لمن قام بسحب الكتاب

www.ibtesama.com

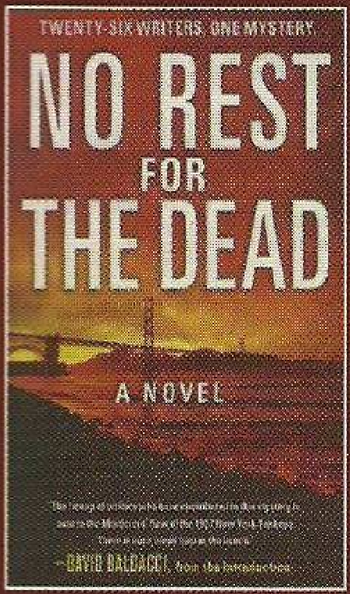

ألكسندر مكول سميث، ساندرا براون، فاي كيلرمان، جي أيه جانس، جيفري ديفر، كاتي رايكس، ليزا سكوتولاين، جيف لندسي، إنهم بعض المشهورين الذين يؤلفون مجموعة الكتّاب النجوم لهذه الرواية، وهي قصة المال، والجشع، والحب، والتي تنساب كقطعة واحدة «بمرورها من فكر مبدع إلى آخر» وفقاً لديفيد بالدتشي.

عندما يُقتل كريستوفر توماس، وهو قيّم عديم الشفقة على «متحف ماكفول أرت ميوزيوم» في سان فرنسيسكو، ويُعثر على جثته المتحلّلة في مقصلة حديدية في متحف برلين، تتحول زوجته، روزماري، إلى المشتبَه الأول. فتُحاكم، وتُدان، وتُعدم. بعد عشر سنوات يتوصل جون نان، وهو التحري الذي نظر في القضية إلى قناعة بأنه قد تمّ إعدام الشخص الخطأ. حيث إنه في السنوات التي تلت إقفال القضية، تمّ اكتشاف شبكة من الخداع والخيانة تحيط بعائلة توماس يمكنها توريط أية مجموعة من الأشخاص في الجريمة. وبمساعدة صديق المرأة المتوفاة، يخطط لجمع كل من كان موجوداً ليلة وفاة كريستوفر، ويكشف النقاب أخيراً عن الحقيقة. ربما يكون حل هذه القضية الفرصة الأخيرة لنان للخلاص... ولكن القوى الظلامية الكامنة وراء موت كريستوفر لن تتراجع عن إسكات الماضي إلى الأبد.

في هذه المقاربة الابتكارية لرواية القصص، أضفى كل من مشاهير كتابة الرواية الستة والعشرين طابعه الخاص على أحد فصول الرواية، رافعين من مستوى التوتر وصولاً إلى نهاية متفجّرة صادمة للمشاعر.

S.R. 55
مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
ريال

«البريء وعدالة الموت» إنها رواية رائعة لا يمكن إنجازها إلا من قبل أفضل كتاب اليوم، وتدعونا لتلقّي مفاجآتها وصدماتها عبر حبكة رائعة وآسرة حتى صفحاتها الأخيرة.

ISBN 978-614-01-0510-2
9 786140 105102

نيل وفرات.كوم
جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

صورة الغلاف: Fotolia.com - GOL - تصميم الغلاف: سامح خلف

www.ibtesama.com